ديوان الخليل

نظم

خليل مطران



مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

صحيفة النورَين

الشَفَق الراجع . والسحر الطالع
نوران عن شمس واحده . منحدرة او صاعده

الى

فخر رجال الزَمن . وبقية أبدال الوطن

صاحب العطوفة

محمد شاكر باشا

ونجلهِ الكريم . نابغةِ الذكاء والعلوم

محمد بك كنج

تقدمة الاجلال والتعظيم
وتزكية الولاء القديم

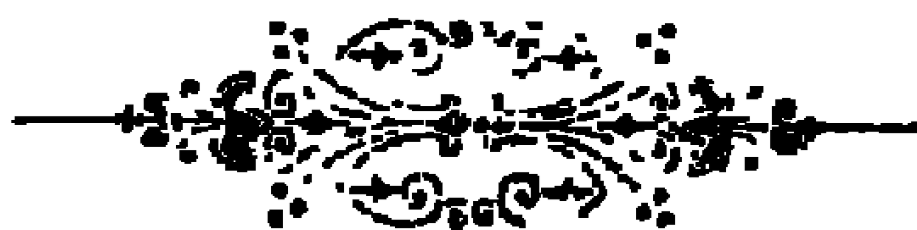


تحلية الديوان

باسم الصفيّ الحميم . الوفيّ الكريم
عنوان كتاب المجد . ومثال النباهة والجدّ

علي بك المنزلاوي

اذا ما رمى مصراً بضعفٍ وحطةٍ غلاةٌ من الاعداء او جهلاء
فكن يا عليّ الخير اعدلَ شاهدٍ لفتيــة مصرٍ أنهم نبــلاء



تحية الإِخاء

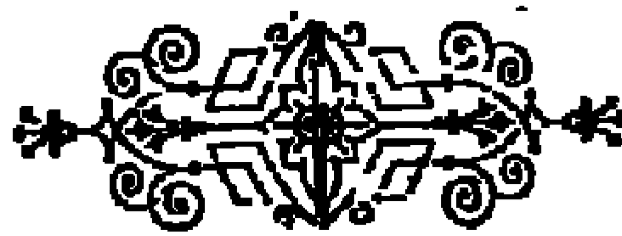
من شاعر صادق الشعور . مستمدٍّ غضَّ الطرف عن القصور

الى

مستنزل الالهام . وواسطة عقد الادب في الشآم

ميشل بك ابرهيم سرسق

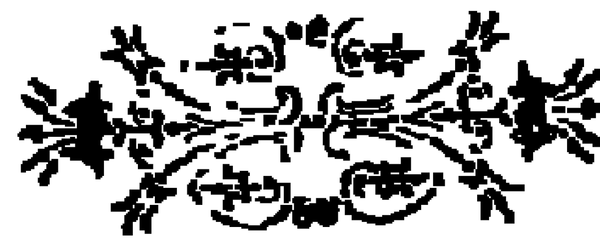
صُحفٌ كعاطلة المهادِ من الحلى   لا تعرف التدبيج والترصيعا
أُنظرْ لها كالشمس تُشبعْها سنىً   وتروِّها ديماً وتُنمِ ربيعا



مقدمة

.. ابى عليّ فريق من الاصفياء والعشراء . الا ان يكون لي ديوان كسائر الشعراء . فلئن صحّ لدى اولئك النفر الافاضل من اخواني . ان امثال هذه الكَلِم المقفّاة جديرة بان تسمّى في مجموعها ديواناً فهذا ديواني

الناظم



بيان موجز

ليست هذه الكلم القلائل كلّ ما نظمته الى الساعة بل هي منه كبقايا السفينة الغريقة . او كالقطع السالمة من الآثار العتقية . فقد استخدمت الرويّ ولم اشبّ عن طفولة الرويّه فرأيت في الشعر المألوف جموداً و بدا لي تطريز الاقلام . على الصحف البيضاء . كتطريس الاقدام . في تيه البيـداء . فانكرت طريقته . لجهلي حقيقته . وقضيت سائر ايام الصبى واوائل ليالي الشباب وانا لا الوي عليه . حتى دعت بعض مداعي الحياة فعدت اليه

عدت اليه وقد نضج الفكر . واستقلت لي طريقة في كيف ينبغي ان يكون الشعر . فشرعت انظمه لترضية نفسي حيث التخلي .او لتربية قومي عند وقوع الحوادث الجليّ . متابعاً عرب الجاهليـــة في مجاراة الضمير على هواه . ومراعاة الوجدان على مشتهاه . موافقاً زماني فيما يقتضيه من الجرأة على الالفاظ والتراكيب . لا اخشى استخدامها احياناً على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الاساليب . ذلك مع الاحتفاظ جهدي باصول اللغة وعدم التفريط في شيء منها الا ما فاتني علمه . او تجاوز ادراكي فهمه . ولم اكن مبتكراً فيما صنعت فقد فعل العرب في كل زمان قبلي . ما لا يقاس اليه فعلي . فانهم توسعوا في مذاهب البيان توسع الرشد والحزم . وجاريتهم في تصريف الكلام على ما اقتضاه هذا العهد من أساليب النظم

قال بعض المتعنتين الجامدين . من المتنطسين الناقدين . ان هذا « شعر عصريّ » وهمّوا بالابتسام . توهّمَ انّ من بوارق اسرّتهم ما يكون اشد من وقع السهام

فيا هؤلاء نعم . هذا شعر عصريٌّ وفخره انه عصري وله على سابق الشعر . مزية زمانه على سالف الدهر

هذا شعر ليس ناظمه بعبده . ولا تحمله ضرورات الوزن او القافية على غير قصده يقال فيه المعنى الصحيح . باللفظ الفصيح . ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره وشاتم اخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام بل ينظر الى جمال

البيت في ذاته وفي موضعه والى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعور الحرّ وتحرّي دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر

كذلك حاولت ان اصنع شعري واعرف انني لست من العلم واقتدار الفكر في المكان الذي يبلغني منه ادنى المرام . ولكنني تيقنت ان ما اردته به من الاغراض قد نفذ الى قلوب قارئيه واحدث فيها ما ابتغيته من الاثر وكفى بذلك سروراً لي ورضى الى ان يجيء في زماني او بعدي من يدرك من طريقتي الشأو الذي قصرت عنه . ويصل الى المقام الذي لم ادنُ منه

على انني اصرح غير هائب ان شعر هذه الطريقة — ولا اعني منظوماتي الضعيفة — هو شعر المستقبل لانه شعر الحيـاة والحقيقة والخيال جميعاً . وللدلالة على صعوبة الوصول الى الاتقان في مثل هذا النوع من النظم نشرت في هذا الديوان القصيـدة الاولى من شعر الصبى وعدة قصائد اخرى كان في وسعي ان اضرب عنها صفحاً وان اكتفي بما استجيده من قولي ولا آخذ على نفسي فيه شيئاً غير انني آثرت ان يدارجني القارىء مدارجة على كونها غاية في الايجاز تمثلني لديه تمثيلاً اجمالياً في كل حال مررت بها من احوال هذه الطريقة . وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الا بمدامع ذرفتها وزفرات صعدتها . وقطع من الحياة بددتها . ثم نظمتها فتوهمت انني استعدتها

وقد عرض لي ان ابقيت في هذا الديوان خليطاً من المذهب القديم ولكنني لم افعل الا وقد طاوعت ضميري وسايرت اعتقادي ولم اتكلف المبالغة في النزر اليسير من المدح الا لاقيس به شاسع ما اصبح بيني وبين الشعراء الذين الفوا هذه الخطة من قبل . ولا لوم في الشعر على البدوات

على انني لم اخلِ الى الآن شعري من كل ما آخذت عليه السابقين بسيري على هذه الطريقة الفطرية الصحيحة ولكنني ارجو ان اقدم على ذلك في المستقبل ان كان في الاجل فسحة

وغاية ما اتمناه لدى القراء من الجزاء على هذه العبر المروية . والغرائب المحكية والنوادر الممثلة . والصور المخيلة . التي نظمت اكثرها مسارقة من وقتي بين سفري

وحضري . و بين مذاهبي الى اعمالي . ومتاركاتي لشواغلي واشغالي . ان يشاركوني في وجداني اثناء مطالعتهم لهذا الكتاب فيرضوا عن الفضيلة كما رضيت . و يأسَوا من الرذيلة كما أسيت . وان يستفيدوا من مناصحاتي . و يتخذوا ادوية لجراحاتهم من جراحاتي

لذلك عملت . وذلك منتهى ما املّت . فان الناس رَكْب شقاء . وسَفْر هباء . فما اسعد حاديهم — وهو الشاعر — اذا حدا . أن يحسَّ لنغماته عند اخوانه في المسيرِ رنّةً وصدى



١٨٧٠ – ١٨٠٦

كتبت هذه القصيدة في صباي وهي كل ما استبقيتهُ من منظومات كثيرة اقمت بها تلالاً من الطروس وكنت اذ ذاك احرص عليها حرص الضنين على كنوزه ثم جعلت أعيد النظر عليها فاطرح منها صحيفة صحيفة حتى لم تبقَ منها الاَّ هذه . وقد هممت مراراً بالحاقها باخواتها ثم أرعيت عليها لما كان عندي من الكلف الخاصّ بها اذ كنت أتوهم في ذلك الوقت انني اتيت بها معجزة . ولهذا توليت تنقيحها قليلاً ونشرتها على علاتها اتنسم نسمات صباي من خلال سطورها . واعتبر بما تنتهي اليه خيلاء النفس وهي في شبيتها وغرورها

اما الرقمان اللذان هما عنوانها فاشارة الى السنة التي انتصر فيها نابليون الاول على الالمان في معركة يانا ودخل برلين والى السنة التي انتصر فيها الالمان على نابليون الثالث وولجوا فيها باريس

مشتِ الجبالُ بهم وسال الوادي ... ومضَوا مهاداً سِرْنَ فوق مهادِ [1]

يُحدى بهم متطوّعين كأنهم ... عِيسٌ ولكنَّ الفناء الحادي

لله يومٌ قد تقادَم عهدهُ ... فيها وظلَّ يروعُ كل فؤاد

يوم تجفّ لذكره انهارها ... خوفاً ويجري قلبُ كلّ جماد

واذا قرأنا وصفه فكأنهُ ... بدمٍ زكيٍّ خُطَّ لا بمداد

ونكاد نسمع للقتال دويَّه ... ونرى الفوارس في لقاً وطراد

لبروسيا في ارض « يانا » عسكر ... مَجْرٌ [2] شديدُ البأس وافي الزاد

وخيامُه في الافق ماثِلةٌ على ... ترتيب سلسلةٍ من الاطوادِ

نفرت طلائعُ خيلهِ منذُ الضحى ... تترقّبُ الاعداء بالمرصاد

---

(١) السهول (٢) جرَّار

فاتوا كما يجري الأَتيُّ[١] مشعَّبــا في غير مجرى مائـهِ المعتادِ
وكأن نابليـون في إشرافـهِ علمٌ على علمٍ[٢] الزعامـة بادِ
المجـدُ رَهنُ اشـارةٍ بيمينـهِ والنصرُ بين يديهِ كالمُنقـاد
والفخرُ في راياتهِ متمثـلٌ وطلائعُ العُقبانِ في تَرداد
فتهيأَ الالمانُ لاستقبالهِ كالحائط المرصوص من اجساد
وعلا هُتاف مازجتـه غماغم من سلّ أسلحةٍ وركض جياد
ورنينُ آلاتٍ تـكاد تظنها متجـاوبات العزفِ بالإيعـاد
حتى اذا كمل العتاد[٣] تقاذفوا بالنـار ذات البرق والإرعاد
شهبٌ ضخام آتياتٌ والردى بمسيرهنَّ ومثلهنَّ غواد
تُلقي الرجالَ على الثرى قتلى كما يلقي السنابلَ منجلُ الحصادِ
لله درُّهمُ وقـد حميَ الوغى فتهـاجموا كتهـاجم الآساد
تدعو الجراحةُ أختها بصدورهم والسيفُ يتلو السيفَ في الاجياد
واذا التقى بطلان لم يتجندلا الا معاً من شدة الاحقـاد
واذا جواد خرَّ فارسهُ دعا بصهيله ذا حاجـةٍ بجـواد
والموتُ في الجيشين غيرُ مجاملٍ يجتاحُ بالازواج والافراد
يطوي الصفوفَ ويتركُ الدمَ إثره فكأنهُ فُلكٌ بجرٍ عباد
ما زال يفتك والنفوس زواهقٌ وكأنَّ تلكَ هنيهـةُ الميعاد
حتى تولى الذعرُ جيش بروسيـا فتفرقوا بين القفـار بَداد
فسعى الفرنسيون في آثارهم بعزائم لا ينثلمنَ حداد[٤]

(١) السيل (٢) جبل (٣) الاستعداد (٤) عزائم ماضية كحدود السيوف غير انها لا تُفلّل

يستكبر الصعلوكُ منهم دائماً ... في اضلع الابطال والقوادِ
واستفتحوا برلينَ وهي منيعة ... وقضوا بها الايامَ كالاعيادِ
وأقام أصحاب البلاد مآتماً ... وكَسوا على القتلى ثياب حِداد
ناحت عرائسهم على أزواجها ... والامهاتُ بكت على الاولاد
واشتدَّ حزنهم ولم يكُ مجدياً ... من بعدِ فقد احبةٍ وبلاد
الحزنُ يُخمِدُ والمذلةُ جمرةٌ ... لا تنطفي الاَّ بسيلِ جَسَاد[1]
عادَ الربيعُ لهم كسالفِ عهدهِ ... يزهو على الاغوارِ والانجاد
يا حسنَهُ بلداً خصيباً طيباً ... لكنهُ نَهْبُ الغريبِ العادي
تتبسمُ الأزهارُ فيه حيثما ... عَبَس الحِمامُ[2] بهالكِ الأجناد
يا خجلةَ الاحرار من موتاهمُ ... يثوونَ حيثُ المالكونَ أعادي
فاستعصموا بالصبر ثم تكاتفوا ... وتحرَّروا من رِقِّ الاستعباد
وتأهبوا للثار والاحقادُ في ... أكبادِهم كالبيضِ[3] في الاغماد
حتى اذا اشتدوا وضاقَ عدوُّهم ... ذَرْعاً بهم أصلوهُ حربَ جِهاد
وبنوا رجاءهمُ على استعدادِهمْ ... لا خيرَ في املٍ بلا استعداد
هدموا معالمه وروّوا ردمها ... بدماهُ فاختلطا دماً برماد
واستفتحوا باريسَ فاستوفوا بها ... أوتارهم[4] وشفَوا صدى[5] الاكباد
كلٌّ بمسعاهُ يفوزُ ومن ينب ... عنهُ الحوادث لم يفز بمراد

سنة ١٨٨٨



(١) دم (٢) الموت (٣) السيوف (٤) ثاراتهم (٥) عطش

في تشييع جنازة

خرجت صباحاً من منزلي بمصر واذا نعشٌ مكسوٌّ بالبياض محلىً بالزهر يتبعه رهط من الفتيان الافرنج فسألت أحدهم عن ذلك الفقيد فاجابني انه شابٌ انتحر غراماً فخرجوا يشيعونه فشيعته معهم على غير معرفة به وطفقت ارثيه بهذه الابيات التي هي اول ما نظمته بعد الترك الطويل

قرَّبتهُ فما ارتوى ... وجفَتْه فما أُرعوى
غادة مَن سعى الى ... غاية عندها غوى
جُنَّ فيها وقبلهُ ... جُنَّ قيسٌ من الهوى
وقضى خالدَ النوى[1] ... يتداوى من النوى
فبكيناه من اسىً[2] ... والبكا للأَسى دوا
ودفناهُ برّد ال ... غيثُ[3] قبراً به ثوى
ما عرفناهُ قبل ان ... مات صبراً من الجوى
انما نحن في الهوى ... اخوةٌ حكمنا سَوا
كلٌّ عانٍ عناءنا ... فهو من اهلنا هوا
كلنا يطلبُ الردى ... حيثما سمَّهُ التوى
فالشجاعُ الذي مضى ... قبلنا يحملُ اللوا
والجريء الذي اُقتفى ... والبطيءُ الذي نوى

كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٤

---

(١) البعد (٢) حزن (٣) المطر

المرآة الناظرة

« أو عين الام »

كنت في حديقة الجيزة اصيل يوم هبت فيهِ ريح السموم
فرأيت فتاة تنظر في عيني امها وتصلح شعرها

عاجت بروضٍ في الاصيل تطوفها ... كمليكةٍ طافت معاهدَ حكمها
حسناء امرَّها الجمالُ فانشأت ... في ايكها الاطيارُ تخطبُ باسمها
والحسنُ اكملُ ما يكونُ شبيبةً ... في بدئها وملاحةً في تمها
سترت بأخضرَ سندسيٍّ جيدها ... فحكى المحيا وردةً في كمها
وتمايلت في ثوب خزٍّ[١] مورقٍ ... غصناً وهل للغصن نضرة جسمها
فاذا دنت في سيرها من زهرةٍ ... همّت بأخذ ذيولها وبلثمها
أو جاورت فرعاً رطيباً ليناً ... أهوى بمعطفهِ ومالَ لضمّها
وتحفُّها مقل[٢] الورى فيخزنها[٣] ... بحيائها ويشكنها[٤] في وَهمها
كالنحل طفنَ بزهرةٍ فلسعنها ... ورشفنَ منها ما رَشفنَ برُغمها
حتى اذا حلّى العياء[٥] جبينها ... بندًى وأخمدَ جمرةً من عزمها
جلست تقابل أمها وكأنما ... كلتاهما جلستْ قبالةَ رَسمها
والروضُ ساكنة الى نسماتها ... تصغي لطيب حديثها ولنمّها
إذ هبَّ فيها عاصف مالت به ... عذَباتها حتى التقينَ بنجمها[٦]
وتناثرت ضُفرُ الفتاةِ غمائماً ... سترَت عن الابصار طلعة نجمها

(١) حرير (٢) عيون (٣) من الوخز وهو الالم الذي تحدثه رؤوس الإبر (٤) من الم الشوك (٥) التعب (٦) ما نجم من النبات على غير ساق .

فتحيرت فيما تحاولُ وهيَ قد ... أعيت بلا مرآتهـا عن نظمها
فدنت تحاذي أمَّها وتناظرت ... بعيونهـا وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة اذا أضلّتْ ساعةً ... مرآتها نظرتْ بعينيَ أمها

نيسان (ابريل) سنة ١٨٩٤

بدري وبدر السماء

حسناء لكن نَفورُ ... بادٍ عليهـا الفتورُ
اذا رنت[١] غار منها ... في الحي عينٌ وحورُ[٢]
وان تمسْ فإليهـا ... منى النفوس تطيرُ
لا تكسر الجفنَ الاّ ... وقلب صبٍّ كسير
ولا تبسَّمُ الاّ ... وجفنُ باكٍ يمور[٣]
ولا تلفَّتُ الا ... وجيرةُ الحي صور[٤]
يا قرةً لعيـوني ... في الصدر منها سعير
كم جئتكم مستزيراً[٥] ... وطيفكم لا يزور
ان كان صبري قليلاً ... فان وجدي كثيرُ
وما المحبُّ صدوقٌ ... في الحب وهو صبورُ
يا بدر سمّيت بدراً ... وأين منكَ البدور

(١) نظرت (٢) ذوات العيون الجميلة (٣) يسيل (٤) مائلة اعناقهم (٥) طالباً الزيارة

اين الجمادُ منيراً ... من الحياة تنير
أين الصباحةُ فيه ... وأين منه الشعور
أين السنى وهو شيبٌ ... من الصبي وهو نور
لم أنسَ حين التقينا ... والروضُ زاهٍ نضير
إذِ العيونُ نيام ... والليلُ راءٍ حسير (١)
نشكو الغرامَ دِعابا ... وربّ شاكٍ شكور
وفي الهواء حنينٌ ... من الهوى وزفير
وللمياه أنينٌ ... تذوبُ منه الصخور
وللنسيم حديثٌ ... على المروج يدور
وللازاهر فكر ... يرويه عنها العبير
والبدر في الغيم يخفى ... آناً وآناً يثور
والسحبُ شبه جوارٍ ... لديهِ وهو أمير
تدنو اليه فتلقي ... تحيةً وتسير
مناظرٌ رائعاتٌ ... مرآتهن الغدير
تعاطهن التناغي (٢) ... ودأبه التصويرُ
فيا لعهد مفدّىً ... به وفانا السرور
مضى قصيراً ولكن ... للسعدِ عهدٌ قصير

ايار (مايو) سنة ١٨٩٤

---

(١) اراد به الليل الذي رقت ظلمته فشفت عن ضياء ضئيل كرؤية الاحسر ذي النظر الضعيف (٢) الترائي في الماء

فاجعة في هزل

« جرت هذه الحادثة في قرية بلبنان وذكرها لي بعض شهودها »

كانوا ثمانيةً من الندماء ... متآلفين كأنجم الجوزاء
في مجلس حجب الشبابُ بأمرهم ... ابوابه الاّ على السراء
متحدثين ولا يطيب لمثلهم ... الاحديثُ الحسن والحسناء
حتى اذا اعتكرَ الظلام ومزقت ... احشاؤهُ فدمين(١) بالاضواء
وتثاقلت اشباحهم وتخففت ... أرواحهم من نشوةِ الصهباء
اصغوا لقول فتى جريءٍ منهم ... غضّ الشبيبة جامح الاهواء
يا ايها الاخوانُ اسمع نسوةً ... بجوارنا في حفلةٍ وغناء
فهلمّ نحتلْ حيلةً فيجئننا ... لا خيرَ في انس بغير نساء
قالوا فما هيَ قالَ أرقد موهماً ... أني قضيتُ معاجلاً بقضاء
فاذا انتحبتم جئنكم فبرزتُ من ... كفني وفزنا باجتماع صفاء
فنعاهُ ناعٍ راعهنّ فجئنَ في ... هرجٍ لتوديع الفقيد النائي
وبكينهُ حتى علمنَ بسرّ ما ... كادوا فمدنَ الى اتمّ هناء
كشموس ايام الشتاء اذا انجلت ... عاد الضياء مضاعفَ اللألاء
وحفلنَ حول سريرهِ ينهرنهُ ... ما شئنَ وهوَ كصخرةٍ صماء
فرفعنَ عنه غطاءهُ واذا بهِ ... بالميت اشبه منهُ بالاحياء
فظننهُ مغمىً عليهِ ولم يكن ... شيءٌ ليوقظهُ من الإغماء

(١) سالت دماؤها

فدعا لهُ الصحبُ الطبيبَ فراعهم بنعيِّهِ وبنفيِ كل رجاء
فتبدّلت افراحهم في لحظةٍ بمناحةٍ وسرورهم ببكاء
وأباتهم هذا المزاح من الردى(١) في شرّ ما يبكي من الارزاء(٢)
لو عاش صاحبهم لعاش رهينةً من بعدها للهجعة السوداء
وكذا الحقيقةُ جِدُّها ومِزاحها سِيَّان في الإِشقاء والإِفناء

ايلول (اغسطس) سنة ١٨٩٤



جواب

بعث الى الناظم صديق من الاسكندرية يدعى حبيباً بقصيدة مداعبة وصف له فيها معاهد كانا يختلفان اليها و بالغ على الخصوص في وصف فتاة كانت آية في الجمال من غير تسمية لها ولا اشارة ظاهرة اليها فاجابه عليها بمثل تلك المداعبة

وافى الكتابُ فأحيى قلبَ المشوقِ الكئيبِ
بنظرةٍ من صديقٍ عن اعيني محجوبِ
ورَجعِ صوتٍ رقيقٍ حرمتهُ في المغيب
كانما انتَ فيهِ مخاطبي عن قريب
هذا محياكَ باذٍ ولستُ بالمستريب
وذا حديثك في مسمعِ الخليلِ الطروب

(١) الموت (٢) المصائب

فيا لأمرٍ عجابٍ يُحيرُ عقل اللبيبِ
مُكاتِبي وهو عندي في اسطر المكتوبِ
هذا الحبيبُ اراهُ وذا خطابُ الحبيب

*
* *

اسلتَ دمعي لذكرى صحبي وهجت لهيبي
فيا لاخوان أُنسي من كلّ حرٍّ اديبِ
ويا لدارٍ هوانا ذات الهواء اللعوب
اذ تعرض الغيدُ[1] فيها كعرض جيشٍ مهيب
محاسن تتوالى فيها وَلاءَ الذنوب

*
* *

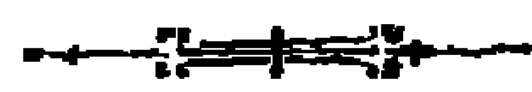
ويا لادماء تمشي والتُربُ حبُّ القلوبِ
تبدو كشمسِ صباح والوقتُ وقتُ غروب
مليكةٌ ذاتُ وجهٍ سمح وطرفٍ[2] مذيب
بالنورِ تنزلُ آيا تِ حكمها المرهوب
مثالها من ضميري في مقدسٍ محجوب
مسيّج من غرامي وغيرتي بلهيب
يجثو فؤادي فيهِ بين اللظى[3] المشبوبِ
ويعبدُ الطيف منها في مأمنٍ من رقيب

*
* *

(١) النساء المتثنيات ليناً (٢) عين (٣) الضرام

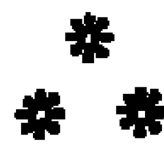
لكن اغاز عليها ... من ذي دهاء اريب
اخي مزاح ولطفٍ ... مستظرف التشبيبِ [١]
وما عَنيتُ « حبيباً » ... حاشا وفاء « حبيب »

كانون اول (دسمبر) سنة ١٨٩٤



مشاكاة [٢]

أرى مثل سهدي في الكوكبِ ... أحلَّ به مثل ما حلَّ بي
يهيم هيامي من وجده ... ويهرب من مهده مهربي
ونجتاز هذا الفضاء الرحيبَ ... الأ بنا فهو لم يرحبِ
اذا سرتُ بحراً أراهُ به ... أنيسيَ عن جانب المركب
وان سرت براً يجاري خطايَ ... ففي الشرق آناً وفي المغرب
فيا نجم ما النار تفني حشاكَ ... وما سَيل مدمعك الصيّب
أسرَّ هواك الى صاحب ... يؤاخيك في همك المنصب [٣]
اما كل ذي كلف [٤] متعبٌ ... شريكٌ لذي الكلف المتعب



فيا لكَ من صامت ناطق ... ويا لك من معجم معربِ
أنيسٍ على ما به من أسىً ... شجيِّ التبسم مستعذب
مشوقٍ الى الشمس طلاَّبها ... مجدٍّ على شقة المطلبِ

---

(١) المغازلة (٢) تشاكي صاحبين (٣) المتعب (٤) غرام

اذا كَلَّ جهداً فاغضي بدَت | وان هبَّ يرقبها تختبي
عذيرُكَ من انتَ مرآته | بحبكَ والأَمل الأَخيبِ

***

وبي مثل ما بك من شاغلٍ | ولي مثل ما لكَ من مأربِ
فتاة كصوغِ الضياء اليها | تناهت مُنى قلبيَ الموصبِ (١)
من الحور دانَ فؤادي بها | ووحَّدها الحب في مذهبي
فان كنتَ يا نجمُ طالعتها | وقد سفرت لك في مرقبِ
فأنت اذن في الهوى عاذري | ولستَ لسهدي بمستغربِ

ايار (مايو) سنة ١٨٩٥



زفاف ام جنازة

قيلت في جنازة جعلت على شكل موكب زفاف لفتاة اسمها « شمس » توفيت في ريعان شبابها وكانت مخطوبة لرئيس جند من الفرسان

عزيزٌ غروبُ البِكر في بُكرة العمرِ | كغيبة شمس الافق في طلعة الفجرِ
فيا شمسُ سرعانَ القضاء تهجماً | عليك ولم يمهلك في السبع والعشرِ
خطيبة شهر سابَقَ الموتُ بعلَها | اليها فاغواها ولكن على طهرِ
اتاها على غير ارتقاب بخدرها | سريعاً خفيفاً خارقَ الحُجب كالفكرِ
وقبَّلها فاستلَّ جوهرَ روحها | وابقى على رسمٍ كبعض الدمى (٢) الغرِ
كذلك نيران الصواعق تنثني | عن الترب إعراضاً وتأخذ بالتبرِ

(١) المريض (٢) التماثيل

فلمّا نعى الناعي الفتاةَ لأمها ... ألمّ بها سكر وما هيَ في سكرِ
عراها خبالٌ(١) فهيَ ترقص ترحةً ... وتنشد أصوات السرور ولا تدري
وتهذي على الحيّ بما شاء ثكلها ... وينهلُّ من أجفانها الدمعُ كالقطر

*
* *

« بنيةِ لا بأسٌ عليك من الردى ... فانك في أمن لدى بعلك الحرّ
عروسٌ يفدّيها بمهجته فتى ... لها بذل الغالي النفيس من المَهر
فياافرس الفرسان في حومة الوغى(٢) ... اذا سالت الاسيافُ بالانفس الحمر
تخذناك بعد الله حاميَ دارنا ... وليس لنا عونٌ سواك على الضرّ
فكيف ينال الموت من انت عاصم ... فيخطفها مني ويسلمُ من وِتر(٣)
لمن تستعدُّ السيفَ كنت أودّهُ ... يروّي الثرى الظمآنَ من مهجة الدهر
اعدوا لها ثوب الزفاف مرصعاً ... وصوغوا لها الحليَ الثمينَ من الدر
ولا تنكروا هذا السكون بنومها ... أليسَ كذا نومُ المحصنة البكر
ودمعيَ دمعُ الام في عُرس بنتها ... فلا تنكروه ليس في الدمع من نكر»

*
* *

لكِ الله ما أبهى زِفافك إنهُ ... تفرّد ما بين المواكب في مصر
ولكن لمَ الايدي تقلّك فوقها ... موسّدةً والصاحباتُ بلا عطر
يضمك نعشٌ ام اريكةُ زفة ... ويحفلُ قومٌ للسرور أم الأجر
الا إن هذا موكبُ الموت زانهُ ... لك الاهلُ بالطرز الانيق وبالزهر
وأمك لا يكفي التفجع قلبها ... اذا لم يكن في صورة السعد والبِشر

---

(١) شبه جنون (٢) ميدان القتال (٣) انتقام

فيا شمسَ حسن بكّرت في زوالها   لئن غبت فالزُهر الثوابتُ في الاثر
بكيتكِ لا أني عرفتكِ انما   لخطبك هذا كلُّ ناضبة(١) تجري

كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٩٥

نابوليون الاول

« وهنري بموث »

اماتَ اولئك الجندُ الكرامُ   ولم يثبُتْ لهم اثرٌ مُقامُ
سوى قول الرواة حيُوا ليقضوا   مُنى رجلٍ كبيرٍ ثم ناموا
تفانوا في بناء اسمٍ عظيم   وما اسماؤهم الاَّ الرُغامُ (٢)
يسخّرِ ربك الدنيا لفانٍ   لهُ ولربّهِ فيهِ مرامُ
وقد يُلقي محبتهُ عليهِ   فتوشكُ ان توحدَهُ الانام

***

كذاك احب نابليونَ جندٌ   همُ بفخاره نهضوا وقاموا
أبالسُ لا تُرَدّ ولا تلاقى   ملائكُ لا تصدُّ ولا تضامُ
أعزة يومِ أُسترلتس كانوا   قليلاً والعدى كثرٌ ضخام
تلاقوا مقبلين على اشتياق   ولكن لا ودادَ ولا سلام
وكانت قبلةُ الاشواق فيهم   ضِراباً لا تقرُّ عليهِ هام
وطال وما شفى لهم غليلاً   منَ الوجدِ التمانقُ واللزام

(١) عين جف ماؤها   (٢) التراب

فلم يكُ مجديَ الروس التفاني ولا الخلفاء بأسٌ واقتحام
ولا عصمَ الصقيع[١] وكان منه معاقلُ خلفها لهمْ اعتصام
وقيّضَ للفرنسيين نصرٌ اتاهم فوق ما ظنوا وراموا
فطابوا في الغبوقِ[٢] بهِ نفوساً وراق لهم مع الظفر المدام
وحدث قومَه الصعلوكُ منهم بما كانت وقائعهُ الجسام

***

وكان فتى لهُ سيما زعيمٍ ينكّره التفرُّدُ والظلامُ
عريضُ الجبهةِ الغراء يبدو بها شَعَرٌ كما رقّ الغمامُ
حديدُ[٣] الناظرين اذا اثيرا فمصباحان ملؤهما ضِرام
تراهُ العينُ جباراً عظيماً لهيبتهِ وان قصر القوام
يمرّ بهم وقد ثملوا افتخاراً واعياءً فكلهمُ نيام
اذا تعب الجنود فليس بدعٌ بان لا يتعب الملك الهمام
فطاف بهم وبالجرحى افتقاداً وكان مبرةً منهُ اللمام[٤]
وفارقهم الى حيثُ استقرّت من القتلى الجماجمُ والعظام
يدوس على الرفات ولا اهتمام ويعثو في الدماء ولا اغتمام
وينظر ما جناهُ قريرَ عينٍ ولا حرج عليهِ ولا ملام
اذ استرعاهُ[٥] نزعُ فتىً جديلٍ[٦] بجانبهِ يصارعهُ الحمام
فطأطأ نحوهُ رأساً لديهِ تحدّبت القياصرة العظام
وخاطبَ راقداً من يلتقيهِ بمجلسهِ الملوكُ وهم قيام

---

(١) الجليد (٢) شرب المساء (٣) حاد النظر (٤) الافتقاد
(٥) استماله للسماع (٦) صريع

وألقى ركبتيهِ على صعيدٍ[1] يمازج تربه الدم والحطام[2]
ولم يكُ جاثياً لله الا ومركعه على عمد يقام
تخلَّ عن الفتى ثوباً خضيباً كأن تقوَبه فيهِ كِلام[3]
وأبصر في ترائبه[4] صدوعاً على دخَل[5] يعزُّ لها التئام
فلما ثابَ[6] للعاني شعورٌ نفاهُ الضعفُ عنهُ والسقام
وأدرك مَن بجانبه تراءى بطرفيهِ الكليلين اضطرام
فآساهُ معالجهُ بقول جميلٍ والمؤاساةُ اقتسام
وزاد ندىً فقلدهُ وساماً وكلُّ جراحةٍ فيه وسام
تلقاهُ وفي عينيهِ شكرٌ تسلسلهُ مدامعهُ السجام
وأنطقهُ الولاءُ وكم شهيدٍ قبيل الموت يُحييه الذمام
فقال تعيش يا ملكي وتفدى وماتَ وفي محياهُ ابتسامُ

تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٥



نابوليون وهو يرقب السماء في اخريات ايامه

قالوا لنابليون ذات عشيةٍ اذ كان يرقب في السماء الانجما
هل بعد فتح الارض من أمنية فأجاب انظر كيف افتتح السما



---

(١) ارض (٢) ما تكسَّر من اليَبِس (٣) جراح (٤) عظام الصدر
(٥) غش (٦) رجع

تهنئة

للجناب الخديوي عباس الثاني

« على اثر فتح السودان »

وكان سموه قد جال الامصار في اوربا وعاد سالماً غانماً

النيلُ عبدكَ والمياهُ جواري[1] ... باليمن والبركات فيهِ جوارِ
امنتهُ بمعاقل وجواري[2] ... وجعلتهُ ملكاً عزيزَ جِوارِ
انظر سفائنك التي سيرتها ... فيهِ كأطواد على التيار
وانظر جنودك في الفلاة تحملوا ... شرّ العقابِ لامة اشرار
حصروا العدو فما وقتهُ حصونه ... من بأسهم وكثافةُ الاسوار
يفني بقذوفاتهم حرقاً كما ... تفنى الفرائس والسباع ضوار
ويُدمّر النساف ثمّ قلاعهِ ... فيثيرها منثورةً كغبار
ويدكّ من شوس[3] الرجال معاقلاً ... فيظلُّ شكل الموت شبكل دَمار
من لم يبدْ بالسيف منهم والقنا ... فهلاكهُ بالماء او بالنار
قوم بغوا فجنوا ثمار فسادهم ... بالموبقات وتلك شرّ ثمار
ولو الزمان اراد عادوا خضعاً ... لجميل رأيك عود الاستغفار
لكن ابى لك ان تفوز مسالماً ... وقضت بذلك حكمة الاقدار
فسقيت صادئة النصال دماءهم ... وكفيت خيلك داء الاستقرار
بالامس كانوا دولةً ممدودةً ... واليوم هم خبرٌ من الاخبار

---

(١) بمعنى الخوادم (٢) سفن (٣) ابطال

بالامس كانوا سادةً واليومَ هم — بعض العبيد بصورة الاحرار
بالامس يمتلكُ الرقابَ اميرُهم — واليوم يملك نفسهُ بفرار
صغروا لديك فلم تسر لقتالهم — وهم الكبارُ رميتهم بكبار
ومضيت تملك امرهم من قبلما — شب النزال وآذنوا ببوار
تجري بسيد مصر فلكٌ ضمها — فلك من الدأماء غير مدار
سيارة بجنح الظلام منيرة — في الافق مثل الكوكب السيار
او يستقلّ به مغيرٌ منجد — جوّابُ آفاق كبرق واري
تتقذّف النيرانُ منه كأنه — اسد مثار في طلابة ثار
ان تغمض الاجفان عنه طرفةً — تُفتحْ له واذا به متواري
سر كيف شئت لك القلوب منازل — انى انتقلت فمصر في الامصار
واطو المغارب خافياً لو أنها — تخفي علاك مطالع الانوار
وتلقّ في دار الخلافة مشرفاً — ما شئت من شرف ومن إكبار
وارجع الى الدار التي اوحشتها — عود الربيع الى ربوع الدار
واهنأ بابهج ملتقى من امة — تهواك في الاعلان والاسرار
حلّت سرائرهم سواد عيونهم — شوقاً اليك فترن في الابصار
اهلاً برب النيل والوادي بما — فيه من الارياف والاقطار
بالعازم العزماتِ وهي صوادق — ومعاقب الظلمات بالاسحار
بالفاتح الباني لمصرَ من العلى — صرحاً يزكّي شاهدَ الاثار
ومعقّب الفخر التليد بطارف — لولاه كاد يكون سُبّة عار
فخرٌ تحولَ مهدهُ لحداً له — زمناً وعادَ اليوم مهدَ فخار

نوفمبر سنة ١٨٩٥

الى جميلة اديبة

يا عيوناً تسقي العيون الرحيقا[1] واصلي مدمناً[2] ابى ان يفيقا
اسكريني على الدوام وأفني مهجتي ادمعاً وعزمي حريقا
تلك خمر الحياةِ من لم يذقها مرة ليس بالحياة خليقا
وهي حسنُ الحياة سعداً و بؤساً واصطباحاً لشَربها[3] وغبوقا[4]
انت يا من سقت فؤادي منها حرّ وجدٍ ولوعةً وخفوقا
اظلميني ما شاء ظلمك وانهي آمر الحسن ان يكون شفيقا
عذبيني فقدجنيتُ على نفسي وامسيتُ بالعقاب حقيقا
فلهذا العقابِ عاودتُ حبي ولاالقاهُ خنت عهداً وثيقا

***

رُبَّ ليلٍ محيرٍ النجم غضٍّ فيه لا يهتدي الضلولُ طريقا
ضمني مثقلاً بهمي كبحرٍ ضمّ في جوفهِ البعيدِ غريقا
أحسب السرج في حشاه قروحا وارى الشهب في سماهُ حروقا
فيهِ نامتْ سعادُ نوماً هنيئاً وتهدت مستهاماً مشوقا
حينما وارتني دجاه غروبا ابصرتني عينُ الصباح شروقا
قد تلقيتهُ وكان كثيفاً ثمّ ودعتهُ وكان رقيقا
فرأيتَ الظلام يلطف منحلاً ويلقي عليّ ظلاً دقيقا
ورأيتُ الظلّ الدقيق محيطاً بي كما يحضنُ الشقيقُ شقيقا

---

(١) الخمر (٢) دائم السكر (٣) شاربيها (٤) الاصطباح والاغتباق شرب الصباح وشرب المساء

ثم لاحتْ ذُكاءُ[١] لي فتولىَّ   حلكُ الليل بالضياء مسوقا

***

ايهـا النائمون يهنيكم النومُ   ولا زال حظي التأريقـا
ان يكُ الساهرون مثلي كثيراً   فسعادٌ اسمى وأسنى عشيقا[٢]
فاتني من جمالها الوجه طلقاً   لا يباهى والقدُّ لدْناً رشيقا
فاتني عقلها الذي يبدع الخاطر   روحاً وهيكلاً وعروقا
فاتني نظمها القريض[٣] كما تنظم   عقداً في جيدها منسوقا
فاتني لطفها الذي ينعش الوجدَ   ولو شاء أنعش التوفيقـا
ويقيمُ الآمالَ في النفس كالنور   يحيلُ البزورَ زهراً أنيقا[٤]
فتَنٌ قيّدَت بهن فؤادي   واراني اذا شكوتُ عقوقا
كلُّ مستأسَرٍ يودّ انطلاقاً   وشقائي بأن اكون طليقا

كانون الثاني (يناير) ١٨٩٦



قضية

بين القلب والعين

مداعبة مقتبسة عن تخيل بعض الغزليين من شعراء العرب

عرْض القضية

بينَ قلبي ومقْلتي   حملةٌ تُوهِنُ القوى
ونزاعٌ بفصله   حكّما قاضيَ الهوى .

(١) الشمس (٢) معشوقه (٣) الشعر (٤) جميلاً .

الدفاع عن العين

انما العين أبصرت   فصبا القلبُ واكتوى
عرضاً ابصرت ولا   ذنبَ الاّ لمن نوى

الدفاع عن القلب

وهو لولا طُموحها   لم يبت شاكيَ الجوَى
مستمراً خفوقه   كلما نَسَّمَ الهوا
شِبهَ ظمآنَ مالهُ   من ندى الدمع مرتوى

الحكم الابتدائي

قال قاضي الغرام من   سُدَّةٍ فوقَها استوى
ان تكُ العينُ أذنبت   حسبُها السُهد والنوى
كيف تُجزَى وماغوت   وسِواها الذي غوى
فعلى القلب غُرْمهُ   فهيَ لم تجنِ بل هوا

حكم الاستئناف

هي مالت فسبَّبت   وهو جارى فما ارعوى
فليُعاقبْ كلاهما   فهما في الهوى سوا

النقض والابرام

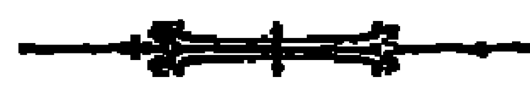
ألقلوبِ والمقَلْ(١)   هنّ للهوى رُسُلُ
لسْنَ للهوى عللاً   في الهوى لها عللُ

---

(١) العيون

ربّها وآمرها يقتضي فتمتثلُ
حاكمٌ مشيئته لا تردّها الحيلُ
الوجود دولته ارضنا بها عملٌ [1]
الامير خادمه والحكيم والبطل
النجوم في يده تنتحي وتنتقل
الحياة موطنهُ والخلائق السبلُ
الدوام مبدؤه والنهاية الازلُ
السنى [2] تبسمهُ وهو ضاحك جذل
والدجى [3] عبوستهُ والخطوب والوهَلَ [4]
السرور في فمه والعذاب والاجل
من يطيقُ حملته من له بها قِبَل [5]
عينك التي نظرت منهُ جاءها المَيَل [6]
والفؤاد طاوعها وهو مكرهٌ وجِل
فالمسيء غيرُها ما اليه متّصل
انما الجزاء لمن عنه يصدرَ الزّلل
علةٌ لما فعلا لو تعاقبُ العلل

شباط (فبراير) ١٨٩٦



(١) ولاية (٢) النور (٣) الظلام (٤) المصائب والخوف
(٥) قدرة عليها (٦) الانحراف .

يوسف أفندي

حكاية تسمية بعض البرتقال بهذا الاسم في مصر

خرجت هندُ ذاتَ يوم وفوزٌ وسعادٌ يهمنَ[1] من غير قصد
يتهادَينَ[2] في الرياض أصيلاً لاعبات تواركاً كلَّ جِدِّ
فَرِحاتٌ يرينَ ما ألِفته كلُّ عينٍ لحادثٍ مستجِدّ

* * *

كان فصلُ الخريفِ والوقتُ أصفى ما يكون اعتدالُ حرٍّ وبَرْد
تبعث الشمسُ باهراتِ شِعاعٍ تغتدي في انحدارها شبهَ رُبْدِ[3]
فهي في الافقِ تارةً مسحاتٌ من بهار وتارةً نثرُ وَرْد
وهي بين الغصون نسجٌ دقيقٌ من نضار[4] يشفّ عن لازوَرْد

* * *

شارفت هندُ روضةً ثم قالت وهي تفترّ[5] عن جواهرِ عقدِ
أنظراها خليلتيَّ اليستْ شبه بيتٍ كثيرِ اهلٍ وولْدْ
حبذا هذه الثمار الرَّضيعات تعلقنَ كلُّ طفلٍ بنهدْ
وبجدّي[6] شيخ من الدوح[7] صُلب هو ثرثارة عبوس كجَدّي
فتضاحكنَ من مقالة هند وتمايلنَ عن افانين رَند[8]

* * *

---

(١) يسرن بلا قصد (٢) يتمايلن (٣) سمراء سنجابية (٤) ذهب (٥) تبسّم (٦) افدي بجدّي (٧) الشجر العظيم (٨) اغصان

عجباً كان للصواحب مرأى كلّ هذا وكان مألوف عهد
فتمادينَ في المسير يميناً وشمالاً وما شعرنَ بكدّ
صافياتِ الافكار من كل همٍّ خاليات القلوب من كل وجد

***

اذ رأت فوزُ روئيةً اعجبتها فأشارت الى سعاد وهند
ما تُرى هذه الثمارُ البوادي[1] كشموس صغيرة عن بُعد
هي كالبرتقال لولا شفاهُ قدّمتها للعودِ بُغية وِرْد[2]
قالتا لاندري فقالت اعونا منكما ان علمتما ما بودّي
حبذا الاِثم لو لطفنا اليها سارقاتٍ اخافُ أفعل وحدي

***

واذا حارسٌ بدا من خفاء كتراءي الشيطان في شكل عبد
فتهيّبنه خفيًّا بشوشاً عن وميضٍ[3] في حالكٍ مسودّ
قلن يا حارس المكان افدنا لمن البيتُ انهُ بيت مجد
قال بيتُ الامير يوسفَ هذا فحمدن الزنجيَّ احسنَ حمد
وتراجعنَ هيبةً صامتاتٍ ليس منهن من تعيد وتبدي
آسفاتٍ على مُنىً[4] شائقاتٍ فزنَ منها بخيبة وبصدّ
ناظرات الى الشموس اللواتي عدنَ عنها بمثل أعين رُمْد
يتمثّلنها[5] عبيراً ذكياً وشراباً عَذْباً وطعماً كشهد
كان هذا لهنّ همّاً وهل في حالةٍ بعده مظنّةُ سعد

---

(١) الظاهرة (٢) طلباً للشرب (٣) برق (٤) مشتهيات
(٥) يتصورنها

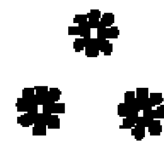
نعم ذاكَ الزمانُ كان على ما أفسدَ الجهلُ فيهِ أطيبَ عهد
يومَ تلك الثمارُ انفسُ شيءٍ عندهم والأميرُ فيهم افندي



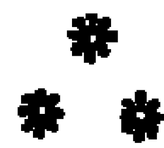
النجمتان

اهديت الى احدى عقائل المجد من السيدات المحسنات في باريس

توارَت الشمسُ بالخِباء وقد طوَت رايةَ الاصيل
واقبلت نجمةُ المساء تشفي بأنوارها الغليل



كم نجمة في الظلام تبدو لكنها ربةُ النجوم
هنَّ جوارٍ لها وجندُ كجوهرٍ حولها نظيم
هواؤها عنبر وندٌّ غذاؤها النور والنعيم
تسرح منشورةَ الرِداء في مسرح اللهو والذهول
خائضةً ابحر الهناء في نسمٍ كلها قَبول



لكنها غادةٌ غيورُ ـ وايُّ حسناء لا تغارُ ـ
فربما ساءها نظيرٌ ترى غديراً به استتارْ
فكاد من لحظها يثور نبع طفورٌ من الشرار
من يخلُ من شاغلِ العناء فوهمه الشاغلُ الثقيل

رسمكِ هذا في حوض ماء　　يا من تنزهتِ عن مثيل

* * *

هواكِ عذب بلا عذابِ　　ومنكِ تحلو لنا الشجُون
وفيكِ ضوءٌ بلا التهابِ　　تقرُّ مما صفا العيون
وحبذا انتِ في اضطرابِ　　وحبذا انتِ في سكون
كلمعة السعد في الشقاء　　كدمعة الوجد في المسيل
كالبِكر بالحسنِ والحياء　　وغضّها طرفها الخجول

* * *

فدًى لكِ الدرُّ والدراري　　وخرّد الحسن والدلال
الا التي انتِ من جواري　　دولتها دولةِ الكمال
جامعةُ اللطف والوقار　　وحسنَي الوجهِ والخلال
كلتاكما نجمتا ضياء　　لكنها نجمةُ العقول
وانتِ اولى بالاقتداء　　جمال من تصنع الجميل

قُرطا مارية[١]

مثّلَ شَنْفاكِ[٢] لي　　درّا جرى من صدَف
فراحَ في سَيله　　معتلقاً بالطرَف

---

(١) هما قرطان ضرب بهما المثل وتسمّي العامّة الاقراط الحلق
(٢) بمعنى القرطين وهما ما تعلقه النساء بالاذان من درٍّ ونحوه

الوردتان

اطلعت على الموشحة السابقة آنسة شرقية من اوانس البيوتات الشهيرة فبدا الناظم انها تتمنى مثلها لنفسها فاجابها الى ما تمنت

تبارك الله فهو لمّا اراد ان يبدع الكيان
ابداه فكره ولمّا يقلْ لما شاء كن فكان

* * *

فجاء ذا العالمُ العظيمُ لفظاً لفكرٍ تصوّره
الشمس والارضُ والنجومُ من مظلماتٍ ومبصره
كاحرف سِفرها الرقيم[1] مذهبةٍ او محبّره
جميعها اسمٌ وهو المسمّى في سمة الخَلق والزمان
وكل حرف حوى له اسما يضيقُ عن ضمةِ المكان

* * *

ونوّرَ الله بابتسامِ تمثيلهُ الباهر البديع
وزانَ ما فيهِ من نظام بكل ضرب من البديع
فعقّب الشمس بالظلام ودبّج العامَ بالربيع
وانهض الشاهق الاشما[2] واقعد الغور[3] فاستكان
ومدّ ماء جرى خضما[4] وتحتهُ النار في امان

* * *

---

(١) كتابها فضاء السماء (٢) الجبل العالي (٣) المتطامن من الارض
(٤) بحرا

يا ربِّ اعظمْ بما وضعتـا　　في الكون من آيك[٥] العظام
ادقُّ شيء مما صنعتـا　　كجملة الخلق في التمام
وكل جزء به جمعتـا　　عجائب الكل حيث قام
نثرتَ نـثراً فجـاء نظما　　بديعهُ حليـةُ البيـان
وكل بيتٍ منـهُ استتما　　قصيدةً تخلب الجنـان[١]

*
* *

لكنَّ في صنعك الجليـلِ　　احبّ شيء لنـا الزهَر
خلقتـهُ بهجـة العقول　　ومرتع النحل والفِكَر
نكادُ من خلقه الجميل　　نستجمع النفس في البصر
عبيرهُ لا يملّ شماً　　يروّح القلب وهو عان
ونُورهُ قد يخالُ فهما　　لما يُرى فيهِ من معان

*
* *

طوائف هذه الازاهر　　وكل حزبٍ له امـير
مليكهـا الورد لم يكابر　　مُنـاظر فيـهِ او نظير
تقلدَ التاج من جواهر　　وقام للحكم في السرير
لكن يقولون جزتِ ظلما　　في الزهر يا وردة الجنان
لأنتِ أبهى وأنت اسمى　　من ان تقيمي للعدل شان

*
* *

خلقتِ بيضاء كالرجاء　　فهام في حبك النسيم

---

(١) آياتك　(٢) تسحر القلب

فراح مذ دارَ في الفضاءِ مقبلاً ثغركِ الوسيم
فبتَ في حمرة الحياءِ لذلك المنكر الجسيم
ذنبٌ تحللتماه قِدما فلبث الورد وهو قانٍ[1]
كذاكِ جاءت حواءُ أثماً فعوقب النسل غيرَ جانِ

***

فدتكِ مهما كسبتِ وزرا[2] ازاهرُ الروضِ والحِجال[3]
الاّ فتاةً اجلّ قدرا كريمةَ الخلقِ والخلال
تبرّ بالبائسين برّا وتشتري انفساً بمال
كلتاكما وردةٌ تسمى لكنها وردةُ الحسان
وافضلُ الوردتين حكما جميلةُ القلب واللسان

ان من البيان لسحرا

حكاية شاعر في احدى قبائل البادية

سرّ العذارى منبيءٌ عن شاعر للحيّ زائرْ
فقصدنه وسخرن من زَجرِالأُميات الزواجر[4]
ليرينَ فتنته التي تغوي المفيفاتِ الحرائر
فوجدنه رجلاً مليـ ـحاً خلقه حسنَ الظواهر
لا شيء يفتضح النهى فيهِ كما ادّعت النواهر[5]

(١) احمر (٢) جنيت ذنبا (٣) مقصورات النساء (٤) اشتهر عن نساء العرب انها تمنع العذارى من مقابلة الشعراء (٥) الامهات اللواتي نهينَهنّ عن رؤية الشاعر

ولمل ّ في منظومهِ آياته الكبرَ السواحر
فسألته انشاد شيءٍ من بدائعه الحواضر
فاطاعهنّ ومن ترى يعصي الجميلات الأوامر
فعقدنَ فيما حوله عقداً فريداً من جواهر
وتناولَ الرجل الربا بَ وفكرُه في الغيب ناظر
وأثارَ في الاوتارِ تغ ريداً كأن العودَ طائر
ثم انبرى يروي روا يته وتتبعه الخواطر

* * *

كان الاميرُ « مهندٌ » بطلاً شهيراً في العشائر
من آل بدرَ الباسلين الباذلين ذوي المفاخر [١]
ينضمّ تحت لوائه ألف من الأسد القساور
رجلٌ كما تهوى المحا مد خلقه والخلق باهر
ذو صولةٍ مشهورة بين البوادي والحواضر
وشجاعةٍ في القلب تخ فيها العذوبةُ في النواظر
تخشى الليوث[٢] لقاءهُ وتودّ رؤيته الجآذر [٣]
يهوى فتاةً من بني (حَمَدَ) الكرام ذوي المآثر
لكنّ بين أبي الفتا ة وبينه وتراً لواتر [٤]
فسعى ليخطبها على صلح فعادَ بسعي خاسر
فغزاهمُ برجاله وبكلّ ذي ثأر يضافر [٥]

---

(١) هذه النعوت وامثالها من مألوفات شعر البادية (٢) الاسود
(٣) الغزلان (٤) ثأراً لطالبه (٥) يساعد

فتقابلوا يومين لم يظهر من الجيشين ظاهر [1]
حتى اغتدى ذاك العرا ك كأنه بعض المجازر
فدعا مهند للبرا ز وقام يشهم [2] كل حاضر

***

فأجابه منهم فتىً متلثم ضافي الغدائر
فتجاولا وكلاهما متقحّم كالصقر كاسر
حتى تحطّمت الرما حُ فابدلاها بالبواتر
وتواثبا متهالكين كلاهما جَلْد مكابر
وكلاهما متخضّب بدم ولكن لا يحاذر
كان الملثّم لا يخا لسُ مقتلاً ممن يناقر
بل يبتغي إجهادَه لينالَ منه وهو خائر
حتى استطاع فتلّه عن سرجه للارض صاغر
وعلاهُ فهو مروّع كالشاةِ تحت ركاب ناحر
قال الامير غلبتني أفلستَ تعفو عفوَ قادر
فأجابه من فوره أبشر فانك أنتَ ظافر
ونضى [3] اللثامَ فاشرقَتْ شمسٌ اشعتها ضفائر
كانت حبيبتَه التي خاضَ الردى فيها يخاطر
فتعاهدا وتعاقدا بدماهما لا بالخناصر
وتصالحَ القومان في عُرُسٍ صفت فيه السرائر

---

(١) لم يغلب احدهما (٢) يدعو دعوة المباهي (٣) ازال

مرّت [1] مواردهم ولـ ـكنْ بعدها حلَت المصادر

***

فاطافت الفتياتُ في فلَك من الافـكار دائر
وشهدن تلك الحادثا ت كأنّ ماضيهن غابر [2]
وكأنهنّ رأين بالـ أبصار ما رأت البصائر
ثم استزدنَ فزاد ما خلبَ العقول من النوادر
حتى اذا هبطَ النهارُ كحطّ راحلةِ المسافر
ختم الكلامَ بمن حديثُ هواهُ في الامثال سائر
اذكى وابلغِ من عرة ه جنّةً لهوىً مخامر [3]
اولى وليّ ان يقيـ م العاشقون له شعائر
قيسٌ ومن كفؤٌ له بينَ الاوائل والاواخر
وافاض في وصف الملوّح [4] وهو ساجي الطرف حائر
كلِفٌ طريدٌ في القفا ر ولا معين ولا مؤازر
« ولربما مرّ الغزا ل به فيأنسُ وهو نافر
يبكي ويستبكي بشعـ ر خالصُ الدم منه قاطر
ويعلّم الوحشَ الأسى ويلين احجارَ المقابر
حتى قضى في يأسه دَنِفاً مشوقاً غيرَ صابر
نامت نواظره ولـ ـكن قلبهُ في القبر ساهر»

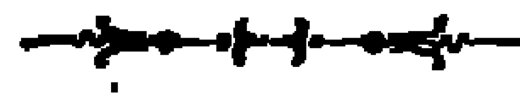
***

---

(١) كانت مرّة (٢) حاضر (٣) عراه جنون لغرام (٤) هو قيس مجنون ليلى

فبكين قيساً ترحةً ... وحبينهُ ملء الضمائر
ونظرنه في شكل من ... ابكى بما هو عنه ذاكر
ثم انثنينَ مكفكفاتٍ ... دمعهنَّ عن المحاجر
متلفتاتٍ نحو من ... هو مثله غزلٌ وشاعر
كلٌّ تقولُ بلحظها ... يا قيسُ إني بنتُ عامر (١)
تالله أنصفتِ النوا ... صح ليس هذا غيرَ ساحر

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٦



السور الكبير في الصين

الشاعر

ما للمليك مؤرقاً يتقلبُ ... هل يحملُ الهمَّ السريرُ المذهبُ
أنت الرجاءُ فأيَّ شيءٍ ترتجي ... والرَّوع (٢) أنتَ فأيَّ شيءٍ ترهب
والمُلك جسمٌ أنتَ فيهِ هامةٌ ... ويداك مشرقُ شمسهِ والمغرب

الملك

إني منيتُ بامةٍ مخمورةٍ ... من ذلها ولها القناعة مشرب
لا ظلمَ يغضبهم ولو أودى بهم ... وهل استفزت أمة لا تغضب
ان يبكِ ثاكلُ وُلدهِ وزجرتهُ ... عن نحبهِ ألفيتَه (٣) لا ينحب
واذا نهيتَ عن الورود (٤) عطاشهم ... وتحرقت أكبادُهم لم يشربوا

---

(١) ليلى (٢) الخوف (٣) وجدتهُ (٤) الشرب

واذا أذبتَ الشحمَ من اجسامهم ... تعباً فـان نفوسهم لا تتعبُ
أعياني التفكيرُ في أدوائهم ... مما عصينَ وحرتُ كيفَ أطببُ
ان الجمادَ ابرُّ من ارواحهم ... بهم وامتنُ في الدفاع وأصلب
فلأبنينَّ لهم جداراً ثابتاً ... كالارض لا يفنى ولا يتخرّب
تقعُ الدهورُ وكلُّ جيشٍ ظافرٍ ... من دونه وثبـاتـه متغلب
وتهز منكبه الصواعقُ حيثما ... شاءت ولا يهتزُّ منه المنكب
ويعضُّه نابُ الصواعق محرقاً ... فيردُّهُ كَسراً ولا يتثقّب
ويميدُ ظهرُ الارض تحتَ ركابه ... وركابهُ في المَتْن لا تتنكّب
ولأجعلنّ به البلادَ منيعةً ... يرتدُّ عنهـا الطـامعُ المتوثب
ولأدعونّ ممالكي وشعوبها ... بأُسمي فيجمعُ شملها المتشعب
ولأمحونّ رسومَ أسلافي بهـا ... فيبيتُ ماضي الصين وهو محجّب
ويُظَنُّ عهدي بَدْءَ عهد وجودها ... فيتمّ لي الفخرُ الذي أتطلب

الشاعر

يا ايهـا الملكُ الذي حسناتُه ... فوقَ الذي نثني عليه ونُطنب
كم غزوةٍ لك في عداك عجيبةٍ ... لا شيء غيرَ نداك منهـا أعجب
كم رحمةٍ قلّدتَ أقواماً بهـا ... أعناقَهم والسيفُ يوشِكُ يسلب
كم منةٍ لك في العباد جميلةٍ ... كالشمسِ تنمي روضة وتذهّب
هذي كوافلُ حسن ذكرك في الورى ... وأبرُّ ما يبقى الفَعال الطيب
يكفيك فخراً ان أعظمَ أمـةٍ ... تنضمّ في مُلك الى اسمك ينسب
فعلامَ انتَ تزيلُ ذكرَ ملوكها ... وملوكها العظماء موتى غُيّب
ان تمحُ من أسفارهم أخبارهم ... فالصخر ينْحَتُ والمناحتُ تكتب

وليعلمنّ الناس بعدك أمرهم فتلامُ ما طالَ المدى وتؤنَّب
خدعتك كاذبةُ المُنى بوعودها والحُرّ يُخدَع والاماني تكذب
واذا نظرتَ الى الحقيقة صادقاً فالذكرُ ليس يُعيد عمراً يذهب
أما الجدار فلو رفعتَ بناءه حتى استقرَّ على ذراه الكوكب
ولو الجبالُ جعلنَ بعضَ حجارهِ ولحمنَ حتى الماء لا يتسرّب
فليُحدثن الناس ما هو فوقه عِظَماً واتقاناً وما هو أغرب
ولتُصنعنّ نواسفٌ تُفني الرُّبى (١) بدخانها منثورةً تتلهب
ولتنفذن الى بكينَ خلائق بيضاء تغنم ما تشاء وتنهب
تأتي بها فوقَ البحارِ سفائن كالجنّ في جِدّ العواصف تلعب
ماذا يُفيد السور حولَ ديارهم وقلوبهم فيها ضِعاف هُرّب
فأبرُّ من تضييق دنياهم به ان ترحب الدنيا بهم ما ترحب
الأمنُ قتّالُ الشجاعة فيهم وحياتها فيهم مخاوفُ تُرقب
لا يعصِمُ الاممَ الضعيفةَ فطرةً الا فضائلُ بالتجارب تكسب
فتكون حائطها المنيعَ على العِدى وتكون قوتها التي لا تغلب

كانون الثاني (يناير) ١٨٩٧



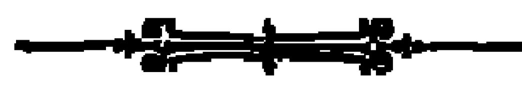
---

(١) تنثر الجبال

النرجسة

داعٍ دعاهُ الى الجهاد فازمعا سفراً وجادَ بنفسهِ متطوّعا
غلبت حميّتُهُ هواه لعِرسه[١] فنأى وودّع قلبــه اذ ودّعا
وقضت «أمينةُ» بعده اياما في الحزنِ غير أمينةٍ ان تفجعــا
غرست بصحنِ الدار زَهرَة نرجس لتكونَ سلوتها الى ان يرجعا
كانت تبــالغُ في رِعايَتهــا كما ترعى عيونُ الأُمّ طِفلاً مُرضَعا
حتى اذا ما جاءها عن بَعلهــا نبأٌ اصمّ المسمعِين وروّعا
شُقّت مرارتُهــا عليهِ واوشكت من هول ذاك الخطْبِ ان تتصدعا
وكأن ذاك الرزءَ[٢] قبلَ وقوعه مما شجاها لم يكــن مُتوقّعــا
فتفقدَتْ يومــاً اليفَتهَــا التي كانت سَلَتها حسرةً وتوجعــا
فاذا بها ذَبلتْ كزَهرَة حبّهــا كلتاهما نمتَــا وعوجلتــا[٣] معا
ذَبلتْ وحلاّها الندى فكأنّهــا عينٌ أسالَ الحزنُ منها مدمعَــا

آذار (مارس) سنة ١٨٩٧



رأى الناظم على باب حسناء في أحدى القرى ورقة خضراء نابتــة بين حجرين متلازمين فقال

كلٌّ لديك رقيــق اذا قسا القلب او رق
وليس في ذاك بدع فالصخر عندكِ اورق

(١) عروسه (٢) المصاب (٣) ماتتا عجلاً

وفاة عزيزيه

قدم المرحوم يوسف مطران نجل المرحوم حبيب باشا مطران مدينة القاهرة في شهر لوليو سنة ١٨٩٥ تصحبه عروسه وهي كريمة القائد الفرنسوي الشهير « كارو » فلم يكادا يستقران من وعثاء السفر بين بور سعيد ومصر في يوم سموم شديد الحرّ حتى شعرت تلك السيدة بآلام قضت بدعوة الطبيب فوصف لها ادوية منها دواء سام ناولها اياه زوجها بيده خطأً كما شاء القضاء فلم تعش بعد تلك الكأس الا اياماً رأينا فيها من شرف اخلاق تلك العقيلة الفاضلة وبرّها بقرينها وتجرُّدها عن نفسها وتعاليها عن الحياة الدنيا ما لم نكن لنتخيله الا في ملاك كريم يقيم في عالم غير هذا العالم • وقضى الوفاء على ذلك البعل الشريف الذي كان من اوجه وجهاء الدولة العليه وارفعهم مرتبة لدى الملوك واوسعهم جاهاً وثراءً ان يلزم الحزن على تلك الفقيدة العزيزة الى ان قيّض الله له لقاءها قبل انقضاء عام على مصابه بها فتوفي الى رحمة مولاه وعظم خطب الشرق فيه ولا سيما الديار السورية التي كانت منبته فرثيت الفقيدين رثاء جامعاً بعد ان تلطفت جمرة الاسف قليلاً على توالي الايام • وأمكن القلب أن يملي بعض ما فيه والفكر أن يصوغ الكلام

انا في الروض ساهرٌ وهو نائم ... باتَ في قرّة الدُجى وهو ناعم

كلما جئتهُ وقلبي باكٍ ... رقَّ دمعي كمائه فهو باسم

ابتغي فيهِ سلوةً من مصابٍ ... لم يلطّفه عهدُهُ المتقادم

يا لعزمي من الاسى ولحلمي ... اسعداني على الرزايا الغواشم

غلبتني صروف دهري على صبري ... وافنتهُ نارُها في الملاحم

الأمانَ الأمانَ القيتُ سيفي ... وطويتُ اللواءَ تسليمَ راغم

خانَ عزمي الشبابُ واقتصّ ضعفي ... من ثباتي فكيف مثلي يقاوم

انَّ من سيفهُ شبابٌ نضيرٌ ... فعيوبُ الشباب فيه مثالم

والذي دِرعهُ فؤادٌ رقيقٌ فجريحٌ ان يُقتحم أو يقاحِم

* * *

ايها الروض كن لقلبي سلاماً وملاذاً من الشقاء الملازم
ما اقرَّ المياه فيك وما العبَ النورَ وما اجزعَ الظلالَ الحوائم
زهرٌ ذابلٌ كأني اراهُ ثملاً من انفاسهِ في الكمائم
وغديرٌ صافٍ اقامَ سياجاً حولَه باسقٌ من الدوح قائم
تتناغى بيضٌ من الطير فيه سابحات وتحتها النجمُ عائم
كيفما سِرتَ فالطريقُ عقود نُظمت من محاجرٍ ومباسم
حبذا البدر مؤنساً يتجلى كحبيبٍ بعدَ التغيبِ قادم
حبذا رسمهُ البرايا كأبهى ما ترى العينُ في صحيفةِ راسم
حبذا الماء والمصابيحُ فيه كبنانٍ يَزينها بخواتم
جنّةٌ بانتِ المكاره عنها وهي بِكرٌ من الاذى والمحارم
انما اهلها طيور حسان ان دعاها الصباحُ قامت تنادم
وضياءٌ يموجُ في الماء حتى لنراهُ كأنهُ متلاطم
ومروجٌ مدبجات كوشي اتقنت صُنعَه حِسان المعاصم
وغصون تهزُها نسمات كنهودٍ تهزُهنَّ روائم(١)

* * *

هذه عزلتي افرُّ اليها من مجال الاسى ومجرى المظالم
ههنا اجتلي مثالين باتا في سماء صفت وراء الغمائم
ههنا التقي بطيفيَ حبيبيَّ الدفينين في فؤادي الواجم

---

(١) امهات شفيقات

حيث لا عينَ للرياء ولا للخبث أذنٌ ولا فمٌ للنمائم
لم يحلْ بيننا الحِمامُ وحالت بيننا الناسُ بالنزاعِ الدائم
فانا من نواها كل يوم في نوًى حادثٍ لأمرٍ يُداهم

***

ايهِ « فاني » وكل من عاش فانٍ اين باتت تلك الخلالُ الكرائم
ملَكٌ مرَّ بالحياة كريماً وتولى عنها تولّيَ غانم
زهرة نوّرت ربيعاً وابقت بعدها إثر طيبها في النسائم
نفحة ذكّت الحياة وظلت نشقةً في صدر العُلى والمكارم
بارق للذكاء لم يعلم العصر أحقٌّ ما شامَ أم وهمُ واهم
ايُّ ذنب لذلك الملك الطاهر غير الندى وغير المراحم
ايُّ ذنب لزهرة من عفاف في زمان معشوشب بالجرائم
ايُّ ذنب لنفحة خبث العمر وطابَتْ أماصحُ الشرّ غارم
ايُّ ذنب لبارق ما بكاهُ اذ توارى سوى الدموع السواجم
لا لجهل ولا لفضل ولكن حالة حيّرت عقول العوالم

***

يا عروساً مرّت بها اشهر الصفو سِراعاً كأنها حلم حالم
قد سقاكِ الوفيُّ سمّاً وما خال سوى أنهُ الدواء الملائم
هفوةٌ رامها القضاء وفاديكِ جناها بغير ما هو رائم
ففقدتِ الحياة فقدَ نفيس تزدريهِ نفسُ الكريمِ الحازم
وحُرِمتِ الصبي وجاهاً عزيزًا وتعففتِ عن ملام الحارم

كأس موت سقاكها واستقاها   من يد الحزن وافياً غير نادم

***

ياله الله كان في السعد والبؤس   حليفَ العلى أليفَ العظائم
عاهدته فواتح المجد عهداً   وعلى الإثر اخلفتهُ الخواتم
باتَ في ذروة السرور واضحى   في قرارٍ من الأسى المتفاقم
صاعدَ النجم ثم القاهُ رجماً   في الثرى حادثٌ من الدهر حاطم

***

هكذا فارقَ الحبيبان داراً   هي دارُ الشقاء دارُ المغارم
فارقاها بلا قطوب[1] وكانا   كابتسامين في وجوه المعالم
ختما العرس في غيابة رمس   وختمنا افراحنا بالمآتم
ما رأى الناسُ مثل هذا ولاءً   عنهُ ينبو سيفُ الحِمام الفاصم
شرّف البرّ برُّ «فاني» قتيلاً   بمحبٍّ أودى بها غيرَ آثم
وسما بالوفاء يوسفُ عما   ألِفَ المجدُ من وفاء الاعاظم

***

فاستقرّا في رحمة ودعانا   في حياةٍ أولى برحمة راحم
واسعدا لا يَرُعكما بفراق   بعدَ هذا اللقاء خطبٌ مداهم
وسلامٌ عليكما وعلينا   ان نفي الحزن باقيات العزائم

نيسان (ابريل) سنة ١٨٩٧



(١) عبوسة

تهنئة

قدمها الناظم لصديقه العزيز فقيد العلم والفضل المرحوم نقولا توما يوم زفافه على

السيدة المصونة الفاضلة ايلين موصلّي عطا الله

يُعجزُ الفكرَ ما يريد الفؤادُ فيكَ يا خيرَ من بمدحٍ يرادُ
ما عرفنا في الناس قبلكَ فرداً تتحلّى بهِ الصفات الجيادُ
ما رأينا ذا نعمةٍ كَبُرت لا يتولّى تصغيرَها الحسادُ
ما شهدنا بغير وصفك أن يستوِيَ الوامقون[1] والاضدادُ
ما عهدنا في كاتب انَّ من آياتهِ صوغَ الدُرّ وهو مِدادُ
ببيانٍ يكونُ منه ضياءٌ في عقولٍ وفي العيون سوادُ
ما سمعنا نطقاً به يزدهي المنـــبرُ عجباً وتطرَبُ الاعوادُ

*
* *

رُبَّ جمع وقفتَ فيهِ خطيباً انصتت في صدورهِ الاكباد
هكذا البحرُ يملك الحسَّ رَوعاً وجلالاً دويُّه الهدّاد[2]
هكذا السيلُ قاذفاً ماءَه المبيضَّ حتى يظنَّ فيهِ اتقاد
انتَ صوت الضمير يسأل عدلا حيثما العدل رحمة وسداد
انتَ للحلم في القضاء لسانٌ حيثما العدل قسوةٌ واضطهاد
وكثيراً ما يُصلح العدل بالحلمِ كما تُصلح الورى والبلاد

(١) المحبون (٢) ما يسمع من صوت البحر

كم حياةٍ اعدتَّها لبريٍّ طاف بالسيف حوله الجلاد
وحقوقٍ بعثتَها من ضريحٍ حيث باتت ولا يرجَّى معاد
يترقَّى قولاً فتحتبس الانفاسُ شوقا ويستقرّ الفؤاد
كلما جازَ في البلاغةِ شأْوا واستجادوهُ زادَهم ما استجادوا
ترهب العينُ طرفة الجفنِ من حرصٍ على لحظةٍ له تستفادُ
ما النظامُ البديعُ ما المعزَف المرقصُ ما المنشدون ما الانشاد

*
* *

رُبَّ عِرض دبَّ الشقآء اليهِ ومشى السوءُ خلفه يرتاد
صانه بالندى ولا شاهدٌ الاَّ الندى والمكانُ والميعاد
ربَّ ذي فطنةٍ اساء اليه زمنٌ غالب عليه الفساد
كاد لولاهُ ان يمزّقَ طِرسا اصبح الحبرُ فيهِ وهو حدادُ
ان يكُ الجودُ لا نفاد لهُ عندكَ يوما اما لمالٍ نَفاد
جذلٌ باستمادة البذلِ كالشاعر في حينٍ شعرهُ يستعاد
ايها الفاضلُ الحبيبُ الذي فارقنا ساعة وطال البعاد
قد بذرتَ الجميلَ في كلّ قلبٍ فنما وهو حرمةٌ ووداد
ليكن بيتُكَ الذي شدتَ صرحاً ركنهُ المجدُ والهنآء العماد
او سمآءً عروسُكَ الشمسُ فيها والنجومُ السعودُ والأولاد

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٧

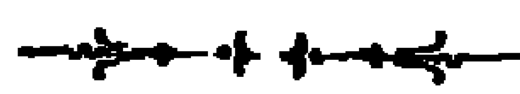


في ذمة الله

رثاء للمغفور لها الاميرة كاملة هانم كريمة صاحب الدولة الامير حسين باشا كامل

من الملإِ الاسمى على ذلك القبر ملائكُ حرّاسُ الفضيلةِ والطهرِ
سجود على بابِ الضريحِ الذي ثوت بهِ مصطفاةُ اللهِ كاملةُ البرّ
سلامٌ عليكم فالزموهُ وآنِسوا غلالة حسن تبتلى بيد الهجرِ
فقد صعدت نفسُ الاميرة في الضحى الى اللهِ واستودعتم صدفَ الدُّر
تحملّها نورٌ الى جنةّ العلى كما تحملُ الانداء اجنحةُ الفجرِ
فيا سيد الدهرِ المعزّى بفقدها انخشى عليكَ اليومَ من صولة الدهرِ
ويا اكرمَ الاباءِ برًّا بوُلدهِ ولكنهُ برّ عصتهُ يدُ الضُرّ
أأنتَ من الرحمن ارأفُ والداً بمتاضة السراء عن ألمِ العمرِ
فأجمِل وسلّم للمهيمنِ(١) إِنه براها وأشقاها وكافأ بالأجرِ

نيسان (ابريل) سنة ١٨٩٨



الحمامتان

حديث واقعة شهدها الناظم في ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يا مَن أضاعوا ودادي رُدّوا عليّ فؤادي
ردّوا سروراً تقضّى وما له من معاد

---

(١) لله

أشكو الى الله سقمي　　في بُعدكم وسُهادي
هذا شقائيَ فيكم　　يا غِبطة الحُساد

* * *

وليلةٍ بتُّ فيها　　وقد جفاني رقادي
تفني الدقائقُ قلبي　　وَرْياً كوري[1] الزناد
من الصبابة مَهدي　　ومن سقامي وسادي[2]
راعت حشايَ بنوحٍ　　حمامةٌ في ارتياد
مَروعةٌ لأليفٍ　　لم يأتِ في الميعاد
ترنّ إرنانَ ثكلى　　مفقودةِ الاولاد
والليلُ داجٍ كثيفٌ　　كأنه في حِداد
تروحُ فيه وتغدو　　كثيرة الترداد
ما بينَ غصن وغصن　　لها طوَاف افتقاد
ولم تزل في هُيام　　وحيرةٍ وجهاد
حتى استقرّت عياءً　　من وثبها المتمادي
منحلّةَ العزم ليست　　تقوى على الانشاد
ظمأى الى الموت ريّاً[3]　　من الاسى والبعاد
وكانَ يسعى اليها　　أليفها غير هادي
يرتاد كل مكان　　في إثرها وهو شادِي
حتى اذا سمعته　　بالقرب منها ينادي
عاد الرجاءُ اليها　　لكن بغير مُفاد

---

(١) كقدحِ الزناد　(٢) فراشي　(٣) مرتوية

ان الرجاء معينٌ وما الرجاء بفاد
همَّت تطيرُ اليـه لـكن عدَتها عوادي
فودّعتـه بنـوحٍ مفتِّتِ الاكباد
وكان آخرَ سجع لهـا على الاعواد

***

يا من نأوا عن عيوني ورسمهم في السواد
وأجهدوا الفِكرَ وثباً اليهـم في البـلاد
واستنفدوا زَفَرَاتي وأدمعي ومدادي
الى مَ اغدو حزيناً في غربةٍ وانفراد
لي في الحياة مراد وأن أراكم مرادي
لا تجعلوه وداعي عندَ المماتِ وزادي

ايلول (ستمبر) ١٨٩٨



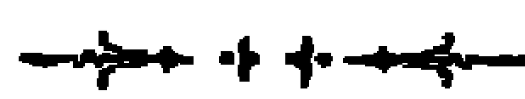
الى صديقي المرحوم

سليم ارقش

أبقيتَ ذكركَ في القلوب كريما وقضيت حياً وارتحلتَ مقيما
في ذمة الله الشبيبةُ غضّـةً والـبِرُّ محضاً والودادُ حميما
والعقلُ شمساً في سماء حصافة والنـور آداباً بهـا وعلوما
واللطـفُ زهرةَ جنّـة ما رُوّيَت منها الاحبة منظراً وشميما
اني لاشكو من سلامة مهجتي اذ لا اراكَ كما احب سليما

ويزيدني انس المجالس وحشةً اذ لا اراك محدّثاً ونديما
عادتك أحداثُ الزمان وانما تبلو الحوادث من يكون عظيما
وثّابةٌ بك لا تمل مدافعاً هجماتهنّ ولا ينين[1] هجوما
وتجلّ اكثرَ ما تجلّ مجاهدا وتلينُ اكثر ما تلين رحيما
وتصيب يسرك غير مبتهج به وتقرُّ عينك ان يكون عميما
ولقد تكون من القناعة في غنًى وتكونُ في نزق الشباب حكيما
ولقد تكون على الاساءة حامداً فنشكّ ان الدهر كان ذميما
حتى لقيتَ الموتَ لقيا صاحب فأرَبْتَ فيهِ ان يكون اثيما
اقبلتَ من عدم ورحتَ مسلِّماً فوداعاً ففـارقـاً فرميما

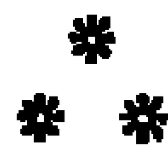
تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٨



تـقـريظ

لديوان شوقي

ضَمِنتَ لهذا العهد ذكراً مخلّدا وجددتَ للإسلام مُعجز أحمدا
وبتَّ لمصرٍ بالمفاخر محتداً ومن قبلُ كانت للمفاخر محتدا
اطاف بها ليلٌ من الجهل حالك وصمّت بها الاسماع عن دعوة الهدى
فان قلَّب المحزون في الافق طرفه فليس يرى الاّ ذكاءك فرقدا
ومن تدعهُ يردُدْ نداءك لا يجبْ كما رجّع الصخر الاصمُّ لك الصدى



---

(١) لا تفترن

لك الله من شاكٍ عن الناس دهرهم ... على حين لم يشكوا وقد جار واعتدى
ومن ساهر يفني منار حياته ... ضياء ليهدي غافلين ورقَّدا
ومن ناظم للملك تاج فرائد ... من المدح تيجان الملوك له فدى
ومن منشدٍ يحيي فخار جدوده ... فيكسبهم مجداً بذاك مجددا
اذا النسل لم يحفل بذكر جدوده ... فانَّ لهم موتًا به متعمّدا
قواف يزين الشعرَ حسن نظامها ... كما ازدان كأسٌ بالحباب منضدا
وسبكٌ يعيدُ اللفظَ لحناً موقعاً ... ويبدي لنا المعنى الخفيّ مجسدا

***

اسحراً ترينا ام صحائفَ كلما ... نقلبها وجهاً نرى عجباً بدا
فبينا هي الروض الذي تشتهي المنى ... تعاشَقَ فيه النور والطيب والندى
اذا هي انهارٌ تقرّ عيوننا ... اذا هي نيران تثور توقدا
اذا هي افلاك بسطرنَ وابحرٌ ... اغار بها الفلك الصغير وانجدا
اذا هي آجام تموج بأسدها ... واودية يرعى بها الظبي مربدا
اذا هي عيس في البوادي مجدّة ... تسير ولا سير وتحدى ولا حدَا
اذا هي حرب يخلع البيدَ جيشُها ... نعالاً متى هبوّاً وثوباً على العدى
اذا هي اجيال الزمان مُعاهداً ... بها آدمٌ موسى وعيسى محمدا
بيانك سيف الحق في مصر قاطعاً ... ذليلاً به الباغي قتيلاً به الردى
بشعرك فليحيَ الذي جلّ فضله ... ومات جديراً بالفخار مؤبدا
وذو العلم فليختَرْ كتابك مؤنساً ... كريماً واستاذاً حكيماً ومرشدا



الى مولانا الامير عباس

على اثر حادث سياسيّ ذي خطر

تداولَ قلبي وجدُهُ فيكِ والذكرُ ... فهذا له ليلٌ وهذا له فجرُ
وكدت احبُّ السهدَ مما أَلفته ... وكاد لطول الصبر يحلو ليَ الصبرُ
وأنكر قومي في هواكِ تجرُّدي ... على زعمِ ان الزهد آفتـهُ العسرُ
اعسرٌ بمن يهوى وانتِ له الغنى ... اذن فثراء العـالمين هو الفقرُ
محبكِ لا يشقى وانتِ هناؤه ... وحبكِ لا يصدى[1] وانت له القطرُ
وانك من دون البرية غايتي ... فانت المنى مجموعة والمنى كثرُ
ويومٍ تلاقينا لنقضي وداعنا ... وفي عينها دمعٌ وفي مهجتي جمرُ
بثثت اليها حسرة بي خفيـة ... مُنيت بها ظلماً وهل يعدل الدهرُ
زجرت فؤادي ان يبوح بسره ... فباحت به عيني وما نفع الزجرُ
ومازجركِ الكأس الدّهاق[2] بخمرها ... اذا هي سالت عن جوانبها الخمرُ
فكاشفتُها ما بي وان افتضاحه ... لا يسر لي من ان يردّ لها أمرُ
واخرجت نفسي من خبايا سرائري ... تلوح ولا كتم وتجلى ولا سرُّ
فزالَ قناعي عن ضمير مطهّرٍ ... يصان به عرف وينفى به النكرُ
وعن جائلٍ من دونه البرقُ سرعة ... ونوراً فلا بعد يعوق ولا سترُ
وعن خافقٍ ملءَ الوفاء خفوقهُ ... عجبت له ان يستقلّ بهِ الصدرُ
وعن نافحٍ طيبَ الرياض منوّرٍ ... باجمل ما تزهو الرياحين والزهرُ
هنـالك مجلى حبهـا ومقرُّه ... ومسطعه الاذكى ومنبتهُ النضرُ

---

(١) يظمأ (٢) المتدفقة

هوىً ملء روح في ضئيل مخيّلِ — ولكنني ان أبدهِ امتلأ المصرُ
وقدر الهوى في ذي الهوى قدر نفسه — ومرآته قلب المتيَّم والفكر
وما يستوي في الحب اروع فاضل — واحمق مذموم خلائقه غِر
وما يستوي ودّ هو الغُنم للورى — كودّ ابن توفيق وودٌّ هو الخُسْر
رعتك عيون الله يا ابن محمد — كما انت ترعانا ورائدك البِرّ
تعهّد ثغورَ الملك ابا تحلُّه — فذاك لهُ قلب وسائره الثغر
يقوم لديك الناس في خير محفل — ويستقبل الإجلالُ رَكبَك والبِشر
وتبذل حبّات القلوب كرامةً — لديك ويزرى ان يضنّ به التِبر
ينادون عباساً نداء تيمنٍ — ويدعون ان يحيا وتحيا بهِ مصر
ودعواهمُ حمد لهُ وملامة — لاهل نذور لا يوفّى لهم نَذْر
أعباس ان تكبر على الناس همةً — فأين مقام الناس منك ولا فخر
وشيمة هذا العصر مَين وريبة — فلا عجب ان يتعب الصادق البَرّ
تريد الليالي منك ما لا تريدهُ — لك الحق والآمال والهمم الغر
فان ظلمَتْ حرًّا وساءك ظلمهُ — فاجمِلْ بها عقبى يُسَرّ بها الحرُّ
لك التاجُ زانتهُ الصفات بدرّها — فزدهُ لحين درةً وهي الصبر
لك النيل موكولاً لامرك امره — بحق من الميراث ايّده النصر
لك الملك موفور السلامة هانئاً — شقياً به المُشقي مصاباً به الضُرّ
أمولاي ان مرّت ببدر سحابة — فما كسبت نورا ولا اظلم البدر
تمرّ بعيداً عن معالي سمائهِ — وتمضي عبوساً وهو جذلانُ يفترّ

كانون اول (دسمبر) ١٨٩٨



رثاء

لاديب عصره الصديق المرحوم الشيخ نجيب الحداد

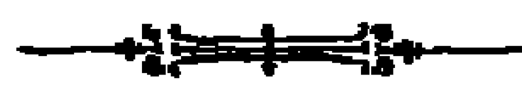
إربأ [١] بنفسكَ ان تكون نجيبا ... وازجر خليلك ان يكون أديبا
فلقد أرى موتَ الأديب حياته ... والعيشَ موتاً يلتقيه ضروبا [٢]
وأرى جوائزَ فضله وعلومه ... إعسارَهُ والداءَ والتعذيبا
يا للذكاء ينيرنا بضيائه ... ويكون للجسم المضيء مذيبا
يا للعلوم نظنّها نعماً لنا ... فنصيبُها نقماً لنا وخطوبا
ماذا افادك ان تكون محرراً ... ومحبّراً ومفوّهاً ولبيبا
ماذا افادك كلُّ نظمٍ شائقٍ ... لفظاً ومعنىً رائقٍ اسلوبا
من كلّ مبتكرٍ أغرّ محجّبٍ ... الا عليك فلم يكن محجوبا
ومجدّدٍ كالدرّ يبدلُ صوغه ... فتخاله عينُ الخبير قشيبا [٤]
نظمٌ تزيدُ به الحقيقةَ رونقاً ... وتعيد مبتذَل الأمور غريبا
كالشمس يسطع نورها في حمأةٍ [٥] ... فيُحيلُ قاتم لونها تذهيبا
يا خيرَ مَن خطّ الرثاء لو انه ... يجري لسال محاجراً وقلوبا
هلاّ رثيتَ بهِ شبابك قبل أن ... ترثي محبّاً راحلاً وحبيبا
يا ناسجاً بُردَ الروايات التي ... ترمي بها الغرضَ الشريفَ مُصيبا
هلا قصصتَ حديثَ اروعَ فاضل ... نالَ الحِمامَ من الكمال نصيبا
غُصنٌ نما حتى زكت أثمارُه ... فرماهُ كيدُ زمانهِ مقضوبا

---

(١) اسلم (٢) اشكالاً (٣) جديد (٤) الماء الممتزج بالطين

قضيتَ مبكيّاً وما يُغنيك لو | انا ملأْنا الخافقين نحيبا
هذا جزاؤك باحثاً متسهّداً | مستنفداً عرقَ الجبين صبيبا
هذا جزاؤك فاضلاً في أمةٍ | ما زال فيها الألمعيُّ غريبا
يتفكَّهُ النفرُ الافاضل منهم | بجنى حياتك شاعراً وأريبا
يتفكهون باحرفٍ اودعتها | تلخيصَ عمرك مشرقاً ومغيبا
مهلاً وداعك[1] للحياةِ تخطّه | من مهجةٍ كادت تجفُّ نضوبا
نفثاتُ مصدورٍ علت زفراته | حتى نرى التصعيدَ والتصويبا
عبراتُ محتضَرٍ يفيءُ كشمعةٍ | تفنى وتُرسل دمعَها مسكوبا
كلمٌ كستهن الكآبةُ لونها | فحكينَ انوار الزوال غروبا
فارقد فما أحرى الردى وهو الكرى | ان يُستطابَ على الاسى فيطيبا
القبر افضل للفتى من مضجعٍ | فيهِ يُقلَّب موجعاً تقليبا
وجلامد الأرماس[2] أهونُ محملاً | من أن يحمَّل مثلهن كروبا

شباط (فبراير) ١٨٩٩



في مولد

الكريمة الاولى للمرحوم نقولا توما

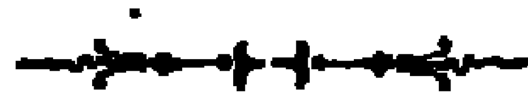
يا تحفة الأملِ الكبيرِ | في صورة الطفل الصغيرِ
ما خلتُ الاَّ أنها | ملكٌ ترای في السرير

---

(١) اشارة الى ابيات نظمها قبل وفاته (٢) صخور القبور

وهو السريرُ تودُّ لو ‏ حملتـهُ اركانُ الصدورِ
ويهزُّه خفق الفؤاد ‏ على مناجاة الضمير
اهـلاً بباهرة السنى ‏ كالشمسِ في بدء الظهور
حقٌّ لمثلك أن يتاهَ ‏ بهـا على كل البدور (١)
يا بنتَ اكرم والدٍ ‏ واعفِّ ربات الخدور
ما انتِ من ماء وطين ‏ انت من لطفٍ ونور
وصفاتُ أمك مُثلت ‏ بكِ فاغتديتِ بلا نظير
عيشي طويلاً واسلمي ‏ أبداً وآلك في سرور

نيسان (ابريل) سنة ١٨٩٩



جواب كتاب هزلي

ارسله الناظم لصديقه الفاضل يوسف افندي البستاني

اتاني كتاب الصديقِ الابَرِّ ‏ فأكرمْ بهِ من رسولٍ أغرِّ
ولله ما فيه من صدق وافٍ ‏ وخُلق كريمٍ وشيمةِ حر
خلعتَ عليـه جمال الربيـع ‏ فمثَّلته بين طِرس وحبر
واشهدتني منه روضاً انيقاً ‏ وأنشقتني منـهُ نفحةَ عطر
واسمعتني لحنَ اطيـاره ‏ واجريتَ نهراً به كلِّ سطر
ولو لم يَشُبهُ ابرُّ العتاب ‏ لما جُعل الشوكُ منبتَ زهر
عتبتَ عليَّ لهجرٍ شجاك ‏ وان جلَّ وِزري فقد جلَّ عذري

(١) اشارة الى الاولاد الذكور

اعتباً على من عداه الزمان　　وهذا الزمان كما أنتَ تدري
واذكرتني اكلةَ المهرجان　　فليتَ فمي كان موضعَ ذكري
وليلة انس وصفو كأني　　بها لُخّصت من نعيم وبشر
شربنا بها الخمرَ لكننا　　سكرنا بقدّ ولحظٍ ونحر
فأولُ سكر لنا كان صحواً　　وآخرُ سكر لنا جدّ سكر
أجاد كتابُك لي وصفها　　فجدّد لي خير أوقات عمري

آذار (مارس) سنة ١٨٩٩



رثاء

المغفور له فقيد الوطن امين باشا فكري

وقفتُ على القبر الذي انتَ نازلُهْ　　وقوفَ جبانٍ باديات مَقاتِلُهْ
وما القبرُ الا حلقُ غرثانَ[١] هاضم　　من الموتِ ما يلقى به فهو غائله
فما تختفي حتى تبينَ نيوبُهُ　　وما يكتفي يوماً بما هو آكله
لمثل أمينٍ حينما خانه الصبى　　وأودى به يبكي الندى وهو ثاكله
لمثلِ أمينٍ يذرف العلمُ دَمعه　　وعاذرهُ في بذلهِ الدمعَ عاذلُه
لمثلِ امينٍ يجزع الناس اذ مضى　　اواخره محمودةٌ واوائله
دفناهُ مبكياً نضيرُ شبابهِ　　ومبكيةً آدابه وفضائله
كأنا نواريه الثرى كلّ ساعةٍ　　اسىً وكأنا كلّ آنٍ نزايله[٢]

---

(١) جائع　(٢) نفارقه

هوى بين ايدينا وقد ودَّت المنى   لو أنّ لفضلٍ ساعداً فهو ناشله
كما سقطت في البحرِ درَّة باخلٍ   احاق به لجٌّ من اليأس شامله
فراحَ بعيد الطرفَ لا هو صابر   ولا هو يدريَ أي امرٍ يحاوله
يقطِّر فوق الغمر سائلَ دمعه   ولا يدرك الشيء الذي هو سائله
فتىً كان سبّاقاً الى كلِّ غاية   ويعلم الا قدره فهو جاهله
رجونا له بالطبِّ بُرءًا يسرنا   بهِ واذا الطبُّ المؤمَّل خاذله
ومَن قلبُه الداء الذي هو يشتكي   فماذا تداويه وماذا وسائله
وكان على طيب الزمان وخبثه   جنيّ ثمار الانس عذباً مناهله
ولا يبتغي الاّ المحامد والعلى   ومرضاة وجهِ الله فيما يزاوله
اذا اطبقت سُحبُ الحوادث حوله   اضاءت بها اخلاقهُ وشمائله
وان تدنُ نار الحقد منه تضوعت   مناقبه طيباً بها وفواضله
وما انقبضت الاّ عن الشرِّ كفه   وما انبسطت الاّ لخيرَ اناملهٌ
فلا راعنا بينُ الامين وكلّنا   يجدّ اليه والهمومُ رواحله
وما المرء مرجوٌّ على كلِّ حالة   لطول بقاءٍ والليالي كوافله
فان يكُ طفلاً فهو منذ ولاده   رهينُ المنايا والرزايا قوابله
وان يكُ شيخاً فهو قد شُدّ رأسه   الى الارضِ من عجزٍ وناءت كواهله

ايار (مايو) سنة ١٨٩٩



السيد محمد وفاء زغلول

هو شقيق الالمعي الفاضل نصر الدين افندي زغلول المحامي كان امين المكتبة الخديوية وكان صدره يسع ما في خزائنها من كتب اللغة والفقه والفلسفة وكان كاتباً شاعراً زاخر الفكر رحب الصدر ولكنه لم يتوخَّ الشهرة عمره فلم يكن غير نفر من الاخوان يعرفون قدره و يقتبسون من كنز معارفه . وقد توفي الى رحمة ربّه عن صحائف لو نشرت لجعلته بين الاولين من ادباء العصر

فتىً خبثت له الدنيا وطابا ... فعاشَ معاقباً وقضى مثابا
وفي الاجداث متسع لفضلٍ ... اذا ضاقت به الدنيا رحابا
وما ساءتك ظالمةً وكانت ... بما ساءت تُعدّ لك الثوابا
ولم تعتدّها داراً لخلدٍ ... فتجزعَ مزمعاً عنها اغترابا
وسرَّك هجرها مما تجنّت ... وقد قمِن الردى ان يستطابا
وكنا بالذي ارضاك نرضى ... لوانّ البينَ لا يُشقي الصحابا
بكوا منك الوفاء وكنتهُ اسماً ... وفعلاً واكتساباً وانتسابا
همُ يبكون والمبكيُّ فيهم ... غريبٌ لا جواب ولا خطابا
فمن اعيا لسانك عن بيانٍ ... والزمَ نصل همتك القرابا
ولم تكُ فاعلاً الاّ جميلاً ... ولم تكُ قائلاً الا صوابا
الا في ذمة الرحمن ماضٍ ... تيتمت الفضائلُ حين غابا
فتىً جمع الصفاتِ الغرَّ فيه ... وكان لها تواضعه نقابا
ضنينٌ ان تراها عينُ ظنّ ... وتكشفَ ريبةٌ عنها الحجابا
ويصطحبُ الكرام على صفاء ... ولكن يؤثر الكتبَ اصطحابا .

رماه دهرهُ فرمى المزايا وكان الحزمُ اولَ ما أصابا
وحوَّل نورَ فطنته ظلاما وجوهرَ فكره السامي ترابا
فيا أسفاً على عقلٍ كبيرٍ تجاوزَ دون صاحبه الشبابا
ويا أسفَ القلوب على فقيدٍ تجرَّدَ روضةً وهوى شهابا

حزيران (يونيو) سنة ١٨٩٩

شهيد المروءة وشهيدة الغرام

اهديت حين نظمها الى حضرة السيدة الفاضلة البرنسس الكسندرا دي افيرينوه ويزينيوسكا صاحبة مجلة انيس الجليس

سيدتي ان تُفسحي لي بالكلام فاسمحي
اقصُصْ على قراءِ نشرتك الغرآءِ
بالنثرِ او بالشعرِ ايهما لا ادري
حادثةً غريبة ما هي بالمكذوبة
أُنقلهُا ممثَّلة مجملةً مفصلة
كما جرت امامي في قريةٍ بالشام

***

وذاك ان ذيبا مستضخماً مهيبا
طرقها اصيلاً يبغي بها مقيلا
فخرجَ الرجالُ اليهِ والاطفالُ

في هَرَجٍ ومَرَجِ ولجب [١] ممتزجِ
أتاهمُ الإنباء مباغتاً فجاؤوا
عزلاً بلا سِلاحِ يُرجى سوى الصياح
ووقفوا بعيدا ينفّرون السيدا [٢]
وانتظموا هلالا ليُقفلوا المجالا
فامتنع الدخولُ عليه والقفول
فهو أمام سورِ يمشي من الحضورِ
وخلفَهُ هِضابُ شواخ صعابُ
ولم يحاول هرَبا من حيث كان كَلِبا
عيناه شعلتانِ يرنحُ كالسكران
منتقلاً على مهَلْ كالظل في سفح الجبل
وبينما الجمهور حيران مستطيرُ
حَلقة مشتبكة في سكنة وحركه
كالبحر ذي الهياجِ في مكسر الامواجِ
طوراً وطوراً جامدُ كالماء وهو راكدُ
كلٌّ يقولُ ما العملْ لصدّه وما الحيل
اذ انبرى شجاع ترهبه السباع
كان اسمهُ اديبا وبأسه عجيبا
بدا من الجمهورِ بمظهرِ الاميرِ
وسار نحو الذيبِ بكِبر غريبِ

(١) ضجيج (٢) الذئب

يمشي ولا يبالي كالأسد الرئبالِ
يدِقّ[1] وهو نائي في عين كل رائي
والروع في تعاظُمِ والخطب في تفاقُمِ
حتى اذا ما اقتربا منه عوى واضطربا
ونبّـه الاصـدآء فامتلأت عواء
ثم مشى ثم جرى مستقبلاً ومدبراً
مُساوراً[2] مُقاتله مُداريا مَقاتله
مُحاولاً مُختلسا مصاولاً مفترسا
والشمس في شحوب هنيهةَ الغروبِ
والناس في تخوّفِ من هولِ ذاك الموقفِ
يبدو لهم ظِلاّن في السفح جائلان
حيناً على تلاقي ثم على افتراق
ثم على اشتباكِ ثم على انفكاكِ
وبينما هم في هلع اذ سمعوا صوتاً صدع
فصكّ في الآذان كطرقة السندان
ثم عوآء مزعجا متابعاً مرجرجا
ثم عوآء اضعفا مقطعاً ملطّفا
وابصروا الذئب جري الى بعيـد مدبرا
ثم سجا[3] ثم انثوى وسار شوطاً وهوى

* * *

(١) يصغر (٢) مجاولاً (٣) هدأ

وعاد من سفح الجبل   اديب عودة البطل
وهو كليلٌ متعبُ   بدمهِ مخضب
حِذاؤه مشققُ   وثوبه ممزّقُ
وقال أجهزتُ ولا   تخفْ على كلب الفلا
فهنّأوه فرحا   وأمطروهُ مِدَحا
ودَرَج الاطفال   كأنهم أَحجال
فرجعوا بالسيدِ   في مشهدٍ مشهودِ
وعلَتِ الاصوات   ورُفعتْ رايات
وطيفَ في الاسواقِ   به على انتساق
ثم رموا في خندقِ   بشلوه الممزق
فجاءهُ الكلابُ   عصائباً تنتابُ
فابتليت بالداء   وعمّ كالوباء
فجزع السكانُ   وانقطع الامانُ
واحتجبَ الآباء   واحتبس الابناء
وامتنعَ الذهابُ   في السوق والايابُ
والأخذ والعطاء   والبيع والشراء
فبثّتِ الجنودُ   ترقب وترودُ
فافنوا الكلابا   وسكّنوا الالبابا

* * *

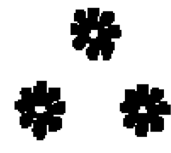
كانت من الشهود   في الموقف المشهود
يوم هلاك الذيب   على يدَي اديب

فتيّـة عـذراء جميـلهْ غـراء
طـاهرة الفـؤادِ عفيفـة الودادِ
قوامها كالرند وخدّها كالورد
وعينهـا الزرقاء تحسـدها السمـاء
كانت له خطيبـه يدعونهـا لبيبـه
وكان موعـد الزفا ف لهما قد أزُفا[١]
في اربعينَ خاليه من الليالي التاليـه
يغدو اديب بملهـا فهي لهُ وهو لهـا
لما رأته أقدَما مستبسلاً مقتحما
وراح يلقى السيدا منفرداً وحيـدا
همّت بان تتبعَه رجاءَ ان تمنعهُ
او ان تميتَ السُبعا او يهلكا اذن معا
عدَت ولم تبالِ فاستوقفت في الحال
فلبثت تنتظرُ وقلبهـا منفطرُ
مشغولةً مضطربة تدعو له بالغَلبة
حتى رأت مرجعه وقد قضى مطعمه
مفتخراً مدلاً معظّما معلّى
ففرحت كثيراً حتى بكت سروراً
وأقبلت عليهِ وضمّدت جُرحَيه
فلزم البيت وفي يومين بعدها شفي

(١) قرب

وبديء الإعدادُ لفرح يجـادُ
فهيأوا الملبوسا وجهزوا العروسا
واشترَوا الحريرا واتقنوا السريرا
واجتمع الجيرانُ والاهل والخلان
في منزل الخليلِ بمحفـلٍ جليـلِ
يومَ الثماني والثلا ثينَ لإهداء الحلى
جرياً على المعتادِ في هذه البلادِ
ففرقةٌ النساءِ في الرقص والغنـاء
وفرقةٌ الشبانِ في الشربِ والتهاني
وبينما هم في فرَح ولا مظنّ للترح
اذ اشتكى أديب حرارةً تذيب
وقام بارتعاش فوراً الى الفراش
فاستوصفوا دجالا بطبّـه محتالاً
فجسّ نبضَ الساعدِ مثلَ الحكيم الراشد
وخطّ رمزاً معجماً بالرسم يحكي الطلسما
وجاءه في غدِهِ بِبِـدَع لم تجدِهِ
وكرّر العيادَه له بـلا افادَه
ينقد فوراً أجرَهُ ثم يولّي ظهرَهُ
والضعفُ في ازديادِ والداء في اشتداد
وهو يقول لا مرض وانمـا هذا عرض
حتى اذا الليلُ سجا نام اديبٌ مزعجـا

وكان ليلَ العرُس — ليلَ ابتهاج الانفس
في غدِه الزِّفافُ — والعزْفُ والطوافُ
فالناس في سرورِ — للباسِل المشهورِ
والخيلُ في استعداد — والركبُ في تنادي (١)
وكلٌّ ذي مكان — وكلٌّ ذات شان
في أهبة المسير — بالموكب الكبير
يمهّدونَ للغدِ — والموت ممدودُ اليد



واذ مضى قليلُ — تنبّه العليل
كقطعة الحديدِ — في اللهب الشديد
فهبَّ يرغي مزبداً — وقد تجافى المرقدا
واضطرمت عيناه — واضطربت احشاه
وشنّجت اعصابهُ — وبرزت انيابهُ
فمزّق الكساء — وبعثر الاشياء
وكسر الزُجاجا — وأطفأ السراجا
ثم مضى عريانا — لا يهتدي مكانا
كالسبع المستوحش — يعوي بصوت رعِش
يسقط آناً ويقف — يسكن ثم يرتجف
يستنبح الكلابا — ويقرع الابوابا

---

(١) ينادي بعضهم بعضاً

وُيقلقُ النياما ويفزِع القياما

***

وأرقت لبيبه لا تعلم المصيبه
تفكر في استكمال مظاهر الجمال
وتقلقُ المرائي بكثرة الترائي
تأوي الى مرقدِها مشغولةً بغدها
حتى اذا ما ذكرت امراً جديداً نفرَت
تجرّب الحذاء او تُصلح الكساءَ
ثم تعود متعبه الى السرير موصبه
يروح أمر ويجي في فكرها المختلج
تقول جذلى باكيه خائفةً وراجيه
ربّي أألقاه غدا بجانبي فاسعدا
وكيف يأتي مضجعي لا أحدٌ فيهِ معي
وما الذي يحلو لهُ منّي ان اقولهُ
اديبُ يا فخرَ الصبا كن لي بعلاً وأبا
يا ابسلَ الشُجعانِ وافرسَ الفرسانِ
أميرهم في الحربِ وخيرهم في الحبِّ
اهواكَ مولايَ ولا أهوى سواكَ رجلا
اني غداً او أُقتَلا أسعد من تأهلا

***

وكان بعضُ الناسِ وزمرة الحرّاسِ

قد ارجعوا اديبا   بدمهِ خضيبا
يتبعهم جمهورُ   من الملا غفير
كلٌّ يقول ما بهِ   يسأل عن مصابه
فصاح شيخ في اللجب   ان بهِ داء الكلب
وهو شديد الصرع   غير طويل النزعِ
فموتهُ قريبُ   وينتهي التعذيبُ

***

فقيّدوه عجلا   في غرفةٍ منعزلاً
وكان هو ثائرُ   اذا أتاه زائرُ
كشر عن اضراسهِ   وهمَّ بافتراسه
وارسلوا من أخبرا   لبيبةً بما جرى
فاقبلت منكمشة (١)   مذعورةً مرتعشة
ودخلت مجترئة   غرفته مختبئة
وكان في سكونِ   من ثورة الجنونِ
مستغربَ القيودِ   يعبث (٢) بالحديدِ
فابتسمت تكلفا   وهيَ تموت كلفا
فهشَّ مسروراً بها   وبشَّ حينَ قربها
كالاسدِ المريضِ   ملقىً على الحضيضِ
تؤنسه من المها   ذاتُ دلال ودها
سارحةً بقربهِ   مارحة في جنبهِ

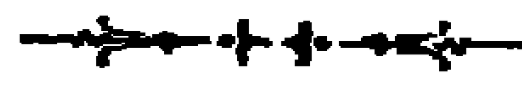
(١) مسرعة   (٢) يلعب

وهو اليها رانيٍ[١] يفترّ[٢] كالجذلانِ
وظلّ حيناً يبسم يُصغي ولا يكلّم
ثم شكا ثم زفر ثم بكى ثم نفر
وعضها في صدرها ورأسِها ونحرِها
فلم تحاول الهرَب من هول ذلك الغضب
وعرّضت حياتها وفضّلت مماتَها
فظلّ في ايلامها وهي على استسلامها
حتى تولّى عنقها باليد يبغي خنقها
فاستصرخت من الوجع وبعدها الصوت انقطع
فأبصروها هامده بين يديه بارده
ثم صحا وأدركا ما قد جناه فبكى
وصاحَ يا للناس لِحسرتي ويـاسي
ويا لهذا العارِ مَنْ محرقي بالنـارِ
يا قُرَةَ النواظرِ وبهجـةَ الخواطرِ
لا تستطيري جَزعا اني آتٍ مسرعا
اليومَ يومُ عُرسِنا والملتقى في رمسنا
ثم هوى معفّرا وماتَ موتاً منكرا
وشيّع الزوجانِ في شكلِ مهرجانِ
ومنتهى السراء كمنتهى الضراء
لم يسعدا في العُمرِ فسعدا في القبرِ

(١) ناظر بتأمل (٢) يبتسم

راح فداء فضلهِ واستبسلت لاجلهِ
كلاهما شهيدٌ وموتهُ حميدُ

تموز (يوليو) سنة ١٨٩٩



وداع وسلام

براح مصر ولقاء الشآم



الوداع

وليلةٍ رائقة البهاء مَشوبة (١) الظلام بالضياء
اشبه بالجارية الغراء في حلَّةٍ شفافة سوداء
بادٍ جمالها على الخفاء سكري من النسيم والأنداء
جرت بنا الفلكُ على الدأماء (٢) خافقة الفؤاد بالرجاء
خفيفة كالظلّ في الاسراء تبدي افتراراً (٣) في ثغور الماء
كأنما طريقها مَرائي والشهب فيها اعينٌ روائي
كانها في سعة الفضاء جنازة لميّت الاحياء
بمشهدٍ من عالم الاضواء في متراءى البحر والسماء
يحملها الموج على الولاء (٤) والريح تحدوها بلا حداء
كانما الأسماع في الاحشاء والدهرُ في سكينة الإصغاء

(١) ممزوجة (٢) البحر (٣) تبسما (٤) التوالي

يا مصر دار السعد والهناء ومهبط الاسرار والايحاء
عليك من هذا المحب النائي سلام قلب ثابت الولاء
يهواك في السراء والضراء

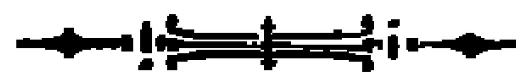


السلام

هذي رؤوس القمم الشماء نواهضاً بالقبة الزرقاء
نواصع العمائم البيضاء روائع المناطق الخضراء
ياحسن هذي الرملة الوعساء وهذه الاودية الغناء
وهذه المنازل الحمراء راقيةً معارج العلاء
وهذه الخطوط في البيداء كأنها اسرّة العذراء
وذلك التدبيج في الصحراء من كل رسم باهر للرائي
مشوّشِ النظامِ في جلاء منتسقٍ بالحسنِ والرواء
وهذه المياهِ في الصفاء آناً وفي الازباد والارغاء
تنساب في الروضِ على التواء خفية ظاهرة اللألاء
ونسمٍ قواتل للداء يشفين كل فاقد الشفاء
ومعشر كأنجم الجوزاء يلتمسون سترة المساء
في ملعب للطيب والهواء ومرتع للنفس والاهواء
ومبعث للفكر والذكاء ومنتدى للشعرِ والغناء
يا وطناً نفديه بالدماء والانفس الابيّة السمحاء
ما اسعد الظافر باللقاء والقرب بعد الهجرِ والجلاء

ان اكُ باكياً من الهناء ... فان طول الشوق في التنائي
علّم عيني الفة البكاء

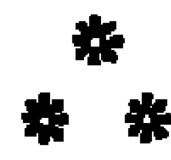
آب (اغسطس) سنة ١٨٩٩



قلعة بعلبك

« تذكار صبى »

همّ فجرُ الحياة بالإدبارِ ... فاذا مرّ فهي في الآثارِ
والصبي كالكرى[١] نعيم ولكن ... ينقضي والفتى به غيرُ داري
يغنم المرء عيشه في صِباه ... فاذا بان[٢] عاش بالتذكارِ



إيهِ آثارَ بعلبكّ سلامٌ ... بعد طول النوى وبُعدِ المزارِ
ووُقيت العفاء من عرَصاتٍ[٣] ... مقْوياتٍ[٤] أواهلٍ بالفخارِ
ذكريني طفولتي وأعيدي ... رسم عهد عن أعيني متواري
مستطابِ الحالين صفواً وشجواً ... مستحبٍّ في النفع والإضرار
يوم أمشي على الطلول السواجي ... لا افترارٌ[٥] فيهن الاّ افتراري
نزقاً بينهن غِرًّا لعوبا ... لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبار
مستقلاً عظيمها مستخفًّا ... ما بها من مهابة ووقار

(١) النوم (٢) زال (٣) ديار (٤) خاليات من السكان.
(٥) ابتسام

يوم أخلو بهنـد نلهو ونزهو   والهوى بيننا أليف مجاري
نتبـارى عدواً كأنا فراشا   روضـةٍ ما لنـا من استقرار
نلتقي تارةً ونشرد أخرى   كل ترب في مخباء متداري
فاذا البعد طال طرفة عين   حثنا الشوق مؤذناً بالبـدار
وعِداد اللحاظ نصفو ونشقى   بجوار ففرقـة فجـوار
ليس في الدهر محض سعد ولكن   تلد السعد محنـة الاكدار
كلما نلتقي اعتنقنا كأنا   جدُّ سفرٍ(١) عادوا من الاسفار
قُبلات على عفاف تحاكي   قبـلات الانداء والاسحار
واشتباك كضمّ غصن أخاه   باياد غرّ من النوّار
قلبنا طاهر وليس خليـا   أطهر الحبّ في قلوب الصغار
كان ذاك الهوى سلاماً وبرداً   فاغتدى حين شبّ جذوة نار
حبذا هندُ ذلك العهـد لكن   كل شيء الى الردى والبوار
هدّ عزمي النوى وقوّض جسمي   فدمار يمشي بدار دمار

*
* *

خِرَب حارت البرية فيها   فتنة السامعين والنظار
معجزات من البنـاء كبار   لاناس ملء الزمان كبار
ألبستها الشموس تفويف دُرّ   وعقيق على رداء نُضـار
وتحلّت من الليالي بشاما   ت كتنقيط عنبر في بهـار
وسقاها الندى رشاش دموع   شربتهـا ظوامئ الانوار

(١) مسافرون حقيقيون

زادها الشيب حرمةً وجلالاً — توّجتها به يدُ الأعصار
رُبَّ شيب أتمّ حسناً واولى — واهنَ العزم صولةَ الجبار
معبدٌ للاسرار قام ولكن — صُنعه كان أعظم الاسرار
مثَّل القوم كل شيءٍ عجيب — فيه تمثيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثمراً يجـ — ـنى ولكن بالعقل والابصار
وضروباً من كل زهرٍ أنيق — لم تفُتها نضارة الازهار
وشموساً مضيئة وشعاعاً — باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيبات — خالدات الغدوّ[1] والإبكار
في جنان معلقات زواه — بصنوف النجوم[2] والانوار
وأسوداً يخشى التحفّز منها — ويروع السكوت كالتزآر[3]
عابسات الوجوه غير غضاب — باديات الانياب غير ضواري
في عرانينها[4] دخانٌ مُثار — وبالحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في — كل آن روائع الزوّار
ضمّها كلها بديعُ نظام — دَقّ حتى كأنها في انتثار
في مقام للحسن يُعبَد بعد الـ — ـعقل فيه والعقل بعد الباري
منتهى ما يجاد رسماً وابهى — ما تحجّ القلوب في الانظار

*
* *

أهلَ فينيقيا سلام عليكم — يوم تفنى بقية الادهار

---

(١) الانتقال (٢) الانبتة التي لا سوق لها والازهار (٣) صوت الاسد (٤) آنافها

لكم الارض خالدين عليها	بعظيم الاعمال والآثارِ
خُضتم البحرَ يوم كان عصياًّ	لم يسخَّر لقوَّة من بخار
وركبتم منهُ جواداً حروناً	قلقاً بالمعرِّس المغوار
ان تمادى عدواً بهم كبحوه	وأقالوه ان كبا من عثار
واذا ما طغى بهم أوشكوا أن	يأخذوا لاعبين بالاقمار
غير صعب تخليدُ ذكرٍ على الار	ض لمن خلَّدوه فوق البحار
شيدوها للشمس دار صلاة	وأتمّ الرومان حلي الدار
هم دُعاة الفلاح في ذلك العصر	واهل العمران في الامصار
نحتوا الراسيات تحتَ صخور	وأبانوا دقائق الافكار
وأجادوا الدُمى (١) فجاز عليهم	أنها الآمرات في الاقدار
سجدوا للذي همُ صنعوه	سجدات الإجلال والاكبار
بعدَ هذا أغايةٌ فترُجى	لتمام أم مطمعٌ في افتخار
نظرت هندُ حسنهنَّ فغارت	أنتِ ابهى ياهند من ان تغاري
كل هذي الدُمى التي عبدوها	لكِ يا ربةَ الجمال جواري

تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٩



العصفور

كنَّا وقد أزف المساءْ	نمشي الهوينا في الخلاءْ
ثَمِلين من خمر الهوى	طَرِبين من نغم الهواء

(١) التماثيل

متشاكيينَ همومنا وكثيرها محض اشتكاء
متباكيينَ وهكذا تحلو محادثة النساء
حتى اذا عدنا على صوت المؤذّن بالعشاء
سرنا بجانب منزل متحدّب واهي البناء
بادي الحقارة والمنا زل للذين بها مَراء[1]
فاستوقفتني وانبرت وثباً كما تثب الظباء
حتى توارت فيه عني فانتظرت على استياء
وأرابني الامر الذي ذهبت اليه في الخفاء
وإساءتي ظنّي بها مثلُ اتّهاميَ للوفاء
لكن عرتني غيرةٌ خبث الضمير بها وساء
وحسبتُ أهل الدار قد خبأوا عشيقاً في الخباء
والفقرُ متّهم فمن يُعدِم[2] اراب لمن اساء
فتبعتها متضائلاً[3] أمشي ويثنيني الحياء
فرأيتُ ثكلى بادياً في وجهها أثر البكاء
ورأيتُ وُلداً سبعة صُبراً عِجافاً[4] أشقياء
سود الملابس كالدجى حمر المحاجر كالدماء
وكأنّ ليلى بينهم ملَك تكفّل بالعزاء
وهبت فاجزلت الهبـ ات ومن أياديها[5] الرجاء
فخجلتُ مما رابني منها وعدت الى الوراء

---

(١) جمع مرآة (٢) يفتقر (٣) ملطفاً شخصي (٤) مهزولين
(٥) عطاياها

واحتلت اذ عادت فقا ت كذا التلطف في المطاء
فتنصلت [1] كذباً ولم يسبق لها قول افتراء
ولربما كذب الجواد فكان اصدقَ في السخاء
فاجبتها إني رأيتُ ولا تكذّب عين راء
لاتنكري فضلاً بدا كالصبح نمّ بهِ الضياء
ان الكريم اذا اختفى عرفته أطيار السماء

***

ثمّ انثنينا راجعَين وقد سررنا ما نشاء
وسألتها صفحاً فكا ن الصفح أربطَ للولاء
وحمدتُها فابت فضا عفَ حمدَها ذاك الإِباء
واذا بعصفورٍ هوى في كفها بيد القضاء
عارٍ صغير واجفٌ ثكلان أيتمه الشقاء
ظمآن يطلب ريّهُ جوعان يلتمس الغذاء
ولشدّ ما سُرّت بهِ ضيفاً على الترحاب جاء
فرحت برؤيتهِ ولا فرحَ المفارق باللقاء
واستنفدت لبقائهِ حيل الحريص على البقاء
تحنو عليهِ كأمّهِ وتضمّه ضمّ الاخاء
فذكرتُ مغترَبي فتيّاً عن عشيري الاوفياء
بولاء طفلٍ لم يذق ألم الفطام من الولاء

(١) تبرّأت

وبعزم لدْنَ العود[1] لم تشدُده آفاتُ العناء
اسعى الى أمنيـة من دونها جَوبُ الفضاء
تتقـاذف الآفاق بي قذفَ العواصف للهباء
وتحيط بي لجج الصروف فمن بلاء في بلاء
في هجرة لا أنس فيهـا للغريب ولا صفاء
حتى قرَرتُ ولي فؤا د لا يقرّ على الجفاء
يصليه ناراً يتّمـه من صحبـه والانسباء
فرثت لفرط شقائه ليلى واولتـه الهنـاء
فشكرتها شكر المريـ ض لمن حباه بالشفاء
فتبسمت عن شطرتي رُمّانة تروي الظمـاء
وثنت الى عصفورها طرفـاً كمصباح مُضـاء
قالت صدقتَ فقلت ان الله أبلغ بالثنـاء
ان الكريم اذا اختفى عرفتـه أطيـار السماء

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٠

قال في سيدة زانت رأسها بطاقة فل

ادات من الرأس فُلّاً فوق الجبين فحلّى
ما كان عهدي قبلاً بالورد يحمل فلّاً

---

(١) ليّن الاضلاع صبي

الاهرام

« على أثر زيارة لاهرام سقاره »

شادَ فأعلى وبنى فوطّدا   لا للعلى ولا له بل للعدى
مُستعبِدٌ أُمتَه في يومِـهِ   مستعبدٌ بنيـه للعادي غدا
اني أرى عدَّ الرمال ههنا   خلائقـاً تكـثر ان تُعدَّدا
صفرَ الوجوهِ نادياً جباهُهم   كالكلاِ[1] اليابسِ يعلوه الندى
محنيـةً ظهورهم خُرْس الخُطى   كالنملِ دبَّ مستكيناً مُخلدا
مجتمعينَ أبحراً منفرعيـ   ـن انهراً منحدرينَ صُعَّـدا
اكلُّ هذي الأنفس الهلكى غداً   تبني لفانٍ جدَثاً[2] مخلّدَا

*
* *

يا أيهـا الموتى ألم يُسمعكمُ   صوت المنادي صادعاً مرددا
قوموا انظروا السوقة فيما حولكم   تدوس هامات الملوك همَّـدا
قوموا انظروا العاديَ في امصاركم   يحكم فيهـا مستبدّاً أيّدا
قوموا انظروا اجسادكم معروضة   في مشهدٍ لمن يروم المشهدا
بعثٌ بهِ يسألـكم حسابَ ما   قدَّمتمُ من راح منا واغتدى
لم يغنكم منه البناءُ عاليـاً   والارض نهباً والملوكُ أعبُدا[3]
وكان يغنيكم جميل الذكر لو   خفضتم اللحدَ وشِدتم بالهدى
أخطأ من توهَّمَ القبرَ له   حرزاً يقيه بالردى[4] من الردى

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٠

---

(١) العشب (٢) قبراً (٣) عبيداً (٤) الموت

وفاء

قصة فتاة عوّادة جرت في مصر وحضر الناظم ختامها

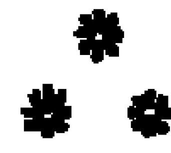
اشيري الى عاصي الهوى يتطوّعِ ونادي المنى تقبلْ عليكِ وتسرعِ
اقفراً فتاةَ الروم والحسن مغنم وطهراً وهذا العصر عصر تمتّعَ
الى كم تطوفين البلاد تسوُّلاً تبيعين صوت العود للمتسمعِ
لقد كان عهد للفضيلة وانقضى وأبدعِ هذا العهد أمراً فابدعي
ولو شئتِ قال الحب إمرةَ قادرٍ لجدب هذا العيش أزهر وامرعِ
وللقفر كن صرحاً مشيداً لأُنسها وللصخر كن روضاً واورق وافرعِ
وللظلمة الخابي بها النجمَ اطلعي لها انجماً إن تغرب الزُهرُ تسطعِ

* * *

فتاةٌ كما تهوى النفوس جميلة منزّهة عن ريبةٍ وتصنعِ
تخال محلاةً وماثمَّ من حلًى سوى أدب وَفْر وحسن ممنّعِ
هضيمةُ كشحٍ ما بها من خلاعةٍ ويكذب ما في مشيها من تخلعِ
بياض يغار العاجُ منه نقاوةً ويحجبه لون الحياء كبرقعِ
وعينان سوداوان ينهلُّ منهما ضياء كسكوب الرحيق المشعشعِ
تمدّ يديها للسؤال ذليلةً فان سُئلت ما ينكر النبلُ تمنعِ
فلله تلك الكف تبسط للندى ولو طلبت مُلكاً لفازت بأرفعِ
تودّ قلوب الناس لو بذلت لها كبعض عطاء المحسن المتبرّعِ

* * *

رآها فتًى خالٍ فملّك حسنَها قيادَ الهوى في قلبهِ المتوزّع
وكان ضعيف الرأي في أمر نفسه رقيقَ حواشي الطبع سهل التطبع
أديباً صبيحَ الوجه بين ضلوعه فـؤاد جـوادٍ بالمحامـد موزَع
غنياً على البذل الكثير موطّأً له كنف العليـاء في كل مفرع
فغازلهـا يوماً فعفّت فظنهـا تشوّقه بالصدّ عنـه لمطمع
وأنّى على فقر تعفُّ طهارَةً ولا عفـة الاّ بريّ ومشبع
فسام اليها عِرضها سومَ مشترٍ وأغلى لهـا مهرَ الشباب المضيّع
على زعم ان المال وهو شفيعـه يكون لدى الحسناء خير مشفّع
ولكن تعالت عن اجابة سؤله وردّت عليه المال ردّ ترفع
فما زادها الاجـلالاً إباؤهـا ومـا زادهُ الاّ صبـابةَ مولـع



وأدركهـا في روضة فخلا بهـا برأى رقيبٍ للعفاف ومسمع
فكاشفها الحبّ النزيهَ فاقبلت عليه ولم تنفر ولم تتورّع
وقالت له اني فتـاة عليلة قريبة ميعاد الردى المتوقَّع
تناوبني جوع وبرد فاقلقـا دعائم صـدري الخائر المتصدع
واني كما تدري فتاة وضيعة ومثلك ان يُقرَن بمثلي يوضع
فدونك بين الغيد كل خريدة ربيبة مجد ذات قدر مرفع
واياك حباً دونه كل شقوة تعاني بهِ دائي وتفجع مفجعي
وكلني الى همّي فاني غريقـة ببحر من الآلام والذل مترع
اذا لحظت عيني الهناء فانه لينفرُ مني نِفرة المتفـزّع

سقيتُ الرزايا طفلةً ثم هـذه ... ثمالة تلك الكأس فلأتجرّع
فقال لهـا بل يشهد الله بيننـا ... واسقامُ قلبي الوالهِ المتوجع
وتشهد هذي الشمس عند غروبها ... وما حولنـا من نورهـا المتفرّع
واستشهد الروضَ الاريضَ ودوحه ... وما فيه من زهر وعطر مضوّع
وهذي الظلالَ الباسطاتِ اكفها ... وهذي الشماعَ المدليات باذرع
وهذي المياهَ الناظرات باعين ... وهذي الغصون المصغيات بمسمع
باني لا ابغي سواك حليـلةً ... ومهما تسُمني صبوتي فيك أخضع
وأني اقلي[1] صحتي وشبيتي ... اذا لم تكوني فيهما متمتعي
لعينيك أرضى بالحيـاةِ بغيضةً ... عليّ فان عوجلتِ بالبين اتبـع
فقالت له مسرورة وهي قد جثت ... لديهِ بذلّ العـابد المتخشـع
افي حلم ام يقظةٍ ما سمعته ... فان سروري فرْطَ ما زادَ مُفزعي
لعمرك ما قرّت عيون بمنظر ... ولا طربت نفس بلحن موقع
ولا رويت ظمأى الرياحين بالندى ... فعادت كازهى ما تكون وابدع
ولا آنس الملاّح بشرى منارةٍ ... له يلقا أهل وصحب ومربع
كما طبتُ نفساً بالذي أنت قائل ... وفارقني اليأس الذي كان موجعي
وما أنا الاّ حرّة مسترقّة ... لفضلك مهما تأمر القلب يصنع
واجزيك عن عمري الذي قد اعدته ... اليّ باخلاصي على العمر أجمع
وقد ختما هذي العهودَ بقبلة ... واكّـدها صدق الغرام بمدمـع

***

حياتك ما ساءت وسرّت كمركب ... على سفر راسٍ قليلا فمقلع

---

(١) ابغض

فإِمّا انقضت فالحادثات جميعها ... تزول زوال العارض المتقشّع
انتظرها حسناء جمّلها الردى ... ليسطو عليها سِطوة المتشنّع
على وجهها من مغرب الشمس مسحة ... تذيب فؤاد العاشق المتطلع
يقول وقد ألقى عياءً بنفسهِ ... على الارض كالنِضو الطليحِ[1] المضلَّع
فجعتَ فؤادي يا زمان بخطبها ... فليتك مرزؤ الفؤاد بافجع
عروسٌ لعامٍ لم يتمَّ صرعتها ... ولو شئتَ لم تضرب بامضى واقطع
فباتت على مهد الضنى ما لجفنها ... هجوع ولا جفني يقرُّ بمهجع
وكانت ربيعاً لي فاقوت[2] مرابعي ... من الزهر والشدو الرخيم المرجع
أقول لها والداء ينحل جسمها ... عزاءكِ لا بأسٌ عليكِ فتجزعي
كذبتُ على ان الاكاذيب ربما ... اطالت حياة للحبيب المودّع
ولكن أراها ينفثُ الدمَ صدرها ... فأشعر في صدري بمثل التقطع
واحنو عليها حِنية الأمّ مشفقاً ... وهيهات تحميها من البين اضلعي
وارنو اليها باسماً متكلفاً ... فتفشي مرارا سرَّ خوفيَ ادمعي
وما غرّها مني افترارٌ وانما ... يدل على اليأس انكشاف التصنع
اذا ابتسمْ من خلال كآبتي ... على ما بقلبي من أسًى وتفجع
فقد يبسمُ البرق البعيد وإنه ... لذو ضرم مفنٍ ورعد مروّع

* * *

فبينا يناجي نفسه وفؤاده ... كشلوٍ بأنياب الهموم مبضّع
دعته وقالت يا حبيبيَ إِنه ... دنا أجلي فالزمْ على القرب مضجعي

(١) المجهود السقيم (٢) خلت

اذا تبتعدْ اوجستُ خوفاً من الردى ... ولكنني اسلو الردى ان تكنْ معي
أيذكرك التوديعُ اولَ ملتقىً ... كشفنا به ستر الغرام المقنَّع
وَحلفتنا(١) ان لا يصدّع شملَنا ... فراقٌ على رغم الزمان المصدّع
فمش سالمًا واغنم شبابك مطلقاً ... من العهد(٢) ولأجعل فداك بمصرعي
وما كان ذاك العهد الاّ وديعةً ... تلقيتُها من ذي وفاءٍ سميذَع
وعند النوى توفى الاماناتُ أهلَها ... ويُنهى الى اربابه كلُّ مودَع
ولكن اذا ملّكتَ قلبك فاحتفظ ... برسمي وحسبي فيه أصغرُ موضع

* * *

فاصغى اليها وهو يشهد نزعَها ... وينزع في آلامه كلَّ منزع
وقال أبى الله الخيانة في الهوى ... فان لم أمت بالعهد فلاتطوع
فيا بهجة البيت الذي هو بعدها ... كدارس رسم فاقد الأنس بلقع
ويازهرة الحبّ التي بذبولها ... ذبولُ فؤادي الناشئ المترعرع
لئن تنزلي دار الفناء وحيدةً ... فلا كان قلبي في الهوى قلب أروع(٣)
وان عدت فيمن شيعوكِ فلا يكن ... بموتيَ لي من صاحب ومشيّع

* * *

ولما أجابت داعيَ البين مَوهناً(٤) ... أجابَ كما شاء الوفاء وما دُعي
أصابت سهامُ اليأس مقتلَ قلبه ... فما نُعيت حتى على إثرها نعي
على أنها الدنيا اجتماعٌ وفرقةٌ ... وتخلفُ دارَ البين دارُ التجمع

اذار (مارس) سنة ١٩٠٠



(١) اليمين التي اقسمناها (٢) القَسَم (٣) شهم (٤) ليلاً

الأسرة المباركة

تهنئة أرسلت من سفر الى المرحوم بشاره باشا تقلا لتقرأ على المائدة بين الاهل والاصدقاء في يوم عيده وعيد نجله جبريل حفظهُ الله

اراكم واضيافكم مشرقين | كعقدٍ من الانجم الزاهره
فريدتهُ وهي شمسُ الحمى | تقرُّ عيونكم الناظره
تغذّى النفوسُ باقوالها | وتشربُ آدابها الطاهره
يقابلها زوجها الالمعيُّ | فتى العصر آيتهُ النادره
فتًى في السماح خفيُّ اليدين | ولكنَّ ايديهَ (١) ظاهره
حديد العزيمة نفّاذها | كما تنفذُ النصلة الباتره
وجبريل نجلهما المقتدى | صغيرٌ وشيمتهُ كابره
يهنئه القوم في عيده | وأعينُه بينهم حائره
يقوم ويقعد لا يستقرّ | كإِشعاع لؤلؤة باهره
ومَن بالقرار لجسم خفيف | على وثبِ افكارهِ الطائره
كزهرة روض تمرُّ بها | فتقلقها النسمُ السائره
فلا زالَ بهجةَ ذاك الحمى | وبشراهُ بالنعم الوافره
ولا زالَ ذاكَ الحمى ملتقى | ذوي الفضلِ والعلمِ والآصره (٢)

آذار (مارس) سنة ١٩٠٠



(١) مكارمه (٢) القربى

للغريق ثأر



تعزية لسعادة اسمعيل بك عاصم نجل المغفور له محمد باشا عاصم

في وفاة اخيه المرحوم أحمد بك عاصم

وقد مات غريقاً

لو كان مما شاءَ ربُّك عاصمُ ... لنجا الغريقُ وعاش احمد عاصمُ
سُقيَ الردى حيثُ الأُجاجُ[1] رحيقهُ ... والكأس بحر موجه متلاطمُ
وثوى رهينَ قرارة ميَّادةٍ[2] ... لا يستقرّ بها الدفين النائم
ياراحلاً ما كان اسرعَ كرَّةً ... من عمره الاّ الحِمام الهاجمُ
لَرثى لك الجاني عليك لو انه ... للبحر قلب ذو شعور راحم
ابكى العيون على صباك وانما ... من مائهِ دمع العيون الساجم
هذا هو العجب العُجاب وانه ... سرٌ يحار بهِ اللبيب الحازم
يقضي المهيمن في العباد قضاءه ... والخَلق يجهل والمهيمن عالم
ولعلّهُ ارعى عليك[3] من البِلى ... في تُربةٍ تربو[4] وانفُكَ راغم
فاقرّ جسمك حيث يغدو جوهراً ... تَستامُ فيه الدرّ وهي كرائم
وسما بنفسك في العلى فتألقت ... مفترَّةً حيث النجوم بواسم
فكلاهما في عالَمين تشاكلا ... شبهاً كما شاءَ البديع الناظمْ
تلك النجوم الطافيات عوالم ... والدرّ في الماء المحيط عوالم

(١) الماء المِلح (٢) متحرّكة (٣) ابقى عليك (٤) تزداد

صغرت عظائمها لدى تكوينها — وصغارهن على النظام عظائم
اسفاً عليك ونحن أولى بالاسى — أين الذي يشقى وأين الناعم
كانت لك الدنيا وكان لك الغنى — والجاه والجسم الصحيح السالم
ولك الصبى والزهو والزمن الرضى — واللهو والسعد المطيع الخادم
من كل ما يُعتَدّ غنماً للفتى — لو في الحياة مغارم ومغانم
فضيتَ لا مَن عاش بعدك غانم — رهنَ العذاب ولا شبابك غارم
يتكافأ الحدثان في الدنيا سوى — أن نمت عنه ومن تخلّف قائم
فاصبر لخطب أخيك اسماعيلُ هل — يغني من البين الاسى المتفاقم
حسب المبرّة منك بالذكرى له — جودٌ يوالي جوده ومكارم
فالبرّ سلوى والمكارم مِنّةٌ — منا علينا والوسيطُ العادم
هذا هو الاجر المخلّد ان محا — آثارَنا المفني القروضُ الهادم
هذا هو التاج الذي لك فيه من — دمع اليتيم فرائد ويتائم
هذا هو الطرسُ الذي تبدو بهِ — خلَلَ السطور من العفاة مباسم
فافعل فبعض الفضل خير للفتى — من كل ما يقني المصلي الصائم
ومصيرنا والدهر والدنيا معاً — فقدٌ عميم والانحلال لازم
لا بحرَ ناجٍ منهُ يومئذٍ ولا — أُفُق ولا حدَثٌ ولا متقادم
وبما نقِمنا من صروف زماننا — سيديلنا[١] منها القدير الدائم
انّ الذي وارى شقيقك فاختفى — فيهِ ولم يعثر عليه الرائم[٢]
سيغوله بحر الفناء كقطرة — ويسيغهُ العدَم الشَروب الهاضم

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٠

---

(١) سينتقم لنا منها (٢) الطالب

العقاب

واقعة جرت في مصر لاحدى الأُسَر المثرية تسلسلت من عهد اسماعيل
حتى انتهت بالفاجعة الموصوفة

سوى الحب لا يشفي الفؤاد المكلَّما [1] ... ولا يَهنىء العاني وان كان مؤلما
وما زال ذو القلب الخليّ من الهوى ... كظمآنَ لا يروي له موردٌ ظما
هو الدهر كالتيّار يكتسح الورى ... بليل من الاحداث أعكر أهيما [2]
فما أسعدَ الروحَين ان يتلاقيا ... ويقتسما فيه الأَسى والتنعُّما
كما يتلاقى في طريق مخوفةٍ ... غريبان نالت شقّةُ السَير منهما
وكم عاشق يسلو رزاياه [3] بالهوى ... وقد يجتلي وجه الهناء توهُّما
كسالك وَعْر راقه حسن كوكب ... فأرجُله تدمى وعيناه في السما
فان ناله في الحبّ رزءٌ فانه ... ليقضي خليقاً ان يموت فيسلما

* * *

عفا الله عن صبٍّ شهيدِ غرامهِ ... اصاب جراحاً حيثما ظنّ مرهما
فتًى كان ذا جاه وعلم وفطنة ... كريمَ السجايا مستحباً مكرما
ولكن لكلٍّ حيثُ جلّت سعودُهُ ... شقاءٌ يوافيه اجلّ واعظما
سبت لبّه « اسماءُ » منذُ احتلامهِ ... فكان الهوى ينمو بهِ كلّما نما
تعلّقها حوريةً حَضَريةً ... يكاد يكون النور منها تبسُّما
تراءت معانيها بمرآة قلبهِ ... فثبّتها فيها الغرامُ وأحكما

---

(١) المجرَّح (٢) شديد الظلام (٣) مصائبه

لهـا شَعَرٌ كالليل يجلو سوادهُ بياض نهار يبهر المتوسّما
وعينان كالنجمين في حَلَك الدُّجى هما نعمة الدنيا وشقوتها هما
وأهداب أجفان تخال أشعّةً مصفّفة غرّاء تعكس عنهما
ومنفرِجٌ من خالص الماج مارن (١) كأنّ الهوى قد بُثَّ فيا تنسّما
تبالغ فيه الحاسداتُ وشايةً وما حجّة الواشي اذا الحقّ أفحما
فربَّ سويّ عدّ عيباً بموضع وفي غيره للحسن كان متمّما
وربَّ غريب في الملامح زانها وكان بها من محكم الوضع اوسما (٢)
وثغرٌ كما شفّت عن الراح كأسها يتوجها درّ الحباب منظما
وخصرٌ اليه ينتهي رَحْب صدرها وقد دقّ حتى خيل بالثوب مُبرما
فإن أقبلت فالغصنُ أثقله الجنى فمال قليلاً واستوى متقوما

* * *

تعلّقها غِرًّا لعوباً من الصبي فما شبّ الاّ راح ولهانَ مغرما
ولازمها كالظلّ غيرَ مفارق مشوقاً على كرّ الليالي متيّما
وكانت على الايام تزداد بهجةً ويزدادُ إعجاباً بها وتهيما
وكان على جهلٍ يعيش بحبها وبالأمل المدفون فيه تكتّما
يسرّ سرور الطفل بالامّ ان دنت ويبكي اذا بانت كطفلٍ تيتّما
ولم تدنِه غَضّ الشباب فيشتني ولم تقصهِ قبل الشباب فيفطما
فكاتبها يشكو اليها عذابه ويرجو ذليلاً ان ترقّ وترحما
ولكن جفت فانذكّ معقلُ صبره وأعياه دفع اليأس عنه فسلّما

* * *

---

(١) اوصاف الانف (٢) اجمل

لايّ الملوك الصيد صرح ممرّد[1] كبرج وما الابراج منه بأفخما
تمنطق من انواره بمقائق وقلّد فوق الرأس دُرّاً وانجما
نَعَم هو دار للملوك عتيقة ولكن غدت للفُحش داراً وبئسما
حباها أميرٌ غاشم لأسافلٍ بعِرض تولاه ورُدّ مثلّما
كذا يفعل الطاغي المطاع فانه ليفتك محموداً ويسلب مُنعما
بناءٌ بمال الناس قام جبايةً ولو ذوّبوا تذهيبه لجرى دما
هنالك انوار شواتمُ للدّجى[1] روام بها مدحورةً كلّ مرتمى
جواعلُ ايام الذي هنّ ليلهُ نهاراً طويلاً لا يُرى متقسّما
يُعظِّمنه ان ينقضي بعضُ عمرهِ مُناراً لحكم الله والبعضُ مُظلما
اذا خشيَ الجاني لِقاء ضميرهِ ادال من الليل المصابيحَ واحتمى
هنالك إطعامٌ كثير وانما يخصّ به من كان للحقّ أهضما
ومن ماؤه دمعٌ وخمرته دمٌ ويفترسُ المسكينَ لحماً وأعظُما
ولاثمُ من كَدح الفقير ممدّةٌ فلا تهن مدعوّاً ولا تهن مولما
هنالك جمهورٌ تخال رجالَهم نساءً محلاةً ونسوتهم دُمى[2]
يميلون من فرط المسرّة نشوةً ويُنشد كل منهمُ مترنما
فيا ايها العافي الملمّ بدارهم رويدَك لا تغبط غنياً مذمما
ايُغبط من جادت يداهُ بعرضهِ لما أنه أثرى بذاك فأكرما
ومن يلتمس رزقاً وهذا سبيلهُ فأخلق به ان يستهان ويرجما
هنيئاً لك الإعسار والعرض سالمٌ وكن ما يشاء اللهُ جوعان مُعدما
ترقّب عقاب الله فيهم هنيهةً تجدْ عيدهم هذا تحوّل مأتما

---

(١) قصر عال (٢) الظلمات (٣) تماثيل

***

كلوا واشربوا ما لذَّ لكم وحلا لكم ... وفضّوا زُجاج السلسبيل المختَّما
وطوفوا سُكارى راقصين وأنشدوا ... ولا تسمعوا صوتَ الضمير مؤثّما
فما هي الاّ لحظةٌ ثمَّ تنقضي ... فسرُّوا بها ما تستطيعون ريثما
ومَن أمكنته فرصة غير عالم ... بما بعدها فلينهب الصفو مغنما
وأغوي عباد الله « أسماء » وابذلي ... لحاظك آلاء (١) وان كنَّ اسهما
محبوكِ كُثْر والابرُّ معاقب ... ومَن برَّ بالحسناء عوقِب مجرما
يحبكِ حتى أنتِ ممتى حياتهِ ... إذن هو أولى ان يُساء ويظلما
ومهما يجدَّ الوجدُ فيه فبالغي ... بهزلكِ حتى تقتليه تهكُّما
فلمّاً رأى ان الرجاء مضيّع ... وان منار السعد بان وأعتما
مضى يتمشّى في الحديقة مُغضَباً ... يكاد الأَسى فيه يثير جهنما
يروح ويغدو خائفاً ثمَّ راجياً ... ويبكي حزيناً آسفاً متوجّما
تُشاكُ (٢) برأى ذلك الروض عينه ... ويحسب فيه ضاحكَ الماء مضرما
فيالمقاب الفرع والاصلُ قد جنى ... ليغدوَ انكى ما يكونُ وأصرما
يقول أسيفاً ليتني كنتُ مدقماً ... من الفقر لم املك رداءً ومطعما
ويا ليتني أقضي نهاريَ متُعباً ... واحسد في الليل الاصحاء نوّما
ويا ليتني شيخ ضئيل محدَّب ... اسيفٌ على عهدٍ حبيبٍ تقدّما
إذن كان هذا العيش كأساً مسوغةً ... بصبري احليِهِ وان يكُ علقما
اينفعني جاهي وعلمي وفطنتي ... وهل عصمت قبلاً سواي فأعصما
ولكن أرى ان المذاهب ضقن بي ... وان مماتي قد غدا متحتما

---

(١) نعماً (٢) تُجرَح بمثل وَخز الشوك

وإِن يرمِني بالجُبن قومٌ فإِنني رأيت اتقاءَ الضيم بالموت احزما
اذا اشتدَّ غلِّي في إناءٍ فما الذي يعاب عليه إن وهى وتحطما
وان رَزَح الجمّالُ من وقرِ[1] حملهِ أَيلقيه عنه ام يطاوع لوّما
فلما انتهى اورى الزناد مسدّداً الى قلبه فانحطَّ يخبط بالدِما
كأنَّ بناءً راسخاً في مكانه هوى بشهابٍ محرقٍ وتهدّما
كأَن الجمادَ الناضحَ الدمَ لم يكن سميعاً بصيراً مدركاً متكلما
كأَنْ لم يكن علمٌ هناك ولا نُهًى ولم يكُ فضلٌ يستفادُ ميمّما
كأَنْ لم يكنْ حبٌّ فصدٌّ حبيبةٍ فيأسٌ كبركان يثور تضرّما
فموتُ بريءٍ حيثما بات جدُّهُ اثيماً باموال العباد منعّما

*
* *

وإِذ شيعته الناسُ زادَ شجونَهم فتًى كان يبكي بينهم متوجّما
رفيقُ صبيٍّ للميت في معهدٍ بهِ تأدّب كلٌّ منهما وتعلّما
فقيرٌ الى الإِدقاع والكُفرِ[2] مبتلًى بداء عصى طبَّ الطبيب وأَعقما
كفيلُ عيالٍ مات عنهم ابوهمُ وخلّفهم للبِكر منهمُ مَغرما
يقول وراء النعش يا عجباً له يموتُ وكان السالمَ المتنعما
وأَلبثُ رَهنَ الغمِّ والجوع والضنى ليفضُلني حياً وميتاً ويغنما
فما كاد يستوفي وداع صديقهِ ويبردُ غِلَّ النفس مما تظلّما
ويدعو اليه الموتَ حتى أَجابهُ لدُن همَّ ذاك الليل ان يتصرّما[3]
فنام على مهد الفناء تبسّطاً يكاد يهنّي نفسه لو تكلما
وجفّتْ مآقيهِ لاول مرّةٍ ولم يُرَ حيناً قبلها متبسما

---

(١) سقط الى الارض من ثقل حمله (٢) منتهى الفقر . (٣) ينقضي

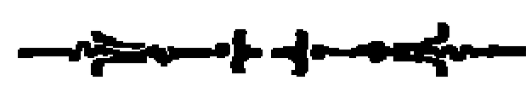
ومن عظمت الآمه سرّه الردى ... وان ساء أيتاماً وأثكل ايّما [1]

فيا ايها الجسمان لن يتوجّعا ... ويا ايها القلبان لن يتألما

تمثلتما شخصين للنحس غالباً ... وللسعد مغلوباً وللموت أرحما

فبُعداً لدارٍ عفتماها فإننا ... شقيونَ فيها والسعيدان أنتما

كانون اول (دسمبر) سنة ١٩٠٠



يوميات اديبة

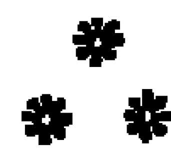
تكتب يومياتها « عادلة » ... ناقدة في حكمها عادلة

تذكر ما يخطر في بالها ... في كَلِم ممدودة حافلة

وتصف الناس على خبرة ... حتى نراهم صوراً ماثلة

وتصف الاحوال مشهودة ... كأنها المرسمة الناقلة

في جُمَل موجزة جزلة ... واضحة ترسلها عاجلة



أعجبني من نقدها قولها ... في غادة بادنة جاهلة

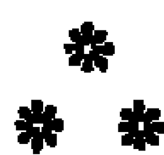
« فلانة حسناء لكنها ... على صباها بَضّة خاملة

ان تتكلم فهي مجهودة ... أو تتحرّك فهي متثاقلة

كوردة أكثر ارواؤها ... فنشأت مائيةً ذابلة »

---

(١) ارملة



وقولها في هَرِم جاعل هوى الغواني شُغُلاً شاغله
«وجه الثمانين وشعر الصبي الشيب حلي الانفس الكامله
لم يتزوَّج وهو شأن امرئ يحسب جهلاً نسوة الناس له
فضاع في إسرافه عمره ولم ينل الاّ المنى السافله
وما درى أن سعود الهوى لفاضل زوجته فاضله»

وقولها خطرةَ فكر لها كأنها عن نفسها قائله
«فلانة حسناء في زعمهم أديبة آنسة عاقله
لكنها ليست على ثروة إذن فهاتيك الحلى باطله
يزدحم الفتيان في بابها وتتبع القافلة القافله
كأنها التمثال في متحف تزوره للرؤية.. السابله[١]»

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠١



في احسان محسنة

حبَّبَ الفقرَ الينا منك احسان شريفُ
فاشتهى الموسرُ منَّا انه عافٍ[٢] يطوفُ

---

(١) ابناء السبيل (٢) فقير

مقتل بزرجمهر

اشتهر كسرى بالعدل وكان بلا نزاع اعدل ما يكون الملك المطلق اليد في احكام بلاده فان كان ما وصفناه في هذه القصيدة احدى جنايات مثله في العادلين فما حال الملوك الظالمين

سجدوا لكسرى اذ بدا إجلالا ... كسجودهم للشمس اذ تتلالا
يا أمَّة الفُرْس الاسودَ على العدى ... ماذا الحالك في السلام سِخالا (٢)
كنتم كباراً في الحروب اعزةً ... واليوم بتُّم صاغرين ضئالا
عُبَّادَ كسرى ما تحيهِ نفوسكم ... ورقابكم والعرضَ والاموالا
تستقبلون نعاله بوجوهكم ... وتعفّرون أذلّةً أوكالا (٣)
التِبرُ كسرى وحده في فارس ... ويعدّ أمّة فارس أرذالا
شرُّ العيال عليهم وأعقُّهم ... لهم ويزعمهم عليه عيالا
إن يؤتِهم فضلاً يمنّ وان يَرُم ... ثأراً يُبِدْهم بالعدوّ قتالا
واذا قضى يوماً قضاءً عادلاً ... ضرب الأَنامُ بعدله الامثالا

* * *

يا يوم قتل بُزُرْجُمْهُر (١) وقد أتوا ... فيه يلبّون النداء عِجالا
متألبين ليشهدوا موت الذي ... أحيي البلاد عدالة ونوالا
يبدون بشراً والنفوس كظيمة ... يجفلن بين ضلوعهم إجفالا
تجلو اسرّتهم بروق مسرّة ... وقلوبهم تدمى بهن نصالا

(١) ضبطت بهذا الشكل كما ينطق بها الفرس في لغتهم (٢) السخال اولاد الشاة (٣) ضعافاً جبناء

واذا سمعت صياحهم ودويّهم   لم تدرِه فرحاً ولا إعوالا

***

ويلوح كسرى مشرفاً من قصره   شمساً تفيء مهابةً وجلالا
شبحاً لأرموزَ[١] العظيم ممثلاً   ملكا يضم رداؤه رئبالا[٢]
يزهو به العرش الرفيع كأنه   بسنى الجواهر مُشعَل اشعالا
وكأن شرفته مقام عبادة   نصب التكبُّر في ذراه مثالا
وكأن درّة سيفه عين ترى   كم تحت قائم سيفِهِ آجالا

***

ما كان كسرى اذ طغى في قومه   الاّ لما خلقوا به[٣] فعّالا
هم حكّموه فاستبدّ تحكما   وهم أرادوا ان يصول فصالا
والجهلُ داء قد تقادم عهدهُ   في العالمين ولا يزال عضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلهم   الا خلائقَ اخوةً امثالا
لكنّ خفضَ الاكثرين جناحهم   رفع الملوك وسوّد الابطالا
واذا رأيت الموجَ يسفلُ بعضُه   الفيتَ تاليَهُ طغى وتعالى
نقصٌ لفطرة كل حيّ لازمٌ   لا يرتجي معه الحكيم كمالا

***

واذ استوى كسرى وأجلس دونه   قواده البسلاء والأقيالا
صعدت اليه من الجماعة صيحة   كادت تزلزل قصره زلزالا
واذا الوزير بزرجمهر يسوقه   جلاّده متهادياً مختالا

---

(١) الاله الاكبر للفرس (٢) اسداً (٣) استحقوه

وتروح حولها الجموع وتغتدي ... كالموج وهو مُدافَع يتتالى
سخط المليك عليه إثر نصيحة ... فاقتصَّ منه غواية وضلالا
أبزرجمهر حكيمُ فارسَ والورى ... يطأ السجون ويحمل الاغلالا
كسرى اتبقي كل فَدْمٍ غاشمٍ (١) ... حياً وتُردي (٢) العادل المفضالا
وتدقُّ في مرأى الرعية عنقه ... ليموت موت المجرمين مُذالا (٣)
أين التفرُّد من مشورة صادق ... والحكم أعدلُ ما يكون جدالا
ان تستطع فاشرب من الدم خمرة ... واجعل جماجم عابديك نعالا
واذبحْ ودمّرْ واستبح اعراضهم ... واملأْ بلادهمُ أسى ونكالا
فلأنت كسرى ما ترى تحريمه ... كان الحرام وما تحلُّ حلالا
وليذكرَنّ الدهرَ عدلك باهراً ... ولتُحمدَنَّ خلائقاً وفعالا
لو كان في تلك النعاج مقاوم ... لك لم تجيء ما جئته استفحالا
لكن أرادت ما تريد ميطمةً ... وتناولت منك الاذى إفضالا

* * *

ناداهمُ الجلاد هل من شافع ... لبزرجمهر فقال كلٌّ لا لا
وادار كسرى في الجماعة طرفه ... فرأى فتاة كالصباح جمالا
تسبي محاسنها القلوب وتنثني ... عنها عيونُ الناظرين كَلالا (٤)
بنتُ الوزير اتت لتشهد قتله ... وترى السفاهَ من الرشاد مُدالا
تفري الصفوف خفيّةً منظورةً ... فَرْيَ السفينة للحباب (٥) جبالا
بادٍ محيّاها فأين قناعها ... وعلامَ شاءت أن يزول فزالا
لا عارَ عندهم كخلع نسائهم ... أستارَهن ولو فعلنَ ثُكالى

---

(١) جاهل ظالم (٢) تقتل (٣) مهاناً (٤) ضعفاً (٥) الموج

فأشار كسرى ان يُرى في أمرها　　فمضى الرسول الى الفتاة وقالا
مولايَ يعجب كيف لم تتقنعي　　قالت له أتعجباً وسؤالا
أ نظرْ وقد قُتل الحكيم فهل ترى　　الا رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له　　ماتَ النصيحُ وعشتَ انعم بالا
و بقيتَ وحدك بعده رجلاً فسُدْ　　وأرعَ النساءَ ودبّر الاطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها　　لو أنّ في هذي الجموع رجالا

اذار (مارس) سنة ١٩٠١



الزهرة

(اوّل وسام)

الى البرنسس دي افيرينوه و يزنيوسكا وقد منحت وسام شرفت من الدرجة الاولى ولقب نجمة الشرق من لدن شاه العجم

زُهَرَةُ الافق تجلّت على　　عبّادها في عزّة لا ترام
بين نجيمات بدت حولها　　كادمع جفّت وكانت سِجام
بَرودة في أعين المجتلي　　فاعجب لها من بَرَد ذي ضرام
تسقي عيون الناس شبه الندى　　من نورها الصافي فتشفي الاوام[١]
كأنما الزهراء[٢] ما بينها　　مليكة في موكب ذي نظام
والقوم جاثون لدى حسنها　　سجود حبّ صادق واحترام
مطهرو الإيمان من شبهة　　منزهو الصبوة عن كل ذام[٣]

---

(١) العطش　(٢) نعت للزهرة　(٣) عيب

لا كافر منهم ولا ملحد ولا جحود خافر للذمام
مـا أكرم الدين على أهله اذا التقى فيه التقى والهيام

***

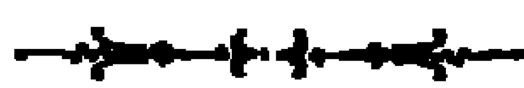
وكان منهم رجل واقفاً في منبر نُصّ له من أمام
شاعرهم وهو لسان الهدى بينهم وهو عليهم إمام
يسمعهم من شعره منشداً ما أسكر القوم ولا كالمدام
فقال منهـم رجل صالح ثار بهِ الشوق وجدّ الغرام
يا شاعر الوحي ونور التقى ألا لقاء قبل يوم الحمام
قد برّح الوجد باكبادنا حتى استطلنا العمر دون المرام
نهفو الى الزهراء شوقاً فان جفت جفانا صفونا والسلام
لقد تقضى خير ايامنا ونحن نرجو ورضاها حرام
اذا أتى الليل سهرنا لهـا بأعين مفتـونة لا تنـام
وان اتى الصبح دعونا بأن ينقضيَ الصبح ويأتي الظلام
فهل لهـا ان تجـلي ساعة لنا كوعد الملهَمين الكرام
وأن نراهـا بشراً مثلنـا وتتولّى ملكها في الانام
فرفع الشاعر أبصاره الى العلى ثم جثا ثم قام
واستنزل الوحي فخطت له آية نور فتولّى الكلام
وقال من قرّب منكم لهـا عدّة شهرين وصلّى وصام
أبصرهـا إنسية تجـلي في المعبد الاكبر يوم الختام

***

فانصرف القوم وباتوا وهم بما بهِ الشاعر أوصى قيام

يرتقبون الموعد المرتجى لذلك الامر المُجاب الجُسام
حتى اذا وقتُ التجلي أتى وضاق بالأَشهاد رحب المقام
وانتثر القوم صغارَ البُنى (١) بين سواريه (٢) الطوال الضخام
وأوشكت ثبَّت اركانه تميد مما اشتدَّ فيه الزحام
دون زواياه بانشادهم وعقد التبخيرُ شبه الغمام
وشحب النورُ كأَن قد عرا من غيرة شمس الاصيل السقام
فلاح برق خاطف بغتةً وانشقَّ ستر عن مثال مقام
عن غادة زهراء حوريةٍ أبدع رسم للجمال التمام
منحوتةٍ في الصخر لكنها توشك ان تحيي رميم العظام
لا روح فيها غير اتقانها وقد تكاد الروح فيها تشام (٣)
لحاظها ترمي سهام الهوى ووجهها ينشر آيَ السلام
وصدرها أفق بدت نجمة فيه كأَنَّ النور فيها ابتسام
كانت هي الزهراء لاحت لهم والكوكب البادي عليها وِسام (٤)

نيسان (ابريل) سنة ١٩٠١



للكتابة تحت رسم

يا مَن اليهم أهدي مثالي انَّ مثالي هو الودادُ
ما ذاك رسم خُيلتموهُ بل ذاك طيف فيه فؤاد

---

(١) جمع بنية أي صغار الاجسام (٢) اعمدته (٣) تُنْظَر
(٤) علامة

صفقة خاسرة

« جواب كتاب في واقعة اغريت بها فتاة جميلة على عِرضها »

جاء الكتاب وأصدِقْ ... به رسولاً أمينا
أدّى البلاغَ وأبدى ... من الحديث شجونا
لكن شجانيَ خطب ... وصفتَه لي مبينا
وصفاً تناهيتَ فيهِ ... براعة وفنونا
فياله من مصاب ... أجرى الفؤاد شؤونا

* * *

أتلك « سارا » التي كا ... ن حسنها يسبينا
وكان للعقل تاج ... يزين منها الجبينا
وللحياء شعاع ... يغضُّ عنها الجفونا
وكان كلُّ ابتسامٍ ... منها عطاء ثمينا
وكل لفظ كدرّ ... يصيده السامعونا
ماتت قتيلَ هواها ... لم تبلغِ العشرينا
ولم تزفّ عروساً ... مرجوّةً للبنينا
ولم تخضّبْ ولم يشد ... ـدُ حولها الشادونا
ولم تنل ملك يوم ... به تقرّ عيونا

* * *

جلّ المصاب ملمّا ... بمثلها ان يهونا

فكيف وهو مُزيلٌ نوراً ومُبقٍ طينـا
دبَّ الفساد اليهـا خفيف وطءٍ كمينـا
وعالج الروح حتى أباح عرضـاً مصونا
فكان أفدحَ رزءًا وكان شرًّا منونا
وهوّن العمر خُسراً وعظّم العِرض دينـا
فليت سارا قضت في سوى العفاف طعينـا
اذن لزُفَّت عزيزاً على الورى ان تبينـا
في مشهد يستدرُّ الـ صفا عليهـا عيونا
تبكي الصواحب فيه ويندب المنشدونا
ويرفع الصوت كلٌّ بذكرها تأبينـا
لكنها اليوم ليست بميتة تبكينا
ولا مرجّاة بمـل وعيلة صالحينـا
أمست ضريحًا وأمسى فيها العفاف دفينا
باعت جمالاً بمال وكان بيعاً غبينا
والمال ما زال ربًّا يستعبد العالمينـا
أضلّهـا وقديم اضلاله الراشدينـا

***

فانظرْ الى ما تبقّى من حسنها مستبينا
فانما هو ما لا نودُّه ان يكونا
وردٌ تحوّل جمراً بلمس الفاسقينـا

طيب يحلب سمّاً ‏ ‏ في أنفس العاشقينا
نور يمدُّ حراباً ‏ ‏ في أعين المبصرينا
مرآة خلقٍ عفيفٍ ‏ ‏ تمثّل المجرمينا
كأسٌ تريب فتظمي ‏ ‏ بخمرها الشاربينا
ذكرى أسًى لجمال ‏ ‏ حوى الفضائل حينا
ثم اغتدى وهو خلوٌ ‏ ‏ منها لدى الناظرينا
كجنّة كان فيها ‏ ‏ أحبّةٌ آهلونا
ففارقوها وظلّتْ ‏ ‏ تستوقف الآسفينا

ايار (مايو) سنة ١٩٠١



حنا الصغير

تعريب قصيدة فرنسوية من ديوان الشاعرة الأديبة الآنسة جان كريمة الوجيه الخواجا نقولا قصيري

ليَ ابن عمّ بالغ أربعاً ‏ ‏ من عمره او دونها أشهرا
طلق المحيّا شعره مذهب ‏ ‏ وثغره كنز حوى جوهرا
يختال كالجنديّ مستكبراً ‏ ‏ وما أحبّ الطفل مستكبرا
قالت له المُرضع يوماً وقد ‏ ‏ احسن سيراً حقّ ان تؤجرا
هيا نزُرْ جدّتك الآن يا ‏ ‏ بنيّ فالبس ثوبك الافخرا
فراح مثل الظبي يعدو الى ‏ ‏ غرفته جذلان مستبشرا

ومرّ في الدار بطير لهم　قد أودعوه قفصاً مقفرا
وكان فيه صامتاً موحشاً　كما يكون الحرُّ مستأسَرا
ففتح الباب له مسرعاً　وقال أحسنتَ نخيراً ترى
اراك مشتاقاً الى جدّة　تزورها فاذهب وعُدْ مبكرا

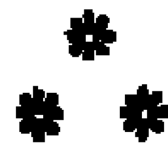
حزيران (يونيو) سنة ١٩٠١



تهنئة بزفاف

أنشدها الناظم في حفلة زفاف ابن عمه رشيد افندي اسعد مطران على السيدة اليس كريمة المرحوم خليل زهار

دعْ ما ظفرت به من الازهارِ　وخذ الكريمة من يد الزهّارِ
حسناء قد عقدوا نظائرها لها　تاجاً وهنّ ولائد الاسحار
فاذا نظرتَ فلست تدري أيها　بنت الجِنان ولا عروس الدار
بل مَن لازهار الجنان بما بها　من كل معنى رائع سحّار
اين الجمال متوجاً بطهارة　اين الشباب مكللاً بوقار
اين الذكاء محلياً آدابها　اين الحياء منكس الابصار
هذي عروسك بوركت لك ولتكن　سعداً لبيتكما على الادهار



يا ايها الالفان قد ازمعتما　سفراً وطيب النفس في الاسفار
فتوليا ترعاكما عين الذي　هو في الوجود مصرّف الاقدار

وتلقيا في بعلبكّ محبة ‏ وكرامة من أمّة ابرار
اني لاهوى بعلبكً وأهلها ‏ اوَلا وهم أهلي وتلك دياري
واحبُّ فتيتها الكرام فانهم ‏ سمحاء في الاعلان والاسرار
يسعون بين يديكما وهم الأُلى ‏ يسمى الكبار لهم من الإكبار
ويقابلونكِ يا عروسَ عزيزهم ‏ بمفاف أطفال ورفق كبار
ويسيّجونكِ في المسير كرامة ‏ وتجلّةً لك بالقنا الخطار
ويكللونكِ بالنصال تشابكت ‏ كمظلّةٍ صنعت من الانوار
هذي هي الدار التي استوطنتها ‏ وهم بنو الوطن العزيز الجار

***

رُدّي لها عهد السرور وأرجعي ‏ عزمَ الشباب لعاثر الآثار
وتفقدي تلك المعابد واسألي ‏ فيها الصدى عن صامت الاسرار
تَرَي الاواله(١) والملوكَ وكلّ ذي ‏ علم وكلّ محنّك جبّار
يتحرّكون على انتقال ظلالهم ‏ وكأنهم وثبوا من الاحجار
فاذا همُ ضحكوا اليكِ وابرقت ‏ فيهم أساريرٌ للاستبشار
كوني لهم املاً بانّ بنيك لا ‏ يدعون كسوتهم غبار العار
واذا تفقدتِ الدُّمى وعجبت من ‏ تلك المحاسن فتنة النظار
عادت لهن حياتهن عقيبَ أن ‏ منيت(٢) بموت ردًى وموت دمار
ورأيتهن لبسنَ من فوق البِلى ‏ حللاً مذهّبة من الانوار

حزيران (يونيو) سنة ١٩٠١

(١) المعبودات (٢) اصيبت

قبلة عفاف

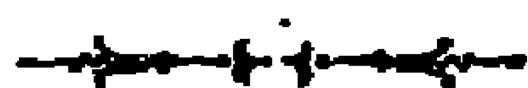
زرتُ حمى الحسناء والشمس قد تنزَّلت عن عرشها القائمِ
وكمدَ النور فمن مُذْهَب الى لُجَينيٍّ الى عاتم
وعبس الافق فلا يجتلى سوى نجيم راجفٍ باسم
مشارفٍ حجلتها ناظرٍ لها بعين المغرم الهائم
يخفق خفق الآثم المتَّقي فيا لهُ من متّقٍ آثم
رأيته يبدو بمرآتها ويختفي في قلق دائم
مراقباً عن كَثَب رائماً ماعزٌ مطلوباً على الرائم
حتى اذا عنَّ له شخصها وقد بدت في وشيها الناعم
كمَلَك باهي السنى ينجلي في فلك من حوله قاتم
خالَسها في ثغرها قبلةً وكان كالدرَّة في الخاتم

تموز (يوليو) سنة ١٩٠١



في اهداء باقة ازهار الى سيدة افرنجية

هذه تحفة الرياض الى مَن فاح في الشرق طيبها وتأرَّج
هي بين الحسان زهرة انس حسنها بالحياء منها مسيَّج
وعجيب جمعُ المهيمن فيها عزَّة الورد واتضاع البنفسج



عود من الصعيد

الى حضرة الفاضلة مدام شاسينه قرينة مدير دار الآثار الفرنساوية بمصر وقدعادت من رحلة لها في الصعيد تفقدت فيها بعض الآثار القبطية ابّان اشتداد الحرّ في تلك الارجاء

اوقد الصيف في الصعيد لظاهُ   فاجفّ الحقول والآجاما
وغدا الناس بين جوّ كثيف   متردٍّ من الغبار غماما
وفلاة كأنما الرمل فيها   شَرَر مُدَّ لمعةً واضطراما
وكأن المياه في النيل تجري   بخطًى ابطأت ووجه تعامى
شبه ذوب الرصاص يصعد في الكير فلما   طغى برفقٍ ترامى
وعرا الاعين الكلالُ فأنّى   نظرت حمرةً رأت وقتاما
وكأن النعاسَ في عصب الارض تمشّى   فكل ما دبّ ناما
وكأنّ الدُّمى التي صنعتها   أمّة القبط متعباتٌ قياما
بلدٌ طفتِهِ جديباً كئيباً   فارتوى منكِ نضرةً وابتساما

تموز (يوليو) سنة ١٩٠١

تفاحة ونعيم

وتفاحةٍ اعطيتنيها تكرُّماً   فاوليتني فضلاً بذاكَ عظيما
بها أفقدت حواءُ آدمَ جنّةً   واكسبتِني تفاحةً ونعيما

وفاة الملكة فكتوريا

بنوكِ فروع للعلى واصولُ وملككِ ما للشمس عنه أفولُ
وسعدك في الامثال سار ولم يكن له في سعود المالكين مثيل
وما شهد الاقوام قبلكِ سيدا يطاع مطيعاً قومَه ويصول
ولا آمراً يدعونه فهو سامع وتستمع الاقدار حين يقول
فلما دهاكِ البين جلّ مصابهم فلا عينَ الا بالحداد كحيل
ايعجز هذا الأَيْد والمجد كلّه فيرجع دون البين وهو كليل
وتفديكِ جندٌ في الحروب اعزّة وانتِ بلا سهم أصاب قتيل
عجبت لها في قيد باع توسدت ودولتها في الخافقين تدول
وكانت كنجمٍ ثابت فازالها قضاء أرانا النجم كيف يزول
كأن جموع الخلق يوم ترحلت عيال عليها نادب وثكول
كأن القصور الحافلات بحشدهم رسوم خلت من نابس وطلول
كأن نجوم الليل حرّاس نومها وانوارها شبه الدموع تسيل
كأن بزوغ الشمس بعد احتجابها لتنظر حال الحسن كيف تحول
كأن جنود البرّ سارت بنعشها جبال رمال تعتلي وتهيل
كأن اساطيل البحار وقد مشت بهِ جزِعات والخضمّ مهول
فيالعظيم الجاه لم يكُ مغنيا لدى الموت منه تالد واثيل
ويا لطويل العمر تفنيه لحظة وهل عمُرٌ رهنَ الفناء طويل

تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٠١



الوردة والزنبقة

« كتاب من ليلى الى عزيز »

ملامتكم عدل لو الحبّ يعدلُ وارشادكم عقل لو القلب يعقلُ
رماني الهوى سهماً أصاب حشاشتي فكيف على ما اشتكي منه أُعذَل
ذروني[١] وشأني انه لو نفى الاسى ملامٌ لخففت الذي اتحمل
كتابَ حبيبي انت خير تعلّة لقلبي وقد اعي الطبيب المعلّل
كشفتَ ظلام الشكّ عن وجه حبه فلاح كبدر التم والليل اليَل[٢]
ونبهت ظني للمدى وهو غافل على حين عيني من جوىً ليس تغفل
ابانوه عني فابتلوه بقاتل من الداّء والداّء الذي بيَ أقتَل
فليس على قرب المزار بعائدي وما بيَ ان اسعى اليهِ فافعل
تناظَرُ دارانا ويحجبنا نوًى بعيد حديد اللحظ وهو مفلَّل
ولو أَنَّ بعد العسر يسراً مؤمَّلاً ولكن غدونا والحِمام المؤمل
شقيتُ وعمّت شقوتي ما يحيط بي فما سلمت روضٌ ولم ينجُ منزل
وكنت ارى الازهار اسعد حالةً فاحسدها والسعد بالزهر أَمثَل
فالفيتُ ان لا حيّ الا معذب واشقى ذوي الآلام من يتعقل
معاهدُ صفوي في الصبى بانَ صفوها كأن الذي في النفس للدار يشمل
وروضة ايناسي ولهوي تحوّلت فلا جسنها يسلي ولا الشدو يشغل

* * *

تفقدتُها والفجر يفتح جفنَهُ كما انتبه الوسنان[٣] والجفن مُثقَل

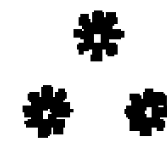
(١) دعوني (٢) مظلم (٣) النائم

فطفتُ على الازهار في أَمْن نومها ... انبّهها جذباً اليَّ فتجفلُ
احاول سلواناً بتشكيل باقة ... فاقتل منها ما أشاء واثكل
وما كنت من يجني عليها خلائقاً ... ضعافاً ولكن جِنّة(١) اليأس تحمل
الى ان ابدت لي وردة مستكينة ... كأن دموع الفجر فيها تهلّل
لها طلعة الجاه المؤثل والصبي ... وفي الوجه تقطيب(٢) لمن يتأمل
تلوح عليها للكآبة والاسى ... مخايلُ دقّت ان تُرى فتخيّل
ويكسبها معنى الحياة ذبولها ... لدى ناظريها فهي في النفس اجمل
مليكة ذاك الروض جاورَ عرشها ... من الزنبق الماثي مليكٌ مكلل
اغرُّ المحيا كالصباح نقيُّهُ ... له قامة كالرمح أو هي اعدل
اذا ما استمالته الى الوردة الصبا ... فلا ينثني كبراً ولا يتحول
فبينا يدي تمتدُّ آناً اليهما ... ويمنعني الاشفاق آناً فاعدل
ويبدو جبين الصبح وهو معصّب ... بتاج كأن التبر فيهِ(٣) مخضّل
وما تتشظّى(٤) شمسةُ في اشتعالها ... تشظّيَ قلبي وهو بالشوق مُشعل
اذا والدي قد طوقتني يمينهُ ... وفي وجههِ دمع من العين مرسل
فقبلتهُ ظمآى كان بمهجتي ... لظى النار والشيب المقبّل منهل
فقال وما يدري بموقع قوله ... لما هو من امريَ وامرك يجهل
شفيقاً بحال الزهرتين فؤادُهُ ... شفيعاً بما في وسعهِ يتوسل
« بنيّةِ عفواً عنهما فكلاهما ... شقي يودُّ الموت والموتُ ممهل
فلا تسبقي سيف القضاء اليهما ... على انه يشفيهما لو يعجل
حبيبان سُرّا ساعة ثم عوقبا ... طويلاً كذاك الدهر يسخو ويبخل

---

(١) جنون (٢) عبوسة (٣) مندّى (٤) تشعّ اتقاداً

إن لهذين العشيقين حادثاً | غريباً بودّي ان ارى كيف يكمـل
لقد جاورت هذي العروسُ اليفها | لدُنٌ هو مياس المعاطف أميَل
فكان اذا مرّت بهِ نسم الصبا | يميل اليها عاشقاً يتغزل
يداعبها جهد الصبابة والهوى | ويُعرض عنها لاعباً ثم يقبل
ويرشف كلٌّ من جبين حبيبهِ | دموع الندى خمراً رحيقاً فيثمل
ولكنهُ لم يلبث العودُ ان قسا | فلم تثنِ عطفيهِ جنوبٌ وشمال
فشقّ عليها بينُه وهو جارها | وباتت لفرط الحزن تذوي وتنحل
وعما قليـل يقضيـان من الجوى | وان صحّ ظني فهي تهلك أوّل»



فوا رحمتا هذي حقيقة حالنـا . | رآها ابي في الزهرتين تمثّل
بكى جزعاً للزهرتين ولو درى | اصان لنا الدمعَ الذي راح يبذل
هما صورتانا في الهوى وحديثُنا | حديثهما بين الازاهر يُنقل
اقبّل ذاك الغصنَ كل صبيحةٍ | كأنيَ للنائي الحبيب اقبّل
وانظر اختي في الشقاء كانني | اراني بمرآةٍ اموت واذبل

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٢



﴿ الى السيدة اميلي سرسق الشهيرة بمبراتها وقد قدمت مصر ﴾

اذا غبتِ عن دار عليك عفاتهـا | عيال فما الاحسان عنهـا بغائبِ
كذا الشمس ان تغرب فان الذي بهِ | تصون حياة الناس ليس بغـاربِ

اكرام لعروس

« في الجبل المقدّس »

هي وليمة فرح حضرها الناظم في منزل صديقه الوجيه اسعد افندي نقولا وكانت رائعة الجمال بترتيبها ولطف زينتها وأنس معشرها وكمال مجتمعها فقال فيها هذه الموشحة من حاضر الوقت تخيّل فيها حفلة مقامة على الجبل المقدس فى بلاد اليونان ايام كان معبودهم الاكبر جو بيتير امون وكان شعراؤهم يزعمون ان ندمان جنّتهم يعقدون مثل هذه المجتمعات للمسامرة والاستئناس بعد ايام الاعراس

في قديم الزمانْ صاحَ داعي أمُونْ
يا نُدامى الجِنانْ فأتوَا يحفـلونْ

* * *

واحاطوا جُلوسْ بخوان نضيدْ (١)
واحتسوا(٢) في الكؤوسْ دَمَ كَرْمٍ شهيدْ
وتجلَّت عروسْ بينهم للشهودْ

* * *

مُـذ بدَت في المكانْ بُهر الحاضرون
اكبرَتهـا القيانْ واصطبى الناظرون

* * *

لبثوا في نعيمْ بين عين وحوزْ
ونشـيد رخيم خالصٍ للسرورْ

(١) مائدة منسوقة (٢) شربوا

ومكان وسيم وعبير ونور

***

ذاك وصف العيان خطّه الواصفون
أترى ذاك كان ام تراهُ يكونْ

نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٢



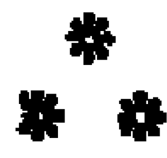
رثاء

للمرحوم فقيد الامتين بشاره تقلا باشا

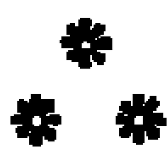
سلمتَ لو انَّ السهمَ سهمُ مقاتلِ ولكنَّ ما أصماك سهم مخاتلِ[١]
تغافلَ منك الرأي طرفة مقلة تخولستَها والدهر ليس بغافل
وقد علم الموت الذي بتَّ حربَه مراسك في دفع الرزايا الجلائل
ولكنها الاعمار ان هي عوجلت فلا حول في ردّ القضاء المعاجل
قضاء بافناء الحياة موكَّل الى ان يكون الموت آخر زائل
فليس بمُنجٍ منه قلب مناضل الى آخر الانفاس أو عزم باسل
ولاحرص أحنى الوالدات على ابنها ولا جهد اوفى برَّةٍ[٢] في المقائل
ومن لم يمت بالداء فالطب لم يزل سلاح المنايا في يدَي كل جاهل
له الويل من ليل طويل وساعةٍ حسبنا المدى في سيرها المتثاقل
نرى شهبهُ والدمع يغشى عيوننا تلوح وتخفى كالدموع السوائل

(١) آخذ على غِرَّة (٢) بارَّة

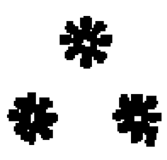
ونسمع منه في السكون تنهُّداً وذاك صدى انفاسنا في المخايلِ
وقفنا بهِ نقضي وداع حبيبنا حيارى كاشباح بواكٍ ثواكل
نُنادي الهمام المرتجى غير سامع وكان مجيباً قبلها كلَّ سائل
نُنادي أبرَّ الاصدقاء ولم يكن يخيّب اذ يدعى رجاءً لآمل
نُنادي أبا جبريل باسم وحيدهِ وقد كان لا يُعتاق عنه بشاغل



فتى المجد ان القوم جالوا وساجلوا وأرخى عنانَ الرأي كلُّ مطاول
فاين الذي كان المقدَّم فيهمِ وكان وديع النفس عفَّ الشمائلِ
وأين الذي صمصامه دون عزمه مضاءً اذا ما استلَّه في المعاضل
وأين الذي كانت بوادر فكره تخطُّفَ برق في دياجي المشاكل
وأين الذي في كل مصر يحلُّه له المنزل المرفوع بين المنازل
وأين الذي ميعاده غير مُخلَف وتسبق منه القول غرُّ الفعائل



الا في سبيل الله أوفى مفارقٍ وفي ذمة العلياء أكرم راحل
وذاك المحيّا الطلقُ والطلعة التي يلوح عليها الانس بادي الدلائل
وتلك العيون الناطقات لحاظها باجلى بياناً من مقالة قائل
وذاك الفؤاد الثَبْت في كل أزمة اذا مرَّت الاحداث مرَّ الزلازل
وذاك الشباب الغضّ والهمة التي تدوس الى غاياتها كل حائل



بشارة جلَّ الخطب فيك وانه لرزء عميم ماله من مماثل
فان تبكِ مصر فهي تبكي مصابها باروعَ ميمون النقيبة فاضل
وان تبكِ سوريا فقد كنت ركنها وكنت ابرّ ابن لاجزع ثاكل
وان تبك اربابِ الصحائف ترحة فقد يعرف التالون فضل الاوائل
وان ابكِ منك المحمدات فما انا على الدهر وافٍ حقّ تلك الفضائل

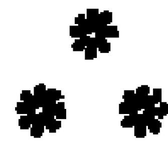
حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٢



المساء

« قال الناظم وهو عليل في مكس الاسكندرية »

داءٌ المَّ حسبتُ فيه شفائي من صبوتي فتضاعفت بُرَحائي
يا للضعيفين استبدّا بي وما في الظلم مثل تحكّم الضعفاء
قلبٌ أذابتهُ الصبابة والجوى وغِلالة رثّت من الادواء
والروح بينهما نسيم تنهُّد في حالَي التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نورَهُ كدري ويضعفه نضوبُ دمائي



هذا الذي ابقيتهِ يا منيتي من أضلعي وحشاشتي وذكائي
عمرين فيكِ اضعتُ لو انصفتني لم يجدُرا بتأسفي وبكائي
عمرَ الفتى الفاني وعمرَ مخلد ببيانه لولاكِ في الاحياء
فغدوتُ لم أنعم كذي جهل ولم اغنمْ كذي عقل ضمانَ بقاء

***

يا نجمةً زهراءَ مَن يستهدِها   يستهدِ طالع ضلّة ورياء
يا مورداً يسقي الورودَ سرابُهُ   ظمأً الى ان يهلكوا بظماء
يا زهرة تحيي رواعي(١) حسنها   وتميت ناشقها بلا ارعاء(٢)
هذا عتابك غير أني مخطئٌ   ايرام سعد في هوى حسناء
حاشاكِ بل كتب الشقاء على الورى   والحبُّ لم يبرح احبَّ شقاء
نعمَ الضلالة حيث تؤنس مقلتي   انوار تلك النجمة الزهراء
نعم الشفاء اذا رويتُ برشفة   مكذوبة من وهم ذاك الماء
نعم الحياة اذا قضيتُ بنشقة   من طيب تلك الزهرة الفيحاء

***

اني أقمت على التعلة بالمنى   في غربة قالوا تكون دوائي
ان يشفِ هذا الجسم طيب هوائها   أيلطف النيران طيب هواء
او يمسكِ الحوباءَ(٣) حسنُ مُقامها   هل مَسكة في البعد للحوباء
عبث طوافي في البلاد وعلّة   في علة منفايَ لاستشفاء
متفرّدٌ بصبابتي متفردٌ   بكآبتي متفردٌ بعنائي
شاكٍ الى البحر اضطراب خواطري   فيجيبني برياحه الهوجاء
ثاوٍ على صخرٍ أصمّ وليت لي   قلباً كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي   ويفتّها كالسقم في اعضائي

---

(١) ...ن التة، توعم   (٢) بلا ابقاء عليه   (٣) يحفظ الروح

والبحر خفّاق الجوانب ضائق كَمَداً كصدري ساعة الإمساء
تغشى البريةَ كُدرةٌ وكأنها صعدت الى عينيّ من احشائي
والافق معتكر قريحٌ جفنهُ يغضي على الغمرات والاقذاء

***

يا للغروب وما بهِ من عَبرةٍ للمستهام وعِبرة للرائي
اوَليس نزْعاً للنهار وصرعةً للشمس بين جنازة الأضواء
اوَليس طمساً لليقين ومبعثاً للشكّ بين غلائل الظلماء
اوَليس محواً للوجود الى مدىً وإبادةً لمعالم الاشياء
حتى يكون النور تجديداً لها ويكون شبه البعث عود ذُكاء(١)

***

ولقد ذكرتكِ والنهار مودعٌ والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاهَ نواظري كَلْمى(٢) كدامية السحاب ازائي
والدمع من جفني يسيل مشعشَعاً بسنى الشُعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره فوق العقيق على ذرًى(٣) سوداء
مرّت خلال غمامتين تحدُّراً وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن آخرَ دمعة للكون قد مزجت بآخر أدمعي لرثائي
وكأنني آنستُ يوميَ زائلاً فرأيتُ في المرآة كيف مسائي

تموز (يوليو) سنة ١٩٠٢



(١) الشمس (٢) جريحة (٣) مرتفعات

باقة مائدة

كان الناظم مريضاً ومصطافاً في المكس فلما تماثل دعا بعض الاسر المصرية التي كانت هناك لتناول العشاء ليشكر لها بعض الشكر عنايتها بهِ ايام اعتلاله وهيأ مائدة مزدانة بالازهار فجعل امام كل سيدة من المدعوات كأساً تبدو منها زهرة فريدة بين نظائرها اقرب الازهار شبهاً الى صاحبتها ووضع وراء الكأس ورقة مقوّاة ذات صفحتين على احداهما وهي الموجهة للسيدة تعداد الاطعمة كالمألوف وعلى الصفحة الثانية ابيات من الشعر بيّن بها الناظم معنى وضع كل زهرة امام صاحبتها

قال في السيدة المتصدّرة وتجاهها وردة

لكِ صدر المقام في كل نادٍ ... كل عقد ذو درّة مختاره
فخذي منصب الامارة فينا ... ان للورد في الجنان الاماره

وكتب في صحيفة فتاة امامها نرجسة

النرجس الخافض اجفانه ... ليس بوسنانَ ولا نائمِ
لكنّ الحاظكِ اخجلنَهُ ... فغضّ عنها مقلة الكاظمِ

وكتب في صحيفة فتاة امامها زنبقة

زنبقةَ المجلس فوحي لنا ... طيباً فذا الطيب من المقل فاحْ
انتِ ابتسامٌ صيغَ في قطرة ... من الندى في قبَس من صباحْ

وكتب في صحيفة عقيلة امامها زهرة كاليا وهو اسم لزهر جميل محمرّ اللون

كاليا الروضة في حسنها ... وعَرفها والفخر دون افتخارْ
سُهيلُ في زُهر الدجى مثلها ... وأنتِ في الحورِ نجوم النهارْ

وكتب في صحيفة بنيّة لاول اقتبال صباها وازاءها فلّة

يا فلّةً تطلع من كُمّها ... كسَحَرٍ من أُفقِ البحرِ
سوف يرينا الحسن والعقل من ... نوركِ ملء العين والفكرِ

فنجان قهوة

حديث واقعة جرت في قصر ملك مستبدّ

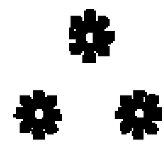
هذه القصيدة وتاليتها نظمتا لتنشدا في مجلس سيدة نبيلة على اثر محاضرة دعت الى ذلك

البحر ساجٍ (١) والسكينة سائده ... والليل داجٍ والمدينة راقده
غمر الظلامُ هضابها وجبالها ... وقلاعها وصروحها فازالها
شبه المحيط المستوي وبقاعِهِ (٢) ... ما لا يُرى من شمّةٍ وبقاعه
لا نجمَ في الافق المحجَّب سافرُ ... خللَ السحاب ولا سراج ساهرُ
واذا اصاخ الى الجهات مطيفُ ... سمعاً فلا رِكز (٣) يحسُّ خفيفُ
الا خُطى شبح ضئيل هائمٍ ... كالوهم يسري في مخيلة واهمٍ
في غابة بجوار دار الملك في ... أفق الجلال ومطلع النور الخفي
في هضبةٍ أقعى (٤) عليها ثعلبُ ... متدثّر بالارجوان معصّب
دامي الشفاه يمدُّ شبه النار (٥) ... لولوغ ما فيها من الآثار
ويجيل في الآفاق أخبث ناظرِ ... متقلباً فيها تقلب حائرِ
ويميل اصغاءً الى النسمات ... خوفاً من الاحياء والاموات
يخشى الأنام وكلهم يخشونَهُ ... لكن يبيحهم وهم يرعونَهُ
وكأنما العظم الرميم البالي ... من كل من ضحّاه غير مبالي
يسعى اليهِ من القبور مبكّتا ... أبداً فيلبث مصغياً متلفتا

* * *

(١) هادىء (٢) في اسفله (٣) صوت (٤) جلس
(٥) كناية عن اللسان

تلك الخطى في الهضبة الشماء   كانت خطى إنسية حسناء
بنت المليك المستبدّ العاتي   العابدِ الشهوات واللذات
السالبِ المعطي لادنى مأربِ   الهادم الباني لادنى موجب
الغادرِ الهيَّابة الرعديدِ   الاّ بقتل الآمنين القودِ(١)
جفت السرير الى مكان خالي   من اعين الرقباء والعذال
للقاء جنديّ جميل المنظر   كالشمس باديةً بصورة قسور(٢)
رأس الحماة لصرح ذاك العاهل(٣)   ليلاً وحارس رأسه من غائل
لمحتْهُ يوماً خلسةً في موكب   بجوار والدها الأمير الاهيب
تمحو أشعةُ حسنهِ الوهاج   بجمالهنّ جلالَ ربّ التاج
فأصابها سهم الغرام والمّا   حتى لكان يهون لو اجرى دما
وقضت لياليَ بعد ذلك ساهده.   حيرى مولهةً ملولا واجده
لا تستريح ولا تقرّ من الجوى   وتخالِ داءَ ما بها وهو الهوى



فاستوصفت ظئراً(٤) لها في امرها   حدباء اذكى الشيبُ فاحمَ شعرها
طوت السنون على الخدائع قلبَها   وانرنَ بالعبرِ السواطع لبَّها
فتمثلا في وجهها المتجعدِ   للناقدين وطرفها المتوقدِ
قالت بنيةِ ان جسمك سالم   ولعلّ داءك أن قلبك هائم
قالت أظنُّك ان رؤية رائي   تفضي بصاحبها الى البرحاء(٥)

(١) المتقادين   (٢) اسد   (٣) الملك   (٤) الظئر المرضع وتكون عند الشرقيين مربية رضيعها تلزمه الى الكبر   (٥) شدة الاذى

قالت كذاك الحبُّ باديءٌ بدئه ... حتى ينوء المستهام بعبئه
قالت فكيف ترين لي ان افعلا ... قالت أرى سلوانه بكِ أمثلا
قالت أحاولهُ وقلبي دامي ... فاذا سلوتُ ذكرتُ في الاحلام
قالت فيا أسفاً ولكن قدَّرا ... لك يا ابنة الامراء ربُّك ما جرى
فلئن أطعتِ هواكِ وهو محكِّمُ ... فسواكِ فيه يا بنيةِ مجرمُ
قالت فمَنْ قالت مزاجُك ثائرا ... وقواكِ واهيةً وجهلكِ آمرا
وجميعُها من عيشة التقييد ... والسجن والتضييق والتشديد
نخذي لنفسك من كتابٍ مؤنسا ... قالت ايشفي غلَّتي قالت عسى
وأتت اليها ظئرُها منذ الغد ... بكتابٍ اختارته وَفْقَ المقصد
جمع الغريب مسائلاً وشواردا ... وحوى العجيب رسائلاً وقصائدا
فاستحسنت منه الاميرة نادره ... نظمت بشبهِ الادمع المتناثره
في ذكر قائد فرقة مشهورِ ... علقته إحدى الغانيات الحورِ
فتعاهدا في ليلة ليلاء ... عهداً على السراء والضراء
ثمَّ انتهى بهما الغرام الى الردى ... ظلماً فكانا بالمنيَّة أسعدا

* * *

ذاك الحديث أنارَ ظلمة فكرها ... وأزال حيرة بالها في امرها
فاستوثقت من ظئرها ان تكتما ... ما ازمعته وامطرتها أنعُما
وأسرَّت النجوى اليها انها ... ترجو على امرٍ عظيمٍ عونَها
قالت فما هو ذاك يا مولاتي ... قالت وقد شرقت من العبرات
هو أن اراهُ تحت جنح ظلام ... ولو أن في ذاك اللقاء حِمامي
قالت ومَن تعنين قالت أعظَما ... حرسِ المليك وخيرهم متوسَّما .

ذاك الفتى العالي على الفتيان | حامي منام ابي من العدوان
قالت ومَن لي أراه خاليا | او ان يصدقَ دعوتي فيوافيا
قالت إذن أمضي اليه كتابا | قالت لها فلتأتينّ عُجابا
هذا قيادك في يديه يوضع | بل فخر آلك بل صباك يضيعً
أكذا تراسل حرّةٌ مجهولا | ساء الكتابُ وقد يخون رسولا
قالت أصبتِ وانما لم تنظري | ذاك الحبيب كما نظرتُ فتعذري
لو شمتِ بارق حسنهِ الفتان | لرأيتِ عين الحسن في انسان
ورأيت ابدع صورة للخالق | في خلقهِ أتكون حليَ منافق
كلاّ وأزعمهُ اعزّ واكرما | اويفسدَ النورُ النقيّ ويتُهما

*
* *

واذ استتمت قولها سكتت وقد | أغضت كما هو شأن مهتاجٍ همد
وقضت كذاك هنيهةً متفكره | ثم استوت مجهودةً متغيره
ورنت لمرضعها طويلاً ساجيه | بنواظر لا روحَ فيها ساهيه
منهوكةٌ لولا عزيمةُ رأيها | لتقطعت أوصالها من وَهْيها
وتكاد تُقرأَ آيةٌ بجبينها | مكتوبةٌ باليأس بين عيونها
قالت أمرتُ بأن اراه فاحملي | هذا الكتابَ اليه لا تتمهلي
الموت في الحالين غاية مسلكي | فَلأنعمنّ بنظرة ولأهلكِ

*
* *

وتواعد المتعاشقان على اللقا | في مأمن من طارق أن يطرقا
حتى اذا دفق الدجى بسيوله | مضت الاميرة في خلال سدوله
تختال في أثوابها السوداء | عن قطعةٍ تمشي من الظلماء

طوراً تضل وتارةً تتعثَّر ... وفؤادها متفزّع متطير
وتكاد ان لمحت إشارة نور ... تخلّ مثل غياهب الديجور(١)
لكنّ ذاك الخوف لم يتجرَّدِ ... من لذّة الشيء الذي لم يُعتدِ
ورجاء نور مقبل وأمانِ ... وسعادة يأتينها في آن
حتى اذا جاءت مكان الموعد ... حيرى النواظر والنُّهى٢ لا تهتدي
سمعت خطىً بالقرب ثم ورى٣ لها ... برقٌ واغمد في الظلام فهالها
وبدا لها خلل الضياء خيالُ ... ذاك الحبيب كأنه تمثالُ
فاشتدّ خفق فؤادها متوزّعا ... بين المهابة والمنى متصدّعا
وكأن ذاك البارق اللماعا ... سيف مضى فيه فطار شعاعا
فهوت لساعتها وقرّت نائمه ... وقضت لُباناتها(٤) وماتت ناعمه
فتح الغرام بتلك النظرةِ ... باب النعيم السرمديّ فمرّتِ

* * *

ورأت عيون النائم السهرانِ ... ما قد جرى في هضبة البستانِ
فأشار ان يؤتى بذاك الحارس ... من حيث كان من الظلام الدامس
فأتوا اليه بهِ كظيماً شاحباً ... قلق النواظر حائراً لا هائباً
فرنا اليه كما يضيء الكوكبُ ... اذ شقّ عنه من بعيد غيهبُ
وعلى محياه ابتسام عتابِ ... كالكهرمان مغبّراً بتراب
« ما هكذا يا أصدق الخفراء ... شأن الشجاع مصاهر الامراء
سبق الحِمام الى العروس فنالها ... وأخذتَ منها ظلّها وخيالها
لكن رأيتك ساميَ الاغراض ... كلفاً بصون طهارة الاعراض

---

(١) الظلام (٢) العقل (٣) ظهر (٤) نالت مشتهاها من اللقاء

وجزاء هذي الخلّة[1] الاكرامُ فاجلس وحادثني ولا استعظامُ »
أما الفتى فأقامَ غير مبالي ما كان يسمعه من الاقوال
وكأنما هو قطعة من جلمَدِ نحتت مثالاً للذهول المجمدِ

* * *

وأشار ربُّ القصر نحوَ الباب فاذا فتًى آتٍ من الحجاب
وبكفهِ فنجانُ تبرٍ[2] فاخرُ قد فاح منه نَشر بنٍّ عاطرُ
فدنا من الحرسيّ والفنجان ضحك البياض يثور منهُ دخان
فتحرّك الجنديُّ حين تنسما ذاك الشذا[3] ورأى الغلام تقدّما
وتناول الفنجان ثم تفطّنا لمقال سيّده وأدرك ما عنى
فثوى على الكرسيّ جِلسة مالك لا جِلسة العبد المَروع الهالك
مترشّفاً فنجانه متمهّلاً كترشُّف السكّير كأساً من طِلا
حتى اذا اشتدّت بهِ الاسقام وتقسّمت احشاءه الآلام
واكبَّ منطوياً على أمعائهِ متلوّيَ الاعضاء من بُرحائهِ
رمز[4] المليك فرنَّ خلف ستار نغمٌ جرى بيدٍ على اوتار
مزَجٌ من الاحزان والافراح مُردٍ[5] كمزج السمّ في الاقداح

آب (اغسطس) سنة ١٩٠٢



---

(١) الصفة (٢) ذهب (٣) الرائحة (٤) اشار
(٥) قاتل

العالم الصغير

مرآة العالم الكبير

﴿ فنجان قهوة ﴾

أرأيتِ صوغَ الدرّ في المِقيانِ   هذا حَباب البنّ في الفنجانِ
فلَكٌ تمثل شمسُه ونجومه   أفلاكَنا في السير والدورانِ
ليلى أجيلي الطرف فيه تنظري   سرَّ الكيان وآية الازمانِ
تجدي سماواتٍ وَسِمنَ عوالماً   فتانة الإبداع والاتقان
منثورةً افرادُها منظومةً   جمعاً بما لاتدركُ العينان
سيَّارَةً خلَلَ الجهات حوائراً   مرتادةً في البحث كلَّ مكان
كلٌّ يصير الى حبيب مرتجًى   حتى يدانيه فيلتصقان
فيذوب كلٌّ منهما في صِنوه[1]   وكذاك يحيا بالهوى الصنوان
جسمان يغتديان جسماً واحداً   كتوحُّد الحبَين يقترنان
روحان تمتزجان حتى تصبحا   شبهَ الصبا والطيبِ يمتزجان

*
* *

تلك الحياة عتيدها[2] ومصيرُها   حتى يكونَ الحبّ آخر فاني
اذ تُنثَر الشهب المنيرة مثلما   تنهلُّ أدمعُ عاشق ولهان

---

(١) مثله   (٢) حاضرها

وتذوب في لهب الشموس هوانئاً[1] وبها الشموس تذوب وهي هواني
ويكون يومئذٍ شفاء غليلها وهناؤها وفناؤها في آن
قالت أذاك مصيرنا فأجبتُها السعد آخر شقوة الانسان
وهو الحياة نعيشها في لحظةٍ مجموعةَ الافراح والاحزان
عودي الى الفنجان أين شموسهُ والطائفاتُ بها من الاكوان
عاشت على شوقٍ فلما أدركت أوطارها من ملتقًى وقران
زالت وما ابقى الهوى منها سوى عطر يضوع هنيهةً ودخان

آب (اغسطس) سنة ١٩٠٢



الزنبقة

طُفتُ والصبحَ طالباً في الجنانِ سلوة من نواصب الاشجان
فنفى حسنها الأسى عن ضميري وجلا ناظري وسرَّ جَناني[2]
زنبق ناصع البياض نقيٌّ ترتوي من بياضه العينانِ
وجفون من نرجس داخلَتها صفرة الداء في محاجر عاني
وورود كأنها ملكات برزت في غلائل الارجوان
وافانينُ من شقيق ومن فلٍّ ومن مضعف ومن ريحانِ
كل ضرب شبيهُ سرب جميعٍ مفردٍ عن لداته[3] في مكانِ
طال فيها تأملي وكأني كنت منها في روضِ عينٍ حسان

---

(١) مهنّأة (٢) قلبي (٣) اشباهه

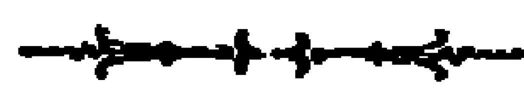
*
* *

فتوخيتُ مشبهاً لا ليسٍ (١) بينها في صفاتها والمعاني
فاذا الباهر النقيّ من الزنـ ـبق مرآة حسنها الفتان
رسمُها في سنائها وسناها وصدى لاسمها او اسم ثاني (٢)
فيه منها البهاء والقامة الهيـ ـفاء واللّون صورةُ الوجدان
والعبير الذي يحدّث عمّا في الضمير الأخفى باذكى بيان
والشعاع الذي يري العينَ زُهراً ويريها أزاهراً في آن
فهي في الروض والنجومُ قواص وهي في الاوج والنجوم دواني
تتراءى السماء والارض كلٌّ في سواها وتلتقي الجنّتان

*
* *

إنما النرجس ابتسامة فجر ألطفت نسجها يدا نيسان
قام في حلّة البياض فكانت ثوب روح لا ثوب جسم فاني
واستزاد الحِلى سواها فجاءت حيث زادت علائمَ النقصان
هكذا سرُّ كل حيّ نراهُ خلل الشكل بادياً للعيان
فترى انفُس الحسان حساناً حيثما هنّ عن حليّ غواني
وترى انفُس الازاهر غُرّاً اذ نراها عفيفة الالوان

ايلول (سبتمبر) سنة ١٠٩٢



---

(١) اسم آنسة فرنسوية (٢) ذلك ان اسم الزنبقة في الفرنسوية «ليس» والصدى يضيع الحرف الاول من اسم أليس فما يبقى يكون اسم الزنبقة ولو بقي الاسم على اصله لصحّ ان يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن

وسام الشفقة

الى البرنسيس الكسندره دي افيرينوه ويزنيوسكا وقد منحت ذاك الوسام مرصعاً من الدرجة الاولى

أتلكَ منكِ الخلال ظاهرةً أم تلك زُهر النجوم مسترَقه
ما عُدتِ من مرتقى سماء علىً الاّ وبعض النجوم معتلقه
في كل حال نراكِ حاليةً منها بمجموعةٍ ومفترقه
فقد نرى في الجبين طالعةً كنجمة في الصباح مؤتلقه
وقد نرى فوق الصدر ثابتةً تُخال[1] من خفق نورها قلقه
فيا ابنة الشرق تلك انجمةُ أعطيتِها عن كرامة ومِقه[2]
ان كان حسن تنافسين بهِ دعي الحِلى او جودي بها صدقه
او كان علمٌ فلا وسامَ حكى صحيفةً عن نُهاك منبثقه
او كان مجد فاطلبي « شرفا » او كان بِرّ فاطلبي « الشفقه »

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٢



وقال في الشادية الشهيرة ليلى

أسمعتِنا ما شاقَ ألبابَنا وعلّم الأَحياء معنى الوجودْ
يا طائراً أفلتَ من جنّةٍ فأسمعَ الفانينَ شدو الخلودْ

---

(١) تحسب (٢) محبة

الى اب ثاكل

فجع الجواد الوجيه الخواجا جرجس براهمشا في بِكر اولاده فجيعة كبرت عليه فعزّاه الناظم على الضريح بقوله

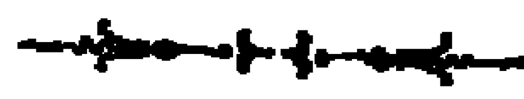
إن تستطعْ أنقذْ فتاكْ بجميع ما ملكت يداكْ
أنشقهُ روحك واسقهِ ما قطّرته مقلتاك
واجعلْ ضلوعك دِفئه وغذاءه باقي قواك
واخبؤه خَبء العين في الجفنين ما شاءت مناك
واسهر عليه ولا تحا ذر في أذاه من اذاك
وأقم له صرحاً يقيه مشيَّداً حتى السماك
وادعُ الأُساة[1] ونُطْ بما يصفون من حيَل رجاك
وابذل حياتك في فدا هُ ولا تضنّ بمقتناك
فاذا وجدتَ الأمر مق ضياً اسرّك أَم شجاك
وعلمت ان الله يبـلو خائفيه كما بلاك
ووثقت ان عظيم حز نك انما يدمي حشاك
سلِّم الى تلك الجلا لة فهي من عالٍ تراك
واسجد وقل يارب انّ رضاي ما فيهِ رضاك
ما الارض دارٌ للملاك فلا يقيم بها الملاك
فاجعل شقائيَ نعمة لابني وسعداً في حماك
هذا هو السَنَن القويم فكِنْ اساك الى تقاك

(١) الاطباء

***

واليكَ يا من صار من   اسر الحياة الى الفكاك
كلمات باكٍ ان تبينَ ولم   يزل غضاً صباك
ما امهلتك يدُ المنية ريثما   يُجنى جناك
ما أمهلت حتى نراك كما   وددنا ان نراك
متقدماً بين الرجال كما   نرى فيهم اباك
غُراً فعالك عالياً   مسماك مرجواً نداك
لكن رآك الله أجدر بالسعادة   فاصطفاك
فادخلْ الى جناته   واهنأ ويُرحَمُ والداك

تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٢



رثاء لخادم الله

المتجرّد عن ثروته وسرور شبابه المنقطع للارشاد والخير المرحوم المبرور الراهب فلابيانوس مطران

فهمتَ معنى العمر فهمَ الاريبْ   وعشتَ في دنياك عيش اللبيبْ
جُبلتَ منها ثم انكرتَها   وكنت فيها آهلاً كالغريب
وكنتَ فيها ساعياً كالذي   يجوز وَعراً للقاء الحبيب
فاعتضتَ من وَفرٍ بفقرٍ ومن   وادٍ خصيب بعَراء جديب
واعتضتَ بالمسح واطمارهِ   من كل ثوب ذي بهاء قشيب
واعتضتَ من ملهىً ومن لذّة   بمعبد الله ومنفى القلوب

***

في الدير تلفى عاكفاً ضارعاً | مهجَّداً إلف الضنى والشحوب
وقد تُرى بين الورى مثلما | يسعف غرقى البحر حرٌّ مجيب
تمـدّ أسبابَ الهدى نحوهم | مَدّ منارٍ نورَه للرقيب
لو رابَهم زُهر الدياجي فما | في نورذاك الغوثمن مستريب

***

فيا صفيّ الله يهنيك ان | قد فزتَ منه باللقاء القريب
وسرتَ لم تُخلف اسىً مظلماً | كما يُرى ليل القنوط العصيب
بل شفقاً لألاؤه ناصعٌ | يُرى خلال الدمع شبهَ المَشوب[1]
ابيتَ نوح اليأس يا شادياً | علّم شدو الامل العندليب[2]
وانتَ ياحاديَ رَكب[3] الردى | بنغم البِشر ابيتَ النحيب
فلا مناداةٌ ولا صيحةٌ | ولا حنينٌ ههنا او وجيب
هذا قرارٌ للبِلى صامتٌ | صُمٌّ بهِ السمع وعيٌّ الخطيب
حفيرةٌ في الارض لكنها | باب الى الجنّة عالٍ رحيب
مبيتُ خُلد لفتًى صالحٍ | سمحٍ نقيّ النفس حرٍّ أديب
عاجلَه البينُ فولّى ولم | يَرزنه من بعد الشباب المشيب
عاش نهاراً لم يكدْ ينقضي | صباحُه حتى تلاه المغيب
صلّى صلاة الصبح من عمرهِ | ثمّ على الإثر صلاةَ الغروب

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٣



(١) الممتزج (٢) طائر غرِد يدعى الهَزار (٣) الجنازات.كان رحمهُ الله يتقدّمها منشداً فلما توفّي في غربتهِ لم يصحبه أحد يعول عليه و ينتحب

نصيحة

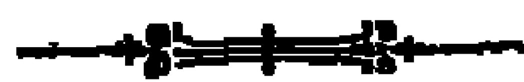
« لحسناء أهملت زينتها بدعوى مرَض وهمي »

لِيَبْسِمْ في محيَّاكِ الرجاءُ ... ويبرقْ في أسرَّتكِ الهناءُ
وطيبي بالشباب كما يُرجَّي ... عفافُكِ والطهارة والإباء
وقرِّي اعيناً ببنينَ غرٍّ ... وبعلٍ من محامدهِ الوفاء
وحلِّي الرأس مفخرةً بتاجٍ ... يضيءُ بهِ جلالكِ والبهاء
ولا تنسيْ نظام الشَعر فيهِ ... كأحسن ما تنظِّمهُ النساء
فما الإكليل للحسناء وَقْرٌ (١) ... ولا تصفيف وفرتها (٢) عناء
ولكن يصدع الرأسَ اشتغالٌ ... بما تأبى الملاحة والفتاء (٣)
ويُثقلهُ اهتمامٌ غيرُ مُجدٍ ... بما في حكمهِ الدنيا سواء

* * *

علَتْ شمس الضحى والروض زاهٍ ... وفيه نضارةٌ وسنًى وماء
فهبِّي للصَبوح (٤) وباذريهِ ... سلافتهُ النزاهة والضياء
وشادي الصادحاتِ فإنَّ أسمى ... بيانٍ للنفوس هو الغناء
وحاكي الزهر تسليماً ولهواً ... فما للهمّ في حُسنٍ ثَواء (٥)

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٣



(١) ثقل (٢) شعرها (٣) الشباب (٤) شرب الصباح
(٥) مكان للإقامة

الطفلة البويرية

« نظمت في أول الحرب »

أدماءُ فتانة لعوبٌ خفيفة ما لها قرارُ
كلُّ مكان تكون فيهِ يقلقه وثبها مِرار
كأنها طائر حبيسٌ في قفص يبتغي الفرار
لطافةٌ في بديع حسن ورقّة في مزاج نار
صغيرة أمرُها كبير وهكذا الشأن في الصغار
حار بها فكر والديها والفكر في مثلها يحار

***

وليلةٍ باتَها أبوها مسهّداً فاقد اصطبار
رأتهُ فيها كثيرَ غمٍّ يبدو على وجهه اصفرار
يجثو على مهدها ويبكي بادمعٍ ذُرّف حِرار
وينثني حائراً جزوعا يمضي ويأتي بلا اختيار
وابصرت امّها عبوساً وفي المآقي منها احمرار
تجلو سلاحاً يثور منه آناً ومن لحظها شرار
ماذاك شأن الحسان لكن في الشرّ ما يدفع الخيار
ما أثمت بالذي أعدّت من عُدد القتل والدمار
بل الاثيم الذي دعاها قسراً فلبّت على اضطرار

*
* *

لم يشغل الخطب فكرادما   وسنى[١] ولم يعرُها الحِذار
فهوَّمت[٢] قلبُها خليٌّ   وفي المحيا منها افترار
كأنَّ انفاسها صلاة   تقولها الروح في سِرار
ماذنب هذي الفتاة تغدو   سبيَّة الظُّلم الشِرار
أمِنْ سرير الصغار تُلقى   الى سرير من الصَغار[٣]

*
* *

تنبَّهت باكراً وكانت   من قبل لم تألف ابتكار
مرَّ بها الهمّ وهو عادٍ   ينتهب البرّ والبحار
كطائرٍ راقه غديرٌ   فرفَّه جانحاً[٤] وطار
واستمعت في الغداة قيلاً   ان أباها للحرب سار
وان قوماً جاؤا ليُفنوا   امتَّها بغية النضار
لا يرحمون الصغار منهم   ولا يرقّون للكبار
ولا يراعون حق حرّ   ولا يصونون عهد جار
وان كلّ البوير خفّوا   ليدفعوهم عن الذِمار
وان انصارهم قليل   وان أعداءهم كثار
مضوا ولا راحل يرجّي   عوداً لاهل له ودار
فراعها الامر واستقرّت   حزينة ذلك النهار
حتى اذا ما المساء أمسى   وانسدل الليل كالستار

(١) نائمة (٢) غفلت (٣) الذل (٤) لمسهُ بوقوعه عليه

جئت على مهدها بما لم | تعهد عليهِ من الوقار
شبهَ ملاكٍ أغرَّ باكٍ | عليه سيماء الانكسار
تدعو وما لقّنت ولكن | علّمها الحزن الابتكار
«يا ارحمَ الراحمين يا من | يحمي ضعيفاً به استجار
انصر ابي وانتقم لقومي | ولا تُبح هذه الديار»

***

كذاك هم كلهم جنودٌ | لصدّ عادٍ او اخذ ثار
لا يفرق المقتني حساماً | عن التي تقتني السوار
كبيرهم قائدٌ بنيهِ | الى ردًى او الى انتصار
وطفلهم ضارع الى من | اذا بريءٌ دعا أجار

آذار (مارس) سنة ١٩٠٣



نصيحة

«للصديق الفاضل يوسف افندي افتيموس المهندس الشهير»

هبْ انّ قلبك عبدُ جودته | فارحمْ وأعتِقهُ من الرِقّ
ولكل شيءٍ بادىءٍ أجَلٌ | حتى الندى واللطف والرفق
واعلمْ حماكَ الله أنك لم | تُرسَلْ كفيلَ مصالح الخَلْق
تُغني ويُفقرك الجميل فكم | تجني عليك مكارمُ الخلق

اشتباه الضياء

قيلت في فتاة حسن وأدب بعد ترويحة نفس على شاطىء النيل في ضوء القمر وكانت الفتاة قد تباعدت عن رفاقها دقيقة وهي لابسة ملبساً أبيض فلما نظر الرفاق اليها من بعد كانت تلوح وتخفى كالطيف لتلاعب النور في موقفها بين مصبّ النور ومنعكسه من النيل

مزاجٌ رقيقٌ وجسمٌ نحيفْ ... وقلبٌ رفيقٌ وظلّ خفيفْ
ولفظ لَعوب ولَحظ وثوبٌ ... وعقل رصين ورأي حصيفْ
كذاك خُلقتِ فكنتِ كما ... يشاء الصبى والضميرُ العفيف
ولم ترتضي الحسنَ الاّ الصحيحَ ... ولا الطبعَ الاّ الانيسَ الانيف
وليلةِ بدر صفا جوُّها ... وباحَ بسرّ السكون الحفيف[1]
والقتْ بسمعٍ ظلالُ الرياضِ ... لنجوى قلوبٍ بهن تُطيف
وصبّ على النيل شِبهَ السيول ... مُنيرُ الدُّجى من سناهُ الضعيف
فموّجنَهُ ثم ضاحكنهُ ... وجارَينهُ في دِعابٍ لطيف
رأيتُكِ خلاّبة للعقول ... في متُجلّى سنيٍّ منُيف
مُنىً ومعانٍ ابى الحسنُ أن ... تُرى في مِثال التراب الكثيف
تخيّلها البدرُ روحاً بدَت ... على البعد في حُلّةٍ من شفوف[2]
تلوح وتخفى كأنّ الأشعّةَ ... آناً مَراءٍ[3] وآناً سجوف[4]
فيلقي شُعاعٌ عليها نَصيفاً[5] ... وينزع آخرُ عنها النصيف

نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٣

---

(١) صوت الشجر (٢) جمع مرآة (٣) استار (٤) حرير
(٥) برقعاً

اهداء ديوان

اهدى الناظم الى فتاة عقل وحسن وادب نسخة من ديوان الشاعر الفرنسوي العظيم ألفريد دي موسيه وكتب على الصحيفة الاولى موجز ترجمة الرجل بهذه الابيات

عاش هذا الفتى محبًّا شقيًّا ... وقضى نحبه محباً شقيا
وبكى دمع عينيه في سطور ... جملته على المدى مبكيا
منشدٌ للغرام لم يشدُ الاَّ ... كان انشاده نواحاً شجيا
شاعر كان عمره بيت تشبيب[١] ... وكان الأَنين فيه الرويّا
فاقرإي شرح حاله واعجبي من ... ذلك القلب كيف بات خليّاً[٢]
ان في نظمه لحسّاً لطيفاً ... باقياً منه في السطور خفيا
فاذرفي دمعة عليه تعيدي ... ورق الطرس بالحياةِ نديا
وتثيري من روحه نسماتٍ ... وتفيحي منها عبيراً ذكيا

حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٣



غريم وغارم

أصيبت حسناء بورم في الجفن تدلَّى منهُ شبيهاً بالقلب فقال الناظم في ذلك

رمتْني فأدمَتْ بألحاظها ... وما كنتُ بالبادىء الآثمِ
وهذا فؤادي على جَفنها ... غريمٌ تعلَّقَ بالغارمِ

(١) غزَل (٢) خالي القلب من العشق

الى سعادة الهمام

عمر بك سلطان

« تهنئة بزفافه على سليلة بيت المجد كريمة المرحوم حسين باشا الدره مللى »
وكانت حفلة هذا الزفاف اعظم ما رأته مصر من عهد اسمعيل

تجري على آمالكَ الاقدارُ فكأنهنَّ مُناكَ والاوطارُ
ومن اصطفته عنايةٌ من ربهِ تأتي الامور له كما يختار
ياابن الأعزّين الاكارم محتداً لكَ من طريفكَ للنِّجار(١) نجار
شيَم مطهرةٌ وعلم راسخٌ ونُهى وجاه واسع وفخار
ومكارم تحيي المكارم في الملا كالبحر منه الصيّب(٢) المدرار
يستنبت البلد الموات فيجتلي حسن يروق وتجتنى اثمار
وبناء مجد مثلّته للورى هذي القباب الشمُّ والاسوار
ومآثر سطعت كبعض شعاعها هذي الشموس وهذهِ الاقمار
وخلائقٌ جملت ولا كجمالها هذي الرياض وهذهِ الازهار
لله يوم زفافك الاسنى فقد حسدت عليه عصركَ الاعصار
أشهدتَ فيهِ مصرَ آية بهجة ابداً يردّد ذكرها السّمار
من عهد اسمعيل لم ترَ مثلَها مصرُ ولم تسمع بها الامصار
جمعت بها التحف الجياد قديمها وحديثها والعهدُ والتذكار
وتنافس الشرفان حيث تجاورت فيها عيون العصر والآثار
واستكملت فيها الطرائف كلُّها فكأنها الدنيا حوتها دار

---

(١) الاصل (٢) السحاب

يهنيك يا عمر ابن سلطان الندى ليلٌ غدا بالصفو وهو نهارُ
زُفَّت بهِ لك من سماء عفافها شمسٌ تنكّس دونها الابصار
من بيت مجد فارقتهُ فضمّها بيتٌ كفيلةٌ مجدهِ الادهار

وقد شفعت هذه القصيدة في الاهداء بتاريخين منقوشين احدهما تذكار لعقد الكتاب وهو

أولاكَ ربُّكَ من عنايتهِ حظاً تقرُّ به وتفتخرُ
في حفلةٍ يدعو مؤرخها بعناية هُنئتَ يا عمرُ

سنة ١٣١٩

والآخر تذكار لحفلة الزفاف الشائقة وهو

زفاف كان للالباب سحراً ورسم كان قرّة كل عينِ
ومجلىً باهرٌ لمؤرّخيه اريتَ به قِران النيّرينِ

سنة ١٣٢٠

ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٣



الى الدكتور نقولا افندي بيطار طبيب الاسنان الشهير

فارقني الضرس ولم يرجعِ فيا رجال الحي نوحوا معي
لولا طبيب ماهر سلّهُ لبتُّ طول الليل لم اهجعِ
انقذني منهُ برفق كأن لم يمسس الضرس ولم يخلعِ
فراح مأسوفاً على عهده عهد شهي الاكل والمشرعِ
لكنني عوّضتُ منهُ بما لا يدخل السوس الى اضلعي
فألف حمد لنقولا الذي انقذني منهُ ولم يوجعِ
وصنعت كفاه صنواً له من خير ما يتقن في مصنعِ

رسالة مفاكهة

أرسلت الى الصديق العزيز اسعد افندي نقولا وكان قد ذهب مع اسرته الكريمة للاصطياف في لبنان

الى صديقيَ العزيز الحاضرِ ... في قلبيَ الغائبِ عن نواظري
القاطع الاخبار عن محبهِ ... رقيق لطفهِ أسير حبهِ
السارح المارح في لبنانِ ... بين رياض الانس والجنان
الشارب الماء القراح الصافي ... الناشق النسائم الشوافي
الآكل الفواكه الاطايبِ ... الحاضر اللذات والملاعبِ
حقك ان تنسى الأولى في مصرِ ... يبتردون بلهيب الحرّ
وينشقون نسم الزكام ... ويشربون مثلج الضرام
ويأكلون من جليب الفاكهة ... كل عجوز مبتلاة تافهة
ويأنسون الليل بالبعوض ... لا عاش من موآنس بغيض
وما لهم سلوى سوى تذكارِ ... منعَّم نسيهم في النار

***

لكننا بما نعاني من نصب ... وما نقاسي من سهادٍ ووصَب
نرجو لك النعيم والصفاء ... وحسبنا من دهرنا هناء
وغاية المأمول والملتمَس ... منك السماح بكتاب كيّس
ينبئنا عنك وعن «موريس»[1] ... ما نشتهي من نبإٍ نفيس
موريس ذلك الحبيب المفتدى ... ذاك الهلال المستتمُّ للندى

---

(١) نجل المكتوب اليه

ذاك الفتى المحضون للسعاده المرتجى للمجد والسياده
الملك المصوَّر الإنسيُّ البشر المكمَّل السويّ
الذهبيّ الشَّعَرِ المعقود كأن لثمه جنى العنقود
المزهر الخدَّين يحسبان من البهاء شطرتي رمَّان
القرمزيّ الثغر في بياض شبه الشليكِ[1] حليةِ الرياض
المشرق الجبين فوق حدَقِ مثل النجوم بالسنى والقلق
الآكل الشارب من غير ملل الضاحك اللاهي ولو دالت دول
المدرِكُ الدنيا كما تكونُ وخيرها اللعب والجنونُ

***

وانتَ ايضاً مُخبري عن شرل[2] غرسِ العلاء ورجاء النُبل
اراهُ ينمو زاكياً مبشّرا بان يكون كأخيه مخبرا
لكنه من دونهِ جمالا كما يريد الفكر ان اخالا
هل بدأ الخطبةَ في دنياهُ يقول يا بابا ويا أمَّاهُ
ام لم يزل في صمتهِ القديم صمت الاريب العاقل الحكيم
وهل تُرى يخرق حرمة الادب رَشًّا على أبيه من غير سبب
وهل يمدّ يده للشارب وينتف الشعر بلا محاسبِ
وهل يغنّي اغَّه فكلما انشد علَّم الطيور النغما
وجمع الاملاكَ حول المهد يسمعها شدو المنى والسعد

***

وقل لنا ما شئتَه وأطلِ عن ربة الخدر المصون املي

(١) اسم ثمر معروف ويسمى ايضاً الفراولا (٢) اسم النجل الثاني

عن اشرف الاوانس العقائل　　واحصف الفواتن الفواضل
عن خير زوجٍ ذات قلب صالح　　وخير أمّ ذات عقل راجح

***

واقرأ سلامي لاخي باسيلي　　واشفعه بعد الاذن بالتقبيلِ
وقل له اوحشنا كثيرا　　واوحش الاربع و «القصورا»
فليشرب الصحة شرب الماء　　ولينشق السرور في الهواء
وليأتِنا بسلّ ماء سلسلِ　　و«طردخيش» من هواء ممتلي

***

وهنا جميعنا داعونا　　بعودكم حالاً لنا آمينا
ومنيَ التسليم والتقبيل　　يامن فداه خله خليل

***

الخاتمه

هذا كتابي ليس نثراً مرسلا　　وليس شعراً فهو شيء لا ولا
سطرتُه كقولهم على عجل　　فلا تؤاخذني على هذا الخلل

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٣



حرب غير عادله

ولا متعادله

بين امّة كبيرة وامّة صغيرة

« ١ »

فيمَ احتباسُك للقلَمْ ... والأرض قد خُضبت بدَمْ
سدّدْ قويم سنانه ... في صدر من لم يستقمْ
نَبّهْ بهِ أمم الزوال ... فعلّهُ يُحيي الرِمَمْ
اليومَ يوم القسط قد ... قامَ الاوْلى ظلموا فقُم
بينَ الذين يقاتلون ... وبيننا قُربى النقم
مَن يستبحهُ عدوُّنا ... فلهُ بنا صِلة الرَحم
لا أمنَ للبلد الامين ... وفي غدٍ قد يُهتضَم

***

قُلْ يا فتى الشعراء قلْ ... لبتك أم عصَتِ الهمم
أُدعُ المخاميرَ الشبا ... عَ الى الحفيظة والذِمم
كلٌّ يقوم بما عليه ... ومن تثاقلَ فلْينم
نِمنا على جهل وقد ... عاش الكرام ونحن لم
فاذا انقضت آجالنا ... فمن الرقاد الى العدم
واذا بُعثنا بعدها ... فكأنها رؤيا حلُم

« ٢ »

لمنِ الخيامُ فما على جبَلٍ لنَسْرٍ مُعْتَصِم
شَرُفت عليها خيمةٌ وتفرَّدت بين الخِيَم
بادٍ بها علم[١] على علَمٍ[٢] اقام به علم[٣]
شيخ من الصوَّان من عَسَنُهُ يقتدح الضرم
متعوّدٌ قهرَ العدى كالنور في كشف الظلم
لانَتْ عريكتهُ لطو ل مِراسهِ وقسا الأُدَم[٤]
تتثلَّمُ الآفات منـ ـهُ بصارم لا ينثلِم
ويرقُّ مشحوذاً بها فاذا اصاب فقد قصَم
بمبارك في فيلق من نسلهِ نسل الكرم
جيش ولكن للمرو ءة والشجاعة والشمَم
مقسومة اخلاقهُ فيهم ونعم المقتَسم

* * *

هذا الرئيسُ ومثلَهُ في الناس يعظُم مَن عظُم
ومن الملوك اكابرٌ لا يصلحون لهُ حشم
ما ميَّزوا بسوى الغِنى والكبرياء عن الخدَم
قد قامَ يرقّب العِدى كالزاد يرقبه النَهِم

(١) راية (٢) جبل (٣) رجل عظيم (٤) تصلب الجسم
(٥) عيلة

وتحفّ أمته به كصغار ليث في الأَجَم[١]
هي أمة مستحدث تاريخها بين الامم
ما شيّدوا من هيكل ضخم ولا رفعوا هرم
قلّوا ولكن ادركوا بالبأس شأواً لم يُرَم
ذادوا عن استقلالهم وديارهم ذودَ البُهَم[٢]
ارزاقهم حِلٌّ لطا لبها وموطنهم حرَم
شمٌّ رواسيهم وأنـ فُسُهم ومعطَسهم أشَم

* * *

يا يومَ غارة ذي الغرور[٣] وقد بغى أمراً أمَم
ذئبٌ توهّمهم نيا ماً في الحظيرة كالنَّعم
واذا بـهِ في اسرهم شاةٌ وشيعتهُ غَنم
لصٌّ توهّم مغنماً واذا المقوبةُ ما غنِم
صادوا المسيء ورهطه فمل البُزاة مع الرَّخم
وجزوهُ بالذلّ العظيم كذاك يجزَى مَن لؤم
ثم ارتأوا ان يقتلو هُ بصفحهم عمّا اجترَم
نِعْمَ المروءة لو جنَت غيرَ الاساءة والندَم

« ٣ »

مَن هذه الزلّاء قد أخنى بها طولُ العقم
في السُحب هامتها ومو طئ رجلها فوق العلم

(١) غابات الاسود (٢) الابطال (٣) كناية عن اسم مرتكب الغارة

بَرَزت لهم من خِدرها مهتوكةً لم تلتثم
عزريل من سُفّاحها والمستبدّون الغُشُم
ترنو لمن غشيَ الوغى(١) ولها بأكلهم وَحم
توري نواظرها اللظى وتسيل من فمها الحُمم
ولها ذوائب مرسلات للكرائهِ والزِيَم(٢)
شبه العثانين(٣) الجوارف في العصيب(٤) المدلهم
انّى تمرّ فنابعٌ يصدى(٥) وراسٍ(٦) ينهدم
بئست رسول الشرّ تلك وبئس والدة الغُمَم(٧)

« ٤ »

ويلَ القويّ اليومَ من ذاك الضعيف وقد هجم
اترى نكوص المعتدي مَلأَ الفلا مما ضَخُم
متقهقراً وهو الذي في بأسه لا يتّهم
ووثوبَ ابناء الديار بهِ الى حيث انهزم
كالطير إسفافاً وكالحيّات زَحفاً في الأكم
كالذئب لحاً في الدُّجى كالحوت خوضاً في العرِم
يمشي الخميس كواحد في السير نحو الملتحَم
بأسٌ بلا يأسٍ وحز م في النزال بلا لَمَم(٨)

---

(١) غبار الحرب (٢) الغارات (٣) جمع عثنون وهو ما يتدلى من السحاب شبه الخرطوم يغيّر كل ما يمرّ به (٤) اليوم الشديد (٥) يعطش اي ينضب (٦) راسخ متين (٧) جمع غمّة وهي الكربة (٨) جنون

لا خوفَ تهلكةٍ ولا عن ضعف نفسٍ أو سأم
لكن لعزّة من يكون بديل ايّهم ارتطم (١)
وليثبتوا ويجدّدوا نجداتهم منهم بهم

***

هذا لقاءٌ بوغتوا فيه بنارٍ تحتدم
انظر الى هطل الجما ر كأنه وكف الديم (٢)
والى القنابل تستقي مهج الجيوش وتلتهم
عمياء تبصر في الوغى سبل العدوّ فتخترم
مضمومة الفكّين حتىّ تلتقي ما تلتقم
تنقضّ وهي عوابسٌ حتىّ تميت فتبتسم
وانظرْ جموع نسائهم ميساً كبانات العَلم
غيدٌ يغازلها الرصا ص وهل لهُ ان يحتشم
وانظرْ الى الاطفال تحذف وهي تلعب بالرُّجم
والى الشيوخ تخضبت بدمائها منها اللمم
وانظرْ الى صرعاهمُ كلٌّ كصرحٍ منهدم
وانظر الى فرسانهم ثاروا كارياح هُجُم
والى المشاة كأنهم سور يسير على قدم
والذاهبين الآيبين بما نُهي وبما رسم
والقائمين الجاثمين ومن يكرّ ومن يهم

(١) هلك (٢) رشّ السُحب

والهـابطين الى الثرى والصاعدين الى القمم

***

واسمع صهيل خيولهم متحفزات للقُحَم(١)
وزماجرَ الخُرس الضوا ري من ممدّات الأُزُم(٢)
والراعدات كأنهـا صعقات موسى في القدم
وزئيرَ آساد الحديد وزجرَ فتيتها الهُضُم
واسمع صدى الاطواد توشك ان تصدّع او تصم
واسمع انين الارض واجفة اسىً مما تجم(٣)

***

غلب القليل على الكثير وعفّ عنـهُ فما انتقم
لكنّه مهمـا يفـز بُداً يسوءُهُ المُختتم
طف في قراهُ فما ترى من يأس كل أبٍ وأم
ومن الجياع الهائمين على الوجوه من الألم
ومن الحبالى المجهضات من التضوُّر والسقم
ومن اليتامى في المهود على المجاعة تنفطم
ومن الكوارث بينهـم تستنّ كالوبل الرِذم(٤)
وطف المناجم كم اسىً منها وكم خطب نجم

(١) المهاجمات (٢) الازمات (٣) تتألم (٤) المطر الغزير

مفغورة الافواه طاوية الحشى بعد البشم[1]
يا ليتها غُفُل فلا نقم هناك ولا نِعم

***

سخطاً على الظلام اقدر ما نكون على الكلم
ولنبكِ من ماتوا وما منهم جبان منهزم
ولنرثِ للضعفآء يفنيهم قويّ مغتشم[2]
خطب رآه المنصفون كأنَّ احيامهم صنم
رأوا الذئاب فحاولوا ان يدرأوها بالحِكَم
اين القضآء اليه ارباب الممالك تحتكم
أين الحقيقة اين انصاف البرىء اذا ظُلم
من للضعيف اذا شكا وعلى القويّ اذا أثم
يا من يداجون ارجعوا قدخاب من بكم اعتصم
لا تشغلوا اذهانكم بحقوق شعب تهتضم
حلفوا اذا لم يظفروا لا عاش منهم من سلم
فدعوهم يحيون او يفنون برًّا بالقسم
وخُذوا الضمير فكفنّوهُ بالكريم من الشيم
واستودعوه ترابهُ ميتاً وقولوا لا رُحِم

اذار (مارس) سنة ١٩٠٣

(١) الشبع الزائد (٢) ظالم

فتاة الجبل الاسود

(في حادثة جرت قبيل استقلال ذلك الجبل)

طغت أمّةُ الجبل الاسودِ على حكم فاتحها الايّدِ (١)
وهبّتْ منيخاتُ أطوادها (٢) نواشز (٣) كالإِبل الشرّد
وأبلى النساء بلاء الرجالِ لدى كل معترك أربد (٤)
نساء لدانُ القدودِ لهـا خدود كزهر الرياض الندي
تنظّم من حسنها جنةٌ على ذلك الجبلِ الاجردِ

* * *

ويوم كأنّ شعاعَ الصباحِ كستهُ مطارفَ من عسجد (٥)
تفرقتِ التُركُ فيه عصائبَ كلٌّ فريقٍ على مرصد
يسدّون كل شعاب الجبالِ على نازليهنّ والصعدِ
أسودٌ تراقبُ أمثالهـا ولا يلتقون على موعد
وكان عداهم وهم دونهم بعدّ الجنود وذات اليد
يوافونهم بغَتاتِ اللصوص ويرمون بالنار والجلمد (٦)
ويفترقون تجاهَ الصفوف ويجتمعون على المفرد
وينتمونَ بكل خفيٍّ عصيّ على أمهر الروّد

---

(١) القدير (٢) جبالها (٣) ذاهبة كل مذهب (٤) أغبر
(٥) ذهبة (٦) الصخر

وأيٌّ رأى شارداً يختلسهُ . وأيّ رأى وارداً يصطدِ
ويلتقمون جناح الخميس (١) اذا الموتُ أعيي على المنجد
منامهم جاثمين وقوفاً ولا يهجعون على مرقد
وما منهم للعدى مرشد سوى غادر ساء من مرشد
اذا لم يقدهم الى مهلكٍ أضلّ بحيلتهِ المهتدي
ويعتسف الترك في كل صوبٍ فهذا يروحُ وذا يغتدي

***

وما الترك الا فحولُ الحروبِ رضيعو لظاها من المولد
اذا ألقحوها الدماء فلا نتاجَ سوى الفخر والسؤدَد
سواء على المجد ايّاً تكن عواقبُ مسعاهم تُحمد
فان هم فازوا وان لم يفوزوا تمادَوا الى شأوهِ الابعد
ولكنّ قوماً يذودونَ عن حقيقتهم (٢) من يد المعتدي
وتعصمهم شامخاتُ الجبال وكلٌ مضيقٍ بها موصد (٣)
ويدفعهم حب أوطانهم ويجمعهم شرف المقصد
اذا غالبتهم جيوشُ المنايا تُغالَبْ وان جاهدت تُجهَد

***

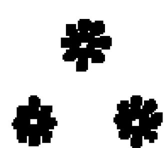
وكان من الترك جيعٌ قليل على رأس منحدرٍ أصلد
كثير الثلوم كأنّ الفتى اذا زلّ يهوي على مبرَد

(١) الجيش (٢) وطنهم (٣) مغلق

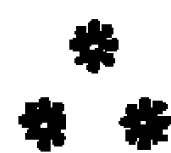
وقد نصبوا فوقه مدفعاً … يهزُّ الرواسخَ إن يرعدِ
وحفّوا كاشبال ليثٍ به … يداعبهُ بعضهم باليد
ففاجأهم هابطٌ كالقضاء … في شكل غضّ الصبي أمرد
فتىً كالصباح باشراقهِ … له لفتة الرشإِ الاغيد
يدلُّ سناه وسيماؤه … على شرف الجاه والمحتد
تردُّ سواطعُ أنواره … سليم النواظر كالارمد
أقبُّ الترائب[1] غضّ الروادف … يختال عن غُصُن أميد
لهيبُ الحروب على وجنتيهِ … والنقع[2] في شعره الاسود
وفي عينهِ مثل برق السيوفِ … وظلُّ المنية في الاثمد
فأكبرَ كلهمُ أنهُ … رآه تجلّى ولم يسجد
وظنوه مستنفراً هارباً … اتاهمُ اتيانَ مستنجد
ولم يحسبوا أن ذا جرأة … يهاجم جمعاً بلا مُسعد
ولكن كثرتهم لم تزعهُ … فأقدم اقدام مستأسد
وأفرغَ نارَ سداسيّهِ … على القوم أيّاً تُصب تُقصد[3]
وأقبل بالسيف ماضي الفرندِ … فأيانَ يضربْ به يغمد
فأودى بأربعةٍ منهمُ … ولم يشف منه الفؤاد الصدي[4]
وكم جالدوا بطلاً قبله … فلم يُبتَلوا بفتىً أجلد
على أنهم أثخنوهُ جراحاً … ولم يستقرّ ولم يُخلد
وما لبثوا ان أحاطوا به … فدانَ لهم صاغراً عن يد
ولولا اتقاء الخيانةِ فيهِ … لكان الالدُّ له يفتدي

---

(١) متقدم الصدر (٢) دخان الحرب (٣) تقتل (٤) العطشان



فسيق الى حيث كان الامير في نفر منهم مُوفَدِ
فأوقـع أمراً بأن يقتلوه برأى الجنود غداةَ (١) الغد
فاقصى الفتى عنه حرّاسه وشقّ عن الصدر ما يرتدي
وابرز نهدَي فتاةٍ كَعابٍ بطرف حييٍّ ووجه ندي
كحُقّي لجين بقفلي عقيقٍ وكنزين في رصد مرصد
فكبّر مما رآه الامير وهلّل كلٌّ من الشهّد
وراعهم ذانك التوأمان وطوقاهما من دم الأكبد
وَوَثبهما عند ما أُطلقا الى ظاهر الدرع والجسد (٢)
كوثب صغار المها الظامئات نفرنَ خفافاً الى مورد



وأرخت ذوائبَ من شعرها كليلةِ ذي كلف مُسهَدِ
ظلامٌ أحاطَ بشمس عراها سقام فحالت الى فرقد
وقالت خذوا مهجتي في دماء ثلاثين منكم أو ازيد
صرعتُهمُ كلهم باسلٌ من النِكس (٣) فيهم الى السيد
وكلهمُ طامعٌ في العلى والاّ ففي موت مستشهد
ومن خلق الترك أن يوردوا نصالهم مهجَ الخرّد (٤)
فدونكمُ قتلةً حلّلت تدي (٥) من دمائكمُ ما تدي

---

(١) صباح (٢) سترة الصدر (٣) الحقير (٤) النساء
(٥) تكون ديةً اى عوضاً

فأصغى الاميرُ الى قولها ولم يستفزّ ولم يحقد
وأعظمَ نفسَ الفتاة وبأساً بها في الصناديد لم يعهد
وحسناً بعشركةٍ داعياً الى الشِرك مَنْ يرَهُ يعبُد
وقال انقلوها الى مضرب يعدها به امهر العود
لتعلمَ أنّا الى مجدنا بريئونَ من تُهَم الحسّد
وقال لمن حوله معجباً لها الله من اسد اصيد
ومن حرّة لن تكونَ ولن يكونَ بنوها من الأعبُد(١)
فما بلد تفتديهِ النساء كهذا الفداء بمستعبَدِ



رسالة

الى صديق متّهَم

معرّة الظلم على من ظلمْ وحكم من جار على من حكمْ
وان ما اوخذت زوراً به براءة الصدق وغرّ الشيم
وما على النور اذا سطروا عليه عيباً بمداد الظلم
وفتيةٍ ان تنوّرْ تجدْ زيّ قضاة لبسته خدم
همّوا بان ينتقصوا في الورى خلقاً عظيماً فسما واستتم
وحاولوا ان يصِموا فاضلاً بما ابى الله له والكرم
فسوّدوا اوجه احكامهم وابيضّ وجه الفاضل المتهم



(١) الارقاء

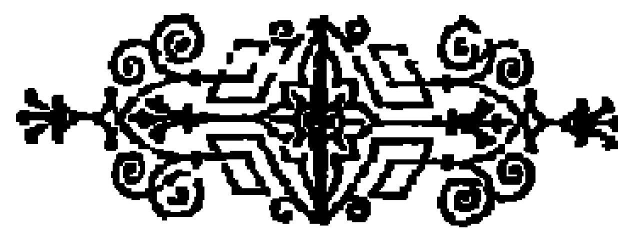
حكاية عاشقين

« من سنة ١٨٩٧ الى غاية سنة ١٩٠٣ »

تتبع الناظم وقائعها وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده



تنبيه — قد أُفرد لهذه الحكاية مكان خاصّ بها من هذا الديوان ليمكن تفهُّم حوادثها من الاشارات الشعرية واستقراء وقائعها غير مبعثرة بين متفرقات كثيرة لا صلة لها بها . ولهذا اُجتزئ بتاريخ عامّ لها كما هو وارد تحت العنوان عن اثبات كل منظومة بتاريخها . وقد ابدل الناظم اسم العاشق بضمير المتكلم وسمّى المعشوقة اسماء متعدّدة لتخفى حقيقتها وتنصرف عنها الظنون



حكاية عاشقين

الفصل الاول

سعادة الحُب

اول المعرفة

اجتماع في حديقة . لَسْعَة نحلة

أفتدي مَنْ لَسعتْها نحلة تطلب وِرْدا
ظنّتِ الوجنةَ وَرْداً فأَتت ترشف شَهدا

شكوى الحسناء

من ألم اللسعة

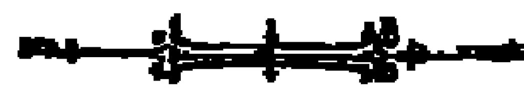
مرٌّ[1] لها الحُسنُ على كونِهِ حلواً وقد أغرى بها النَحلا
لعلّها كفّارةٌ قُدّمَتْ عمّن سيقضون بها قتلى

(١) ضدّ حلا

الاجتماع الثاني

جرَت فيه مقامَرةٌ هزلية وكثر الدَين على العاشق فطولب به فعصى وابى الا ان يرسله في صكّ وهذه صورة ذلك الصكّ

إقرارَ غير جاحدِ والله خيرُ شاهدِ
عليّ من مال اللَّعِبْ دينٌ على الحُرّ يجبْ
أربعةٌ غرآءُ رنّانة صمّآء
منقوشة الوجهينِ جميلة الرسمينِ
من القروش النيكلِ ملءُ عيون المجتلي
أدفعها في الموعدِ مع الرُّبى المحدّدِ
لـ . . . . الحسنآءِ فريدة النساءِ
بحسنها الفتّانِ والعقل والبيانِ
وذا اعترافي ولها صكٌّ عليّ ولها
اكتبه وأمَلي قبل حلول الاجلِ
ان يعلنوا افلاسي بين جميع الناس
لكن اذا الجيبُ خلا يوماً فانّ القلب .. لا



صعدة منطاد

حضرها العاشقان

وَدَدتُ لو أنَّ منطاداً خفيفاً تحمّلنا الى اوج العلاء
واطلقَنا فرُحنا في عناقٍ طِوالَ الدهرِ في عرض الفضاء
كدفع الأمّ فرخيها فطارا لاوّل مرّةٍ خلَل الهواء
بأجنحةٍ ضعافٍ شدَّدَتها ممالأة(١) الصبابة والرجاء
فهاما في العميقِ من المهاوي وعاما في السحيقِ من الخلاء
وذاقا للهوى سُكراً عجيباً طِلاهُ(٢) من الطلاقةِ والضياء
لَدُنْ شمسُ النهارِ تسيل حبّاً وتسقي الطيرَ في كأس السماء



جواب سؤال

في ايّ الملبسين افضل للنساء أهو الابيض أم الاسود

إذا ما تردَّيتِ البياضَ لتنجلي فكالشمس يجلوها الصباحُ مُشعشَعا
وان تؤثري(٣) سودَ المطارف ملبساً فكالبدر يختار اللياليَ مطلعا



---

(١) مساعدة (٢) خمره (٣) تفضّلي

شغف وظمأ

ضجيعُ مهدٍ لظى الحمّى يساورني — صريعُ وجدٍ كوَقد النار مشتعلِ
رأيتُ حُلماً كأني قد ثويتُ على — قرب من النيل في يومٍ اغرَّ جلي
وقد صفا صِفوة المرآةِ منبسطاً — سويٌّ وجهٍ كأنَّ الماء لم يَسل
وشفَّ حتى بدا لي رسمُ فاتنتي — كما يمثّلهُ فكري تخيَّل لي
فثُرتُ للماء من شوقي ومن ظمإٍ — ارجو شفاءهما منهُ بمُنتَهَل
فلم اقدّمْ الى بلّورهِ شفتي — حتى تكسَّر منحلاً الى ... قُبَل



شكوى

الى كم جوبيَ العُمرا — كنِضوٍ(١) جائبٍ قفرا
يرى آلاً(٢) على ظماٍ — فيظمأ مرَّةً اخرى
ويخبط في الدجى ولهُ — ضمير يجتلي بدرا
ولي حِبٌّ(٣) هو الدنيا — لروحي والمُنى طُرّا
قريبُ الدار مبتعدٌ — وكم قربٍ حكى هجرا
كذاك الآلِ ملتمعاً — وذاك البدرِ مفترّا
فيا آمالُ ما بكِ أن — تنالي الانجمَ الزُهرا

(١) الذي بلغ منهُ عناء السَفَر (٢) سراباً (٣) حبيب

ويا قلبي كفاك صدًى[1] ورودُ الآل مغترًا
بلغنا اليأس مرحلةً ونبلغ بعدها القبرا



اعتاب[2]

قيلَ غضبي فهل أجازى وغيري مثلما تعلمين صدٌ وأذنبْ
هكذا الطفل ان اثار بذنب أمّه راح قبلها وهو مُغضَب
فليكن ما اقترفتهِ انتِ ذنبي فاغفري ما جرى ولا متعتّب
إنني كاتبٌ اليكِ ودي ان شوقي بالشوق لا الحبر يكتب
قلمي بالرجاء ينـدى ودمعي راسمٌ بين كل سطرين كوكب



ليلة سعد

قوامك لا يعادلهُ قوامُ ومن اوصافك الحسن التمامُ
وفي عينيك سحر بابليٌّ فلا يُدرى أماءٌ ام ضرام
وفي الاهداب ضعفٌ وانكسار فكيف تميتنا منها السهام
وفيكِ عبوسةٌ تحلو لدينا فكيف اذا جلاكِ لنا ابتسام
وفيك لكلّ عينٍ كلُّ معنًى تباح لهُ النفوس ولا يرام

---

(١) عطشا (٢) استرضاء

محاسن دونها ثارات قوم   فما لفتى سوى النظر اغتنامُ
كتمتُ هواكِ دهراً لا لخوفٍ   وما انا مَنْ يروّعه الحمام
ولكني حرصت عليكِ منهم   ولو اودى بمهجتيَ الغرام
وكم عاتبتُ فيهِ النفس لوماً   فانْ عوتبتُ راعَنيَ الملام
كجرحٍ قد الطفهُ بلمسي   وان هو مسّهُ غيري أضام
ظللت عليهِ اخفيهِ واشقى   الى ان بات وهو بنا سقام
فما أنسى تلاقينا هجيماً   بلا وعد كما شاء الهيام
كأنّا شعلتان اذ اعتنقنا   على ظمإٍ فلم يروَ الأوام[1]
وما إنْ تنطفي نارٌ بنار   فيشفينَا التعانق واللزام[2]
رعاهُ اللهُ ليلاً فيهِ ذقنا   نعيم السهد والرقباء ناموا
فكان من الظلام لنا ضياء   وكان من الضياء لنا ظلام

آدم وحوآء

حملتْ مظلاّت لنا الشجرُ   وأعدّ مختبأً لنا الخَمَرُ[3]
ودعا النسيمُ العاشقِينَ الى   روضٍ يقرُّ بحسنهِ النظر
كالبيتِ قائمةً بهِ عمدٌ   خضراء فهي زمرُّد نَضر
بازائها عمد مذهبّة   من حيث نورُ الشمسِ ينحدر
متناسقٌ ما بينها حِجراً[4]   نِعمَ العماد ونِعمَت الحِجَر

---

(١) الظمأ (٢) الملازمة (٣) ما يظلّل من الشجر
(٤) شبه غُرَف

تجري سواقيهِ فمابسةٌ فيها الظلال ويضحك الحجرُ
وكأنما نسماتهُ كلمٌ وكأنما نفحاتهُ فِكَرُ
وكأنَّ هنداً في تخطُّرها سلطانةٌ رُفِعت لها سُرُر

* * *

حوّاءُ هذي جنَّة أُنُفٌ(١) انا آدمٌ فيها وذا الثمر
فرنت الى غصن به علقت تفاحةٌ يشتاقها البصر
قالت الا أرقى فأقطفها فاجبتُ إن العبد يأتمر
وأنلتها كتفي لأرفعها فسمت لتجنيها ولا حذر
ثم اقتسمناها كما اقتُسِمت قدماً على ما قدَّر القدر
فتحوّلَ الجهلُ العهيدُ(٢) بنا علماً وبانَ النفع والضرر
واذا بنا متداريان وما غيرَ الهوى سترٌ فنستتر

* * *

ذنبٌ اتيناه مشاطرةً والذنب شفعٌ وهو منشطر
لا بأسَ من فقد النعيم به وقداستعاضت بالهوى البَشَر
حوّاءُ فتنتُك النعيم لنا لا الماء والاطيارُ والزهر
حوّاءُ ما أغويتِ آدمَ بل أحييتهِ والصبوةُ العُمُر
من لم يحبّ فما الصفاء له صفوٌ وما اكدارهُ كدر
ويرى الحياةَ ولا يعيشُ كما مرّت على مرآتها الصور

---

(١) بِكْرٌ (٢) القديم

اعتذار

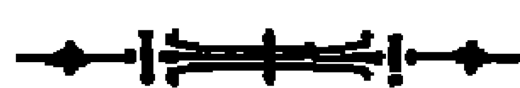
لكِ الامر ان انصفتِني فكفى غنما ... وان تظلمي فالحبُّ شاء ولا إثما
ولكنني اخشى ارتيابك في الهوى ... فاني اذن من دونه اوثر الظلما
ابيتُ طوالَ الليل والداء مُسهدي ... اعنّف نفسي وهي لم تقترفْ جرما
على ذكر عهد كان لي منكِ موعد ... بتجديده لولم تحل دونه الحمّى
عدَتْ فعدت دونَ المزار ولم اكن ... بمستأخر لو أنــّ لي مَعها عزما
ففي الجسم نار يلذع القلبَ وقدها ... وفي القلب نار مثلها تلذع الجسما
وينهض بي حــبّي اذا الشوق هاجه ... ويقعد بالجسم الكلالُ اذا همّا

*
* *

وليلٍ به طفنا الجزيرة كلما ... تذكرتُه لا تدمع العين بل تدمى
كأنّ غباراً احدثته جيادنا ... كساالكوكبالدرّي من كدر سقما
كأن الدجى سوّرننا بسرادق ... وسمّرنه بالشهب حبساً لمن ضما
نسيرمع النيل المبارَك ضاحكاً ... لنا عن شبيه النصل في كبد الظلما
ويرنو الينا من بعيدٍ بعينهِ ... سراجٌ رقيبٌ ثمّ يغمضها لؤما
وتبدي لنا الاغصان شبه تحيّة ... وتستقبل الارواح اوجهَنا لثما
ويطربنا نشر النسيم ولحنهُ ... وأن يك بالانشاد والطيب قد نمّا
كأنّ لنا الدنيا وما في سمائها ... ومادونها مُلكا وانّ لنا الحكما

*
* *

ولكنهُ عهد مضى استعيدهُ | لدى يقظتي ذكراً وفي رقدتي حلما
واسأل في البحران طيفك زورةً | تخفف عني ذلك الالم الجمّا
فلا حسنَ الا حسنه اذ ضممتهُ | ولا صحةٌ الاَّ سقامي وقد ضما
اذن رمتُ ان لا افتأ الدهرَ ذاهلاً | لأشفيَ منه وجد قلبي ولو وهما
احبك حتى لا سرورَ ولا منى | ولا شمسَ الاّ انا راك ولا نجما
احبك حتى ينكرَ الحبُّ رُسلَه | جميلاً وقيساً والاؤلى استشهدوا قدما
ولو لم تكن في الموت سلوى اخافها | لاحببتُ حتى الموتَ فيك ولو ذُمّا



اشعة رنجتن

جلستُ الى هندذات مساء | وآنسنا القمرُ الساهرُ
فحدثتُها عن ضياء عجيب | يسرّ برؤيتهِ الزائر
له زُرقةُ الماء[١] لكنّهُ | شرارٌ من النار مطاير
كمنتشرٍ من غبار الزمردِ | يحمله لهبٌ ثائر
كأنَّ به للعيون عيوناً | فكلُّ خفيٍّ به ظاهر
يرينا الجسومَ اضالعَ جفّت | وزايلها حسنها الناضر
هيا كلُ محكمةٌ شادها | لطيفٌ لما شاءهُ قادر
يرفرف فيها الفؤادُ كما | يرفرف في القفَص الطائر
فقالت وقد رابها ما وصفتُ | واورى اللظى طرفُها الفاتر
اتبدو خبايا القلوب به | شواخصَ ينظرها الناظر

(١) ويكون بخضرة النبت

فيا حبذا هو نوراً يريكَ ــ مثالك في القلب يا جائرُ
فقلت أعيذ وفاءك مما ــ يُريبُ فاني اذن غادر
بهذا الضياء يُرى كل جُرم ــ عن العين يستره ساتر
ولكنهُ لا يرينا الضميرَ ــ ولا ما يجولُ به الخاطر
فثابت[1] الى دعوتي عن رضًى ــ كما يأنس الرشأ النافر
فجئنا مكاناً كثيف الدُجى ــ ينير سراجٌ به ساهر
يفيض ضياءً ومن حوله ــ ظلام محيط بهِ غامر
على كثَبٍ ويُرى قاصياً ــ كما يُنظر الكوكب السافر
فدانيتهُ ولهندٍ فؤادٌ ــ خفوق وفكر به حائر
فلما رأتني أُضالعَ سوداً ــ يحيطُ سديمٌ[2] بها باهر
كلوح الزجاج المموّج بالنور ــ خطّ رموزاً به ساحر
أبت أن أراها وقد زال عنها ــ جمالُ ملامحها الزاهر
وقالت عصيتُكَ فيما أشرتَ ــ وبالروح أمرُكَ والآمر
أضِنّ بحسنيَ وهو شفيعي ــ لديكَ وعلّك لي عاذر
فيا هندُ ان زال منكِ الجمالُ ــ فحسبُ المنى قلبُك الطاهر
وان بان[3] حسنكِ عن ناظري ــ فانّ الفؤادَ له ناظر



(١) رجعت (٢) شبه الغمام ابيض لامع (٣) خفي

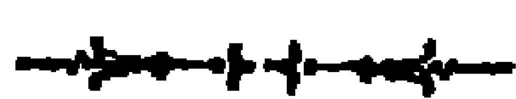
مغاضبة

بيني وبينكِ يا سلمى مغاضبةٌ ... أنتِ التي علّمتني الحزن والارقا
وانتِ علّمتِ جفنيّ الفراقَ فما ... تلاقيا طرفةً الا ليفترقا
وانت اوقدت في جنبي الغرامَ فما ... رقدتُ الا حسبتُ المهد محترقا
سلمى انظري الروضة الغنّاء ساكنة ... على نعيم وقلبي ذاكياً قلقا
مَن علّم الزهر أن يفترّ لي كذباً ... وباكيَ السحب أن يبكي وماصدقا
ونائح الطير ايلامي بمنطقه ... كأنه شارح حالي بما نطقا
ومائس الغصن اغرائي بعطفته ... فان دنوتُ تسامى نافراً فرقا
هذي ذنوبك يا سلمى جعلتِ بها ... بعد الصفاء حياتي مورداً رنقا[١]
قالت اليس غريمَ الشرّ جالبُهُ ... فان تعاتب فعاتب قلبك النزقا
فقلت لا تظلمي هذا الاسيف فقد ... ظنّ الهوى نعمة لكن أصاب شقا
هل من جُناح[٢] على قلب رأى شركاً ... من غزل عينيك ان اغراه فاعتلقا
فليتني متُّ لا عيني اليك رنت ... ولا فؤادي كما شاء الهوى خفقا
قالت كأنك بعد الحب تبغضني ... فقلت أعذرَ قالٍ[٣] شدّ ما ومقا
سلمى الم تعلمي أن الضرام اذا ... ماشبّ في جوف طود راسخ صعقا
اني لابغض روحي عندكِ احتبست ... ودمعَ عينيَ اثر الروح منطلقا
وابغض العمرَ مُمساه ومُصبحهُ ... وفجره قاتلَ الآمال والشفقا
وابغض الناس لا مستثنياً احداً ... .
. . . . الا التي لم تدع من مهجتي رمقا

---

(١) كدراً (٢) ذنب (٣) اي بلغ العذر من ابغض بعد شدة الحب

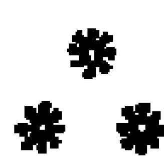
حبّاً لحسنك يا سلمى وان هو لم ... يستبقِ مني الا الرسم والحرقا
قالت وقد سال دمع من محاجرها ... اسىً عليّ ودمعي بالسرور رقا
وكاشفتني بما تخفي ضمائرها ... وهكذا الزهر ان ندّيته عبقا
فدتكَ نفسيَ مشغوفاً شغفتُ به ... فمُرْ مطاعاً ولا رأيٌ لمن عشقا
فلم أُجِبْ وعدَت في الروض ناخةٌ ... مالت بغصنين بعد الصدّ فاعتنقا



تذكار

قيلت بعد سفر الحبيبة واجدةً على محبّها لوشايات سمعتها فيه

أيا دارَ من أهوى فديتُك دارا ... غدَت بعدنا للعاشقين مزارا
تذكرني ايامَ أنسي بقربها ... قديماً وليلات مضينَ قصارا
وساعاتِ انس كنّ للعمر زينةً ... كمازان في الكأس الحباب عقارا(١)
وساعاتِ شجوٍ تستفيض دموعها ... بها فأرى دُرًّا نثرنَ كبارا
وكنتُ اذا باكيتها من صبابتي ... يكفكفُ دمعينا العناقُ مرار
كأن الذي في مهجتينا من الأسى ... غمامٌ تسامى للجفون فثارا

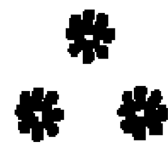


أحقاً تولّى ذلك العهدُ وانقضى ... كما لاح برقٌ في الدجى وتوارى
وأن شبابي وهو في بدء عهدهِ ... عليّ كثوبٍ أرتديه معُارا
وأني كبعض النبت يحسب ناضراً ... وقد جفّت الاعوادُ فيه أوارا(٢)
أحبايَ اني مذ أفقتُ من الهوى ... شقيٌّ فكونوا الدهرَ فيه سكارى

---

(١) خمراً (٢) عطشاً

صِلوا فيه بالشهب الجفون تسهّداً ... الى أن تبيتَ الشهبُ وهي حيارى
أفيضوا اليهِ جاريات دموعكم ... كما راح في اليمّ (١) السحاب مُمارا (٢)
ردوا (٣) السُمّ فيه مورداً تهنأوا بهِ ... وان هو اصلى وارديه جِمارا
تملّوا من الاسقام والذل والاسى ... نعيماً وخوضوا المفنيات غِمارا
أذيبوا القلوبَ الداميات تصبُّباً ... ولا شوا النفوسَ الذاكيات شرارا



كذلكَ قد احببتكِ الحبّ كله ... وآخرُ حظي منكِ كان نفارا
فيا وردتي ماذا أحالكِ جمرةً ... ويا جنّتي ماذا أحالك نارا
جزى الله إخواناً وشوا بيَ عندها ... فكانوا لسعدي حين تمّ عثارا
يسرّون لي شراً ويبدون رأفةً ... أكانوا اذن يبغون عنديَ ثارا
يسومونني خسفاً وكنت بمهجتي ... أكفُّ اذىً عنهم وادرأُ عارا
ويسقونني كأساً كأنّ بها دمي ... أراه على المستهزئين مدارا
فان أبكِ من جرحي تباكوا كأنهم ... همُ لم يديروا في الفؤاد شِفارا
على أنني وحسبي سماحةً ... وحسب المداجي ذلة وصَغارا
فصفحاً لكم عما اقترفتم احبّتي ... وتدرون اني ما صفحتُ حِذارا
توهمتكم حيناً كباراً بنُبلكم ... فالفيتكم كالمجرمين صغارا
ولم يغنِ مال من مهانة سعيكم ... أتشرون خُلقاً بالنضار نضارا
اذا المالُ حلّى صدر احمقَ خامل ... فصار اليه بالبنان مشارا

(١) البحر (٢) منسكباً (٣) اشربوا

وأصلح تشويهَ القبيحةِ فاغتدت ... تباري به حسناء ليس تبارى
فلاكان الا الفقرُ حظّاً أولي النهى(١) ... ولا خلعت عنها الحسانُ ستارا

* * *

ظلمتُكِ ما طاوعتهم وأنا الذي ... تباعدتُ عن روحي رضىً وخيارا
هجرتكِ لا كرهَ الحياةِ وانما ... بذاك قضى دهري عليَّ وجارا
ويا حبذا لو كنتُ في الارض معجزاً ... تَتمُّ له الاوطار(٢) كيف أشارا
فأجعلَ هذا العمرَ سعداً ونَعمةً ... لنا وشباباً دائماً ونضارا
وابدل نور الشمس ماشاءت المنى ... عقيقاً وتبراً ساكباً ونضارا
وانظم من زُهر الدجى لك خاتماً ... وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا
وأصنع نوطاً باهراً من هلالها ... وأنسج من غزل الضياء دِثارا
ولكنها الآمال سلعةُ خاسرٍ ... وقد أصبحت سوق الوداد بوارا

* * *

فيا منيةً للقلب كنتُ بقربها ... أرى كل عُسرٍ في الزمان يسارا
ويا جنّة النعمى لشادٍ يشوقه ... لقاؤك ماشاقَ الربيعُ هزارا
بروحيَ دون الورد اجمعَ وردة ... لذكرك أسقيها الدموعَ حِرارا
اقبلها في كل يوم تشوّقاً ... لمن نسجتها للغرام شِعارا
وأحيي بها آثارَ حبّك شاكياً ... وأسمعُ نجواها دجىً ونهارا

---

(١) ارباب العقول (٢) المآرب

القسم

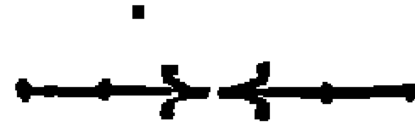
« للاستعطاف والاستعادة من السفر »

بالله باريء حسنك المعبودِ ... بهواك ان هواك روح وجودي
بالفرقدين الباهرين تلازما ... تحت الجبين لشقوة وسعود
بالحاجبين العاكفين عليهما ... لصيانةٍ ولكفّ عين مريد
بالوجنتين كجنّة أزهارها ... بيضٌ اذا هي قانئات(١) ورود
تسقى الجنان من السحاب وهذهِ ... تسقى بمثل سلافة المنقود
بالمبسم المذب المذوّب شهدُه ... في نور كل تبسّم مشهود
بقوامك اللدن(٢) الذي في اوجهِ ... سطع الجمال لقبلة وسجود
بالشعر يغشى غيهبٌ من تبره ... مَلَكا يهمّ بمرتقيً وصعود
أقسمتُ ما أشركت فيك ولم يكن ... لي في الهوى دين سوى التوحيد
يا علّة القلب الصحيح وصحّة الـ ... قلب العليل وأجر كل شهيد
يا وردةً يرتاح جانيها وان ... دميت يداه بشوكها الممدود
كذبَ الوشاة بما ادّعوه وانني ... اوفى الأنام بذمتي وعهودي
لا تمكنيهم من سعادتنا التي ... كانت قذًى في عين كل حسود
عودي الى الصفو القديم فانما ... هو بالوَدود أبرّ والمودود
عودي نفرّ كجانيين الى الربى(٣) ... مستعصمين براية الاملود(٤)
عودي ترجحنا الارائك غضةً ... اذ نعقد الاغصانُ عقد مهود
طفلان خفّفنا زوال همومنا ... وتهزّنا الاطيار بالتغريد

---

(١) ذات احمرار باهر (٢) الليّن (٣) المتنزهات المرتفعة (٤) الغصن

عودي فنقتطف الازاهر غضّةً   غراء حلاّها الندى بعقود
عودي نطرْ كفراشتين تنقّلاً   ثملين يرقصنا الصبا بنشيد
عودي فننتهب الزمان تضاحكاً   وتباكيا بالذكر والتجديد
متعانقين اذا انتبهنا رابنا   ظلاّن معتنقان غيرَ بعيد
عودي فنجتنب المجامع رغبةً   عن كاذب من انسها مفقود
ونطالب الخلوات بالانس الذي   فيه شفاء الخاطر المكدود
فلئن يكن هذا الجفاء تحوّلاً   فهو التحوّل من طباع الغيد
ولئن يكن تيهاً فلا نُفنِ الصبى   بين التقاء ساعةً وصدود



عتاب

« الشاعر والطائر »

يا ايها الطائر المغنّي   بلا نثيرٍ ولا نظيمِ
مَن لي بشدوٍ طليقِ فنّ   كشدوكَ المطرب الرخيمِ

فأنت تشدو بلا بيانِ   وما تشاء المنى تجيد
ونحن باللفظ والمعاني   نعجز عن بعض ما نريد

أعِرْ جناحيك يا رفيقُ   أطِرْ وامرحْ خليَّ بالْ
من ساكب النور لي رحيقُ   وفسحة الجوّ لي مجالْ

أُشرقْ وأُغربْ بلا مرامِ   فلا مكان ولا زمانْ

ولا هيام الاَّ هيامي   بين السموات والجنان

ليشكُ ماشاءَ كلُّ شاكي   مما دهاه من الامور
وما علينا من حزن باكي   اذا خلصنا الى السرور

هجرالهذي الديارساءت   وضاق قلبي برحبها
ما بيَ وجدٌ اذا تناءت   ولا ائتناسي بقربها

ولنبتعدْ عن نضال زيدِ   ونوح عمرو وكيد خالدْ
ولنكسر اليوم كل قيدِ   نرسف فيه من حبّ ناهدْ

***

يا ايها الطائر المغني   بلا نثير ولا نظيمِ
من لي بشدو طليق فنّ   كشدوك المطرب الرخيمِ

***

فان لي يا اليفُ هماً   افرُّ منهُ مبرّحاً
كتمته خوف ان يُلمّا   به عذول فيفرحا

لو كان قولي بلا بيانِ   كقولك المعجب المبين
لباح قلبي على لساني   بحبّه الساكن الدفين

لكنَّ سكنى القرى بيوتا   صُففن عن كل جانبِ
عوّدت الناس ان تموتا   حشراً بضيق المذاهب

ساءت خِلال وساء خُلقُ — و بُدّلت احرف الكلم
فالصدق كذب والكذب صدقُ — والكيد في وجه مبتسِم

فان تجدْ سمحةَ الجبينِ — صافيةَ المقلة المنيره
لم ترَ في حسنها المبين — الا الذي ليس في السريره

ولم تكن خرَّد[١] الخيامِ — نواكثَ[٢] العهد نكثَ مَينِ
مَن ادخلَ الافك[٣] في الغرام — وهو خفوق في مهجتين

وبي هوىً في حشىً سقيمِ — يلذُّهُ وهو يقتله
كالنور يَفترّ للنسيم — من حوله وهو يشعله

احببتُ حسناء ذات دلّ — تُهوى المُنى في جمالها
لو ابصر الراهبُ المصلي — طلعتها عاد والها

رأت غرامي فعاهدتني — على الهوى الطاهر المباح
ثم جفتني وباعدتني — بغير إثم ولا جناح

فأعتمت بعدها حياتي — من ذلك الطالع السعيد
وصرت أمشي الى مماتي — في ظلمة البائس الطريد

اعلّل القلب بالاناةِ — وما لقلبي عنها اصطبار
يا لغريق بلا نجاة — في البعد يبدو له منار

* * *

(١) نساء البادية (٢) مخلفات العهد (٣) الكذب

يا ايها الطائر المغني بلا نثير ولا نظيم
من لي بشدو طليق فن كشدوك المطرب الرخيم

***

أعِرْ جناحيك يا رفيقُ أطِرْ فراراً من الانام
أطر الى حيثُ لا عقوق ولا رياء ولا خصام

ما اجمل الكونَ من قصيٍّ وأبدعَ الارض من علٍ
لهاربٍ فازَ بالرُقيِّ تحطّ عنهُ ويعتلي

أعجِبْ برأى هذي الجبالِ منخفضاتٍ الى المهاد[1]
حتى غدت وهي كالظلال من انحلال ومن سواد

أعجِبْ برأى هذي المباني عفَت كأن لم تكن ديار
وكيف صارت خُضْرُ الجِنان من ازدهاء الى بوار

ما أبهج النورَ في عيوني ما اطيب النفس في الخلاء
شفانيَ الله من جنوني والبُعد عن خلقهِ شفاء

هذا نهارٌ مضى وليلُ ساهرتُ في جنحه النجوم
يعوم في جوّهِ سهيلُ والطير في جوّها تعوم

هنا هنا عالَم النعيمِ نعمْ ولكنَّ بي وجيبا[2]
ما للأسى المقعدِ المقيمِ عاودني عودَهُ المذيبا

---

(١) الارض المنخفضة (٢) حزناً.

لو كان حِبّي هنا بقربي لكان حقاً هنا الهناء .
لكنه غائب وقلبي باكٍ من الهجر والجفاء
لتعلُ او تنخفضْ جبالُ وليلمس النسرَ(١) منكبي
وليتسعْ او يضقْ مجالُ للنفس في كل مذهب
ولتصلُح الطيرُ والنجومُ ولتفسد الناسُ ما تشاء
ما لِاخي مهجةٍ نعيمُ بلا حبيبٍ ولو أساء

روعة نبأ

زارَ العاشقَ صديق له من رفاق صباه كان قد انقطع عنهُ زمناً طويلاً واخبرهُ ان تلك الحبيبة الغائبة مصابة بمرض عُضال فقال في ذلك

اليفَ الصبى ان خانني بارحُ الصبى فقد كنتَ لي أبقى واوفى واصحبا
هنيئاً لقلبي عودُكَ اليومَ انما يخيَّل لي اني اراكَ مقطبا(٢)
فهل انتَ تشكو حالة لي بها يدٌ فافديك منها راضياً متقربا
فقال لغيري لا لنفسي تألمي وعلّي بودّي بالغ منك مأربا
واومض برقٌ كالح من عيونه أسال ندى في اثره متصببا
فشقَّ علي الخِدنَ(٣) يبكي وهل بكى فتىً لسوى حبٍّ تصباه فاصطبى
وهاج اساه بي أسىً لمفارق تحجب عني النور حين تحجبا
فباكيتهُ مما شجانيَ ان أرى صديقي مثلي مستهاماً معذبا

*
* *

---

(١) اسم نجم (٢) عابساً (٣) . الصديق

ولما تناهينا الى الرشد بعد ان ... تساقى فؤادانا المدامع سُكَّبا
اهاب[1] فاورى كالزناد صبابتي ... بما خلته اذكى الفضاءَ والهبا
وان هو الا قوله متهدجا ... لقد ساءني من دار مارية[2] نبا
فقلتُ أَبِنْ عليَّ المنبيء كاذبٌ ... والاّ أعِن اطوِ البلاد توثبا
فمالجني حتى اذا ما اقرّني ... شجاني بانكى ثم راع بانكبا
وقال عضالٌ ما بها فوددتُ لو ... ركبت اليها وامض البرق مُقربا
وآليتُ الاّ ما حثثتُ لدارها ... جناحَي شراع او بخاراً مؤهبا
فبادرني بالنصح قال ليَ اتئدْ ... ولا تجعلن العقل للجهل مركبا
فانك ان وافيتها هاج داءها ... لقاؤك فاستعصى واصبح أعطبا
وانك ان ترحم شبابك فالذي ... يراه لك الوافون ان تتجنبا
وانك مرجوٌّ العزائم والنهى ... لترقى بها في ذروة المجد منصبا
وانك ان عرضت نفسك موتم ... عفاةً واطفالاً وامّك والابا

***

خليليَّ مَن لي بالتعقل والهدى ... فاقوى على نفسي به متغلبا
سامضي اليها وليُصبني نصيبها ... ولا يَرْثِني صَحبٌ ولا يبكِ أقربا
ولا اقضِ مذكوراً ذكائي وقد عفا ... ولا امضِ مفقوداً مناري وقد خبا
لئن كان موتٌ في مقبّل ثغرها ... سارشفه منه شهيّا مطيبا
خُلقنا لكي نحيي ونقضيَ في الهوى ... اليقين يأبى الحب ان نتشعبا
فان ساءنا دهر اثيم بفرقةٍ ... فزعنا الى قبرٍ رحيمٍ فقرّبا
واحبِبْ بهذا الوصل بعد انفصالنا ... ويا موتُ انت المستغاث فرحبا

---

(١) تكلم (٢) اسم مستعار

تكذيب النبإ

قال العاشق وقد بشّره بشفاء حبيبته اصدقاء ارادوا تسكين جزعه

يا فرحاً بالربيع والزهرِ والجدول المستظلّ في الخمرِ
يا فرحاً بالنسيم يطربني من غيرما مِزهر ولا وترِ
يا فرحاً بالعبير يسكرني من كل كمّ مقبَّل عطرِ
يا. فرحاً بالشباب احسبهُ يدوم حتى نهاية العُمُرِ
يا فرحاً بالحياةِ اجمعِها بالنفع منها معاً وبالضرر
في كل شيء بها تجدّد لي معنىً اتى من وراء منتظري
وكل ما في الوجود يحسن لي ما دمتِ في مأمنٍ من الغيرِ
اكاد مما استخفّني فرحي اطير في عالم من الفكرِ

***

اهلاً بشيرَ الشفآء قلْ وأعد ما شئت تفصيل ذلك الخبرِ
قد كذب الطب والطبيب الا انهـا علّةـان للبشرِ
مشعوذٌ طائف بشعوذة احسرُ في عقله وفي البصرِ
يحمل بلّورة ليدرك ما ندركه من مجرّد النظرِ
الحمد لله انهـا سلمت وافلتت من مخالب الخطرِ
لا كسلٌ في اتقاد عينهـا ولا اصفرار في وجهها النضرِ
ولا اغبرار على ابتسامتهـا من طول ليل العنآء والسهرِ
عاد البها تمام رونقها وليس فيه للدآء من أثرِ

وجهٌ كتفاحة الشآم اذا ما رويت من مدامع المطرِ
ومبسمٌ تبسم الحياةُ به عن قانئ اللون ساطعِ الدررِ

***

اني راضٍ فيا زمانيَ كن على صفاء او كن على كدرِ
وكن مناراً بالنيّرين معاً او مطفأ الشمس مطفأ القمرِ
لم يكُ في العمر لي سوى وطر فما ابالي وقد قُضيْ وطري



الفصل الثاني

« شقاء الحب »

اشتد المرض على الفتاة فاودي بشبابها ونعيت الى محبها فبكي واستبكى عليها بالقصائد التالية



« مثال في مرآة »

مَن بالمنون لواله صبٍ ذاكي الاضالع مقلق الجنبِ
ليت الرزيئة فيكِ اودت بي فنجوتُ من المي ومن كربي
وفزعتُ من نفسي الى ربي

يا منيتي ما كنتُ بالجزعِ في حادث ايامَ كنتِ معي
والآن بتُّ مخلَّد الفزع ميتاً بلا امل ولا طمع
حيَّا بذكر معاهد الحب

كنا وكان الحب يجعلنا مَلَكين في فلك يمثّلنا

روحين في روحٍ يظللنا نورين في نورٍ يكللنا
متقلدين قلائد الشهب

كنا وكان الحب ينصبنا مَلِكين تاج السعد يعصبنا
لا شيءَ يحزننا ويغضبنا والكل يخدمنا ويرهبنا
وسريرنا عالٍ على السحب

كنا وكان الحب يجمعنا إلفين في الفردوس مرتعنا
لا شيء بعد الحب يطمعنا لا نبتغي امراً فيوجعنا
اخفاقُنا في المطلب الصعب

كنا كغصني دوحةٍ نبتا بل زهرتَي غُصُنٍ تعانقتا
بل حبتين بزهرةٍ نمتا وتساقتا لما تعاشقتا
نارَ الغرام مع الندى العذبِ

* * *

تمت سعادتنا على قَدَرٍ فسطت عليها غيرة القدرِ
أودت معاً بالعين والاثرِ واستبقت الباقي من الخبرِ
ذكرى وتبصرةً لذي لبِّ

فكأنما المَلَكان ما نما وكأنما المِلكان ما حكما
وكأنما النوران ما ابتسما وكأنْ رؤيا واهم وهما
مَثلت مشخصةً ومرت بي

وكأنما الروحان ما اعتلقا وكأنما الالفان ما اتفقا

وكأنما الغصنان ما اعتنقا   الدهرُ يكذب حيثما صدقا
ما اقرب الماضي الى الكذب

وكأنني بالزهرتين معا   وهما كثغر بشَّ فانفرعا
والحبتين اذ الهوى انقطعا   لُطفاً لجمعهما كما جمعا
ما كنَّ من زهرٍ ولا حَبّ

زالت حقيقة ذلك الحُلمِ   وقضى الابرُّ الطاهر الشيم
منّا فراح فريسة العدم   وظللتُ فيه فريسة الالم
حتى يمنَّ الله بالقرب

* * *

ففقدتُ من كانت تقرّ بها   عين المتيَّم في تقرّبها
والنفس تشقى في تغيُّبها   فتظلُّ حيرى في ترقُّبها
محبوسةً في مقلة الصب

فَقَدَ النفوس عذوبةَ الامل   فقد العيونِ النورَ وهو جلي
فقدَ العزيز الدرَّ لم يطُل   فقد الفتى الدنيا على عجلِ
اذ جاءها ضيفاً على الرحب

بلَ فقد محرور الفؤاد ظمي   قطراً يبلُّ صداه من ضرم
بل فقدَ محتاجٍ من الالم   آمالهُ بنهاية السقم
وعزاءه الموكولَ بالطب

ماتت وكل ضاحكٌ جذلُ   ما للورى ولموت من جهلوا

لا قلب يبكيها ولا مُقَلٌ   بل نبلها واللطف والاملُ

وشبابها وطهارة القلبِ

ماتت ونور الفجر مرتسمُ   في الماء فهو اغرُّ مبتسم

والروض زاهٍ بالندى شبِم   والطير تصدح فيه والنسم

والزهر والاغصان في لِعبْ

تلك المحاسن في تفرُّدها   تلك الفضائل في تعدُّدها

تلك الشمائل في تجردها   عن كل شائبة بموردها

انى تبيت وديعة الترب

اين الدموع تدرُّها السحُبُ   اين الحمام يبيت ينتحب

ولمن رياضُ الانس تكتئب   ولمن تعدُّ حدادَها الشهب

فتغيب في سودٍ من الحجب

وعلامَ لا خوف ولا عجبُ   وعلامَ لا نوح ولا طربُ

مَن عاش لم تكتب به كتب   او مات لم تخطب لهُ خطب

يفقدْ بلا اهل ولا صحب

مرَّت بهذي الدار وانصرفت   والناس تجهلها لما لطفت

ما خطبهم في وردةٍ قطفت   من روضة او بانةٍ قصفت

في عنفوان شبابها الرطب

كانت لها الدنيا بما اشتملت   مرآةَ حُسن كيفما انتقلت

حتى اذا ما عوجلت بجلت   عنها صفت مرآتها وخلت

منها ومن أثر بها ينبي



الى حبيب ميت

« من مائتٍ بدائه »

اقام العاشق زمناً وهو يتوهم انه مصاب بالداء الذي ماتت به حبيبته وفي هذا قوله

عفاءٌ لهذا العيش مالي وماله وقد ساء عندي ما يُمرُّ وما يحلي
أأخشى لقاء الموت والموتُ منقذٌ واحرصُ في الدنيا على الضيم والغلّ
عدمتُ اذاً قلبي ولو كان وافياً تلقَّ الردى كالخلِّ يأنس بالخلِّ
ولكن بيَ داءٌ ألانَ عريكتي واوهنَ من عزمي وأضعفَ من نُبلي
تواصلني الحمَّى وتوشك نارها تشعشع في وجهي وفي ملمسي تصلي
ورأسي مصدوعٌ وصدري ضائقٌ وجسمي كشخص قائم الرسم منحَلِّ
وقلبيَ مسموعُ الخفوق معلَّقٌ بمنهدم الاركان اجوفَ معتلِّ
ورقَّتْ حواشي مهجتي وتلطَّفتْ بعينيَ مألوفاتها حينَ استجلي
أرى خللَ الأشياء رسمَ مطوّحٍ به الغيبُ عنيّ في بعيدٍ من السبلِ
شهابٌ أنيرُ العمرَ حتى لقائهِ بآثاره الغراء في القلبِ والعقلِ

***

حبيبةَ قلبي ان تكوني سبقتني لحزنيَ لم يُسبَقْ وما للهوى مثلي
فقدتكِ بالداء الذي هو قاتلي فان ساءنا بالفصل اسعد بالوصلِ
كأنّي من قبلٍ بلوتُ عذابهُ وانتِ التي عانيتهُ بلكِ من قبلِ
فياعهدَ سعدي حينَ كنتِ بجانبي ويا عمراً ابقيتِ للحزنِ والثُكلِ
ويا نجمة القبر المُضاء بنورها ويا مغربَ الصبحِ المحجَّب بالرملِ
عليكِ سلامُ العاشقِ المُدنفِ الذي يسير الى قبرِ الحبيبِ على مهلِ

نغمة وذكرى

« خطرت له وقد سمع قينة تغني وتضرب العود »

انَّ لي قلباً خفوقاً واهنَ العزم كسيرا
يشبه الطير مصاباً بجناحيهِ اسيرا
ايها القينة يهنيكِ الصبى غضاً نضيرا
واسلمي دهراً طويلاً واغنمي سعداً وفيرا
انشديني لحن ثكل واضربي صوتاً مثيرا
يستعر منه جناحين فؤادي ليطيرا
ويثبْ حتى يفوقَ الأنجم العليا كثيرا
ويخلّ الشهبَ فيما دونه ذرّا نثيرا

***

انَّ لي في الغيب إلفاً قد نأى عني نفورا
حجبت منه الليالي عنيَ الصبح المنيرا
مُنيةٌ قد اصبحت في خاطر الدهر ضميرا
فارقَ الدنيا وابقا ني جزوعاً مستطيرا
ابتغي السعي اليه حيثما بات قريرا

***

فاذا ادركتُه اطفأتُ من وجدي السعيرا
واتحدنا فاغتدينا مَزْجَ روحين سرورا

نفحة ان هي الاّ نسمة ضمّت عبيرا
او شعاع ان تبينتَ فنورٌ ضم نورا

***

انّ لي قلباً خفوقاً واهنَ العزم كسيرا
يشبه الطير مصاباً بجناحيهِ اسيرا
ايها القينة يهنيك الصِبي غضاً نضيرا
واسلمي دهراً طويلاً واغنمي سعداً وفيرا
انشديني لحن ثكل واضربي صوتاً مثيرا
يستعر منه جناحين فؤادي ليطيرا
ويشبْ حتى يفوقَ الانجم العليا كثيرا
ويخلِّ الشهبَ فيها دونه ذَرّا نثيرا

الاثر الباقي

« عنّت له وقد مرض مرضاً عضالا »

يا قلبُ مات بك الغرامْ فعلى بقيتك السلام
ما تنفع الكأس التي بقيت وقد فنيَ المدام
ومضى شباب النفس ان شبابها لهو الهيام
وعفا الرجاء فلا السها د اذن يطيب ولا المنام
بان الحبيبَ فما صفا لي في معايشة الانام

ولَئِنْ سلمتُ وحُبّ مَن   أتحمّل الكرب الجسام

***

ولقد اكون وكل همّي   هجر يوم او خصام
فغدوت اصماني الردى   باشدّ ما تصمي السهام
في خير شطرَي مهجتي   أولاهما ان لا يضام
ومُنيتُ بالهجر الذي   لا ملتقى معه يرام
فعجبت اني كنتِ اشكو   حادثاً قبل الحِمام
اسفي على عهدٍ مضى   وليسقِهِ صوب الغمام
فاحرُّه في جنب ما   انا فيه شافٍ للاوام
اسفي على حبي الذي   اضنى فؤادي المستهام
فعذابه عذب ونار   اساهُ برد في سلام
اسفي على جرحي القديم   وليت ذاك الجرح دام
فلقد شفيتُ وحبذا   لو ظلّ قلبي وهو دام
لا كان لي هذا الشفاء   وحبذا ذاك السقام

***

اللهَ في صدر وهى   وتقوست منه العظام
خاوٍ كجوفِ الغارِ تملأُهُ   المخاوف والظلام
الاّ سراجاً حائلاً   فيه ينير بلا ابتسام
روحٌ تضيء على ضريح   في صميم القلب قام

تحنو عليه كأنه مهد لطفل فيه نام
وبه تحفُّ ملائكٌ للذكر حفاظ الذمام
بيضٌ مجنّحةٌ خفاف شبه سِرب من حمام
يؤنسنهُ بوثوبهن وشدوهن على الدوام
رسلٌ نواقلُ بيننا ما لا يحيط به الكلام
مما اراه في الحياة وما يراه في المنام

*
* *

فكأنني رسم محيل فيه اعمدة قِيام
بيت عتيق شيد فيه لعابد ورع مقام
ابلاه دهرٌ لم يدع منه سوى الأثر الحرام
تمثيلُ حسنٍ ظاهر لهوىً قضى وجوىً اقام



المنديل

وجد العاشق يوماً وهو يقلّب ملابسه في صوانهِ منديلاً ابلاه مرور اعوام عليهِ ولم يسلم منه الا الموضع الذي طرّز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته فاستبكى لذلك شاعره بقوله

أعِدْ ايهـا المنديل ذكراً محببا ... وأنطِقْ به الطيبَ الذي فيك مطربا
وأطنبْ بما تحكيه عنها فانه ... اذا ساءَ اطنابٌ حبذلك مطنبا
فذلك ذكرُ الحبّ انت تعيدهُ ... بل العمرِ اشهى ما يكون واعذبا
وما بك من نَشْرٍ ففي القلب مثله ... طواه الهوى قِدماً وما زال طيّبا
لزمتَ صِواني خافياً منذ عهدهـا ... كأنك سرٌّ في الطويّة غيّبا
فما آنستك العين مني ولم يكن ... له وُلكَ في ظني وقد بِنتَ احقُبا
ومثلك قـد يخفى وليس نسيجهُ ... باضخمَ مما في شعاعٍ من الهبا
كأنّ الرشاش المستدقّ من الندى ... نسيلٌ له حاكته ناسجةُ الصبا

* * *

وقالوا غداةَ البين سلواك في غـدٍ ... فمن عاق هذا الدهرَ أن يتوثبا
اقلّب فيه ناظريّ فلا أرى ... لياليهُ دُهماً ولا الصبحَ اشهبـا
لزمتُ مكاني والزمانُ مجانبي ... يدور حوالى قطبـهِ متقلبا
ومرّت بيَ الاعوام كُثْراً طويلة ... فمـا خففت وقراً من العيش متعباً
تعاودني ايامهـا وفصولهـا ... فلا راجياً تلقى ولا متهيبا
وهل بعد ليلى حادث فاخافـه ... وهل بعدها سعد يظنٌّ فارقبا
تشاكلت الدنيا عليّ جميعها ... أراها ولكن لا أرى ليَ مأربا
فسيّان عندي صيفهـا وربيعها ... وسيّان عندي ما أضاء وما خبا
اذا اينعت روضٌ فمـا حظٌّ ناظر ... يرى خلل الروض الشقاء منقّبا
وان جرّدت ثمّ استعادت حُليّها ... فمن لي بآمالي ومَن لي بالصبي
وكيف أبالي زينةَ الشهب في الدجى ... طلعنَ ولم يجلُ الهوى لي كوكبا

وكيف أبالي رونق الصبح ان بدا   وكان الذي أهواه عني مغيبًا

* * *

فيالكِ اعوامـاً توالت صروفهـا   ولم تنفِ عني شاغلاً ليَ منُصبا
دخلتُ بها غِرًّا كما تشتهي المنى   وعـدت كما يهوى الشقاء مجرَّبا
اراني زماني سِرَّه وهو الأَذى   فادَّبني والشرُّ خيرٌ مؤدبا
وشقَّت طوايا الناس لي عن حقيقة   تسوء اذا ما ظاهر الناس اعجبـا

* * *

رأيتُ حروباً اوقد الظلم نارهـا   فـادت لها الآفاق واهتزَّت الربى
جرت مهج الابطال فيها زكيةً   كأن الثرى بالارجوان تجلببا
اذا الشمس جرَّت فوقه ثوب نورها   طوته وراح الثوب بالدم مشُربا

* * *

رأيتُ أساطين السياسة حلقوا   نخلت لهم عند المجرَّة مطلبـا
ولكن أسفوا بعد حينٍ كأنهم   نسور هوت تبغي من الدم مشربا

* * *

رأيتُ احبـاءً تولَّوا واسرةً   قضوا وفريقـاً كالزمـان تقلبـا
فرحماك ربي للذين اصطفيتهم   وصفحك عمن خان عهديَ مذنبا

* * *

وقارعتُ فرساناً قرعت صفوفهم   باسمرَ ماضٍ في الاسنَّة اهيبـا

كأنَّ طروساً ضمّنت غزواتنا ميادين فيها أحدث الحبر غيهبا
تدار بها اقلامنا كذوابل ويقذف فيها موكب العلم موكبا
ويوشك إبراق الخواطر أن يُرى خلالَ مِداد لم يُطقه محجبا

***

وكم عرضتْ لي غانيات فعِفتُها وصنتُ ضميري واللسان المشبّبا
وكم بالي وافيتهُ متلهّياً فغادرتُه ادمى فؤاداً واكأبا
وما زال هذا الحبّ فيَّ مؤيَّداً مكيناً نبت عنه السنون ومانبا
وما زلتَ يا منديل ليلى ملازمي تنشّقني الذكرى نسيماً مطيّبا
أصابك ناب قارضٌ من فم البِلى الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغالَ فؤادي البينُ الأَّ بقيةً قضى الحبُّ ان احيا بها فاعذبا



دمعه

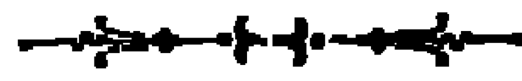
على فقيدة

قالوا الربيع شباب الدهر

والشباب ربيع العمر

عاد الربيع وحبذا عود الربيع الى الربوعْ
عودٌ تسرّ به الخلا ئق وهو عيد للجميعْ
بسطت سنادسها الرياض وأورقت فيها الفروع

واَزّينت اثوابها بزخارف الوشي البديع
ما بال قلبي آسفاً كلِفاً باقلاق الضلوع
فكأن جنبي مهده وكأنه عانٍ ضجيع
يبغي الشفاء مع الولوع ولا شفاء مع الولوع
ولو انه رضي السلـ ـوّ فانه لا يستطيع
ألفَ الصبابةَ فهي أمٌّ مرضع . وهو الرضيع
والطفل يشتق بالفطام فكيف يقبله مطيع
يا للربيع وزهـرُهُ شوك وأنهرهُ دموع
يا للشباب ولا سرو ر ولا عزاء ولا هجوع
مَن كان مفقود الحبيب فلا شباب ولا ربيع



كان

سررتُ فيُ العمر مرَّة وكنتِ انتِ المسرَّه
كانت حياتيَ روضاً وكنتِ في الروض نضره
وكان غصناً شبابي وكنتِ في الغصن زهره
وكان فكري . سماءً وكان حبكِ فجره
وكان حسنك يوحي الى يراعيَ سرَّه
وكان لحظك يهدي الى بياني سحره
وكان ثغركِ يملي على سماعيَ درَّه
وكان طيبكِ يهدي الى ثنائيَ نشره

وكنتِ للروح روحاً وكنت للعين قرّه
قد «كان» هذا ولكن مضى واخلفَ حسره
فبتُّ لا شيء الاَّ حالين ذكرى وعبره



انتهت حكاية العاشقين



لغز

في الضمير أنتِ

وفي اسم آنِتْ

أعرف يا سيدتي غادةً ذكر اسمها يغني عن النعتِ
اذا تراءت خلتُها نجمة بدت لها أخت على سمْت
لها محيا كمحيا الضحى أو كمحياكِ اذا بنت
وقدّها العادل في مَيلها كقدك العادل ان ملت
أول حرف من حروف اسمها أولَ حرف قد تعلمت
وحرفه الثاني كنقْط الندى منعقدَ التاج من النبت
وحرفه الثالث ان شئتِهِ ضمير وصل كان ما شئتِ
فما الذي ألغزتُ فيه ومَن في ذلك الوصف تبينت
فقالت الخود[1] وقد رابها لأنتَ ادرى قلت بل « أنت »



(١) السيّدة

تبرئة

لعينيكِ يا جارتي الجائره شقائي وآماليَ العاثره
اتنأين عني وتجفينني لارضاء طائفة ماكره

***

برئنا الى الحُبّ لاذنبَ لي ولا لحبيبتيَ الهاجره
ولكنهم علموها الجفاء وخطوا لها خطة القاصره
واصغوا الى قول واشٍ بها وحاشَ لها أنها وازره
أذاك الجبين وبلّورهُ يمثل فكرتَها الخاطره
أتلك العيون وأنوارها مراءٍ لاخلاقها الباهره
أتلك الشفاهُ وما قبّلتها سوى الام واللذة الزائره
أذاك القوام ومن حسنه تميل الغصون له صاغره
أتلك الطفولة وهي سياج لروض به نفسها طائره
أذاك العفاف ومما صفا تقَرُّ به المُقل الناظره
محاسنُ بغيٍ وأخلاق إثم وزينة عاطلةٍ فاجره

***

لعمريَ انهم اتهموكِ بما في نفوسهم الخاسره
وانك أبهى وانك أسمى وأنقى من النجمة السافره

وانيَ أهواكِ ملء عيوني ومِلء حشاشتيَ الصابره
ومِلء الزمان ومِلء المكان ودنياي اجمعَ والآخره
فان يستملك اليّ الهوى وعين العفاف لنا خافره
أليس الهوى روح هذا الوجود كما شاءت الحكمة الفاطره
فيجتمع الجوهر المستدقُّ بآخرَ بينهما آصره (١)
ويأتلف الذرّ وهو خفيٌّ فيمثل في الصور الظاهره
ويحتضن التربُ حَبّ البذارِ فيرجمه جنةً زاهره
وهذي النجومُ أليست كدرٍّ طوافٍ على ابحر زاخره
عقودٌ منثرة بانتظام على نفسها. أبداً دائره
يقيّدها الحبُّ بعضاً وكلٌّ الى صنوها صائره

*
* *

فيا هندُ أنتِ مُنى مهجتي وناهيةُ القلب والآمره
اليك أميلُ واياكِ أبغي بقوةِ عاطفتي القاهره
وانكِ في فلك الحسن شمسٌ ونفسي اليك بهِ سائره
« وما ثمّ عيب نعابُ بهِ معاذَ صبابتنا الطاهره »

---

(١) رابطة وقرابة

الجنين الشهيد

هي قصة جرت في مصر حضر الناظم وقائعها كما شهد حكاية العاشقين
ووصفها بحقيقتها لتكون تذكرة وعبرة

أتتْ مصرَ تستعطي باعينها النُجلِ وعَرْض جمالٍ لا يقاس الى مِثلِ
غريبةُ هـذي الدار باديةُ الذلِّ جلت طفلة عن موطن ناضب المحلِ
الى حيث يروي النيلُ باسقةَ النخلِ

فـلاحيةٌ ما دَرَّها ثَديُ امِّها سوى ضعفها البادي عليها وهمِّها
ولم تتناولْ من ابيها سوى اسمها ولم تستفدْ من اهلها غـيرَ يتْمها
واشقى اليتامى فاقدُ البرِّ في الاهلِ

فكانت كنامي الغرس يزكو وينضُرُ ومَطعمهُ طينٌ ومَسقاهُ أكدرُ
يحيط بها دوحانِ[1] شيخٌ معمَّرٌ وامٌّ عجوزُ القشر « والابُ اخضرُ »
تبيعهما قوتاً بشيءٍ من الظلِّ

فمِن صبحها تسعى لجنيٍ ومُكتدى وفي ليلها تقضي الذي يُبتَغى غدا
كما كان عبدُ الرقِّ جنحاً ومغتدى يواصـلُ مسعاهُ ليخدمَ سـيِّدا
ويوسعهُ رزقاً ويغذى من الفضلِ

قضت هكذا بين الاسى والمتاعبِ مناشئَها مذ لم تكن غيرَ كاعبِ

---

(١) شجرتان كبيرتان اشارة الى ابيها وامها

فصحت كنبت الطود بين المعاطبِ ومدّت الى حيث الثرى غير ناضبِ [1]
اصولاً توافيها من الغور بالعَلِّ [2]

فيا لقوى التمكين في جسم سالمٍ يقاوِمنَ دون العمر كلَّ مقاومِ
يحاذِين بالاوراق درَّ الغمائم يهابطنَ بالاعراق قاعَ المناجم
خِفافاً الى ضمٍّ صماباً على الحلّ

يمرُّ بها عهد الصبي والتدلُّلِ على شَظَف في عيشها وتذللِ
وكم جرعت من صبرها كأس حنظلِ وكم نالها صرف من الدهر مبتلي
فطال عليها لا يُميت ولا يُسلي

وكم ضاجعَ الجوعُ الاثيمُ بهاءها وقبّلها نختي اجفَّ دماءها
وكم ساعف الحرُّ المذيبُ شقاءها وكم نازع البردُ الشديد نماءها
نوائبُ تأتي كالليالي وتستتلي

أنرنَ نهاها في اعتكار التجاربِ بنيرانهن المحرقاتِ الثواقبِ
وصُغنَ لها من فحم تلك الغياهبِ ذكاءً من الألماس صفواً كلاهبِ
يُري عينَها ما لا ترى اعين النمل

دعاها بليلى والداها لتُذكرا وهل كان صوناً لأُسمها ان يغيَّرا
على انها كانت مِثالاً مصوَّرا تصوَّرَ من ماء الجمال مقطرا
فلاَّه في الابصار وهو بهِ حلَّي

---

(١) جافّ (٢) الريّ

يسرّ برأى حسنها كل سابلٍ فينفحها من ماله غير باخلِ
وكم مدقعٍ من شدة الفقر سائلٍ يردُّ يديه لا يفوزُ بنائلِ
ولا جودَ للانسان الا على دَخلِ (١)

تحنُّ الى الصقع الذي لم يبرَّها وجرَّعها صابَ الحياة ومرَّها
نأت ونأى اترابها عنهُ كرَّها ولكن هي الاوطانُ نحمَدُ ضُرها
ونهوى الاذى فيها ولا النفع ان نُجلِ

على انهُ ماهي رجالٍ اسافلِ ومَبغى نساء فاجرات عواطلِ
جديبٌ خصيبٌ بالبطون الحواملِ وما تقذف الامواجُ في كل ساحلِ
من الرمل ما يقذفن فيه من النسلِ

يعِدُّ بنيه للمهانة والخنا ويلقي بهم في البحر تحت يد الفنا
فيتخذون التيهَ في الارض موطِنا عراةً حفاةً خائرين من العنا
اذا نزلوا خصباً فبشّره بالمحلِ

فتحترف الازواجُ بَغيَ نسائها وتحترف الزوجات خلعَ حيائها
وولدٍ خلت آباؤُها عن إبائها يتاجَر في أعراضها وبهائها
وتنمو على خلق المفاسد والختلِ

* * *

كذا أُدّبت ليلى فطيماً وعالَها ذووها ليُضحوا بعدَ حين عيالها
فتطعمهم من خزيها ما جنى لها وتكسوهم مما تُعرّي جمالها
وتحمل ما في العيش عنهم من الثِقلِ

(١) ريبة

ولكنَّ نفسَ الطفل تُبدي المساويا ... حساناً يماثلنَ الصفاتِ البواهيا
كاوَّل نَبْت الحقل يحمل ناميا ... ولا تفرق العينُ الغريبَ المضاهيا
من النبت الاّ في اوان جنى الحقل

فلم يكُ في ليلى سوى ما يحبِّبُ ... بها من معانيها الجياد ويعجبُ
وكانت على .الايام تنمو وتَعذَب ... كزاكية الاغصان والصُقعُ طيبُ
يبشرنَ في فصلٍ ويثمرنَ في فصلِ

الى ان غدت في اعين المتوسِّمِ ... تنيرُ كنور الشارق المتبسمِ
منعمةَ الاعطافِ لا عن تنعمِ ... متممةٌ اوصافُها لم تتممِ
بحليٍ ولم تُصلح بطلي ولا صقلِ

محاسنُ غرٌّ لو رأتها اميرةٌ ... رأت كيف تعلوها فتاةٌ حقيرةٌ
وكيف حوَت جاهَ الملوكِ فقيرةٌ ... مضوَّرةٌ مما تجوع جديرةٌ
باحسان ارباب المبرات والبذلِ

بهاءٌ به يسمو على الجاهِ فقرُها ... وعريٌ بهِ يزري الجواهرَ نحرُها
وثوبٌ عتيق ان فشا منهُ سرُّها ... اباح كنوزاً للنواظرِ صدرها
يحرّمها الجفنُ المرصَّد بالنبلِ

ورأسٌ إذا ما زانهُ تاجُ شعرها ... فاشرف من عرشٍ غضاضة قدرها
وقد تشتريه ذات تاجٍ بفخرِها ... وترضى بهِ تاجاً كريماً لفقرها
بلا اسف منها على الجاه والنُبلِ

* * *

وقال ابوها يومَ تمَّ شبابُها ... وحيكَ لها من نور فجرٍ إهابُها
ايا أمَّ ليلى حسبُ ليلى عذابُها ... توفَّر مسعاها وقلَّ اكتسابُها
وأسأم تكرارُ السؤال ذوي الفضلِ

أراها اصبحَ الآنَ جسماً واجملا ... وقد حان ان نجني جناها المؤمَّلا
نمت ونموُّ الفقر يأتي معجَّلا ... ولم أرَ كالحانات افضلَ موئلا
لمن يطلبون الرزقَ من بابه السهلِ

فقالت لها امٌّ شديدٌ دهاؤها ... كريمٌ مآقيها سريعٌ بكاؤها
بنيةِ هذي الحالُ اعضلَ داؤها ... وانتِ لنا دونَ الانام دواؤها
ومَن نرتجي الآنَ للعونِ والكفلِ

فقالت اشيري يا أميمةُ إنني ... لطوعكِ مهما تأمري اتفنَّن(١)
وما تؤثريهِ أحترفهُ وأتقنِ ... وكلُّ الذي فيه رضاكِ يسرُّني
وما ليَ عنه يا اميمةُ من شغلِ

فقالت لها اني ارى لك مِهنةً ... تعيد علينا نقمة العيش منَّةً
تكونين فيها للنواظر جنَّةً ... وللشاربين المستهامينَ فتنةً
فترقَينَ أوجِ السعد من اقرب السبلِ

« فيا أُمها أَولى بها العدمُ والطوى ... من السعد تُهديهِ اليها يدُ الهوى
وأَولى بها من ان تُذالَ فتصفوا ... معاناةُ همٍّ ناصبٍ يوهنُ القوى
وسيرٌ على شوكِ القتاد بلا نعلِ »

---

(١) اتخذ فناً

كذلك ناجاها الضمير مؤنّبا ولكنّ جوع النفس فيها تغلبا
فردّ الى الصمت الضمير مخيّبا وألقى بتلك البنت في اوّل الصبا
الى حيث يخشى ناسكٌ زلة الرجلِ

* * *

فمرّ بها في حانةٍ نفرٌ أولو مجونٍ دعتهم بالرموزِ فأقبلوا
وحيّوا فحيّتهم وفيها تدللُ فقال فتىً ما للمليحةِ تخجل
وحيث تكنْ تنزلْ على الرُحبِ والسهلِ

تسمّين يا حسناء قالت تحببا انا اسميَ ليلى هل ترى اسميَ معجبا
فقال لئن انشدتهِ الصخرَ أطربا برقّة هذا الصوتِ او راهباً صبا
او الثاكلَ اعتاض السرورَ من الثكلِ

وقال فتىً ما شاء ربكِ أحكما جمالكِ يا ليلى فجاء متمما
رأيتُ ولكن لا كثغركِ مبسما ولا مثل هذي العينِ تروي على ظما
ولا كحلاً في الجفنِ افضح للكحلِ

فلما سقتهم قال نشوانُ يمزحُ أتسقيننا روحاً وجفنكِ يذبحُ
ومدّ يداً منهم فتىً متوقحُ اليها فجافت ثم صافت ليسمحوا
لها بمزيدٍ من شرابٍ ومن نقلِ

وقالت بتولٌ فارقبوا الله واتقوا ولكن اشار اللحظُ ان لا تصدّقوا
فاضحكهم هذا العفاف الملفّقُ وقال فتىً شأنُ الرحيق يعتّقُ
ولكنّ تعتيق العفاف من الخبلِ

فتابعهُ ثانٍ وقال تفننًا اما زلتِ بكراً… بئسما الديرُ ههنا
ولكنها الاثمارُ تخلق للجنى والاّ فمن ان تطيب وتحسنا
الى ان نراها ذابلاتٍ على الاصلِ

وقال فتىً ما البكرُ في خير مذهبِ فقال مجيبٌ كأس راحٍ مطيبِ
فما شئتَ قلبها لنشقٍ ومشربِ فان هيَ لم تُعطَب فلستَ بمذنبِ
وان كدرت باللمس تطهرُ بالغسلِ

وكان رفيقٌ منهمُ متألمًا يرى آسفا ذاك الدعاب المذمّما
وتلك الفتاةَ البكرَ خلقاً مثلّما وعِرضًا غدا تثليمهُ متحتّما
فقال «كفى هذا التطوّح في الهزلِ

لئن جاز مسُّ البكر او ساغ لثمها بلا حرَجٍ ما دام يؤمن ثلمها
فلِمْ زهرةُ الروض التي هي رسمها اذا ابتذلت جفّت ولو صينَ كُمُّها
ولم تستمد زهواً وطيباً من الطلّ»

***

أيا ليلُ هل تصفو وتطلعُ انجما لتقذى بارجاس الورى اعينُ السما
ويا زمناً قالوا بهِ الرقُّ حرّما علامَ أبيحَ الطفلُ للجوع والظما

فباعاهُ للفحشاء تحت يد العدلِ

أُصيبيةٌ جاؤا المكانَ ليسهروا وقد اجلسوها يسكرون وتسكرُ
فلما نفى اللبَّ الشرابُ المخمّرُ تمادَوا بها في غيهم وتهوّروا
وارقصهم طوافة الزمر والطبل

فهذا معاطيها وذاك مداعبٌ وهذا مداجيها وذاك مشاغبُ
وهذا مراضيها وذاك مغاضبُ وهذا مباكيها وذاك ملاعبُ
وكلاً ترى منهم على خلق رَذْلِ

يحاول كلٌ ان يزيغَ فؤادهـا وكلٌ يرجى ان يضلَّ رشادهـا
يرومون منها ان تبيح وسادهـا ويبغون طرًّا بغيهـا وفسادهـا
سواءٌ لديهم بالحرام وبالحِلِّ

ذئابٌ تُداجي نعجةً لافتراسِها وترقب منها فُرصةً لاختلاسها
ولكنَّها ردَّتهمُ عن مساسها تبالغ في تشويقهم باحتباسها
وتستنزل الآلاءَ يغدقنَ كالوبلِ

فما هي منها في الطهارة رَغبةٌ ولا هي من فقد البكارة رهبةٌ
ولكنهُ علمٌ لديها ودُربةٌ كما أبواها ادَّباها وعصبةٌ
أَرتها فنونَ الغش بالقول والفعلِ

تصيد لُهى عشَّاقهـا باحتيالهـا وتبتزُّ منها امُّها فضلَ مالها
فتنفقهُ في رَوحها ودلالها وتقتني الحلى معتاضةً عن جمالها
باوسمةٍ للقبح في الشيبِ والعُطلِ

لكَ الخزيُ من عصرٍ يفاخرما خلا وقد عوِّد الاطفالُ فيهِ التسولا
وسيمت بهِ الابكار سوماً محللا وباعت نساءٌ ولدَها واشترت حِلى
والقى رجالٌ بالبنوةِ في الوحلِ

* * *

على هذه الحال الشديدِ نكيرُها ... نما الحسن في ليلى ومات ضميرها
فكانت كمشكاةٍ[1] يعزُّ نظيرها ... بإتقانها لكن خبا الدهرَ نورُها
وبان الحيا فالعين غمدٌ بلا نصلِ

فلما استوى شكلاً ربيع الصبا بها ... وشبَّ عن الاكمام زَهْرُ شبابها
ودلَّ على النماء غضٌّ إهابها ... وانكرَ ماضي فقرِها وعذابِها
حكت جنّةً فتانة القلب والعقلِ

وما هي الادمنة لكن اكتسى ... ثراها من النبْتِ المزوَّر ملبسا
ويسطع منها الطيبُ لكن مدنّسا ... وفي زهرها تنمو الرذائلُ والاسى
وموردُها عذبٌ ولكنه يُصلي

تكامل فيها الحسنُ والمكرُ اجمعا ... كانهما صِنوان قد ولدا معا
ودرَّهما ثديٌ لأمٍّ فأرضعا ... وشبّا بحجرٍ واحدٍ وترعرعا
وضما بعقد مبرم غير منحلٍّ

فلو زرتَها مملوءَة النهد معُصرا ... لا بكاكَ ما ساءت خِلالاً ومخبرا
وسرَّك ما جادت بهاءً ومنظرا ... وقلتَ أليلى هذهِ وبها أرى
اشدَّ طباق في الطوية والشكلِ

نعم هي ليلى لكن الآنَ تكذبُ ... ويكذبُ منها الحاجبُ المتحدبُ
ويكذب فيها قلبها المتقلبُ ... الى ان يحارَ الناس فيها ويعجبوا
وما عهدت ليلى كذلك من قبلِ

---

(١) مصباح

وتكذب في ميلادها وولائها ... وتكذب في ميعادها ورجائها
وزرقة عينها وبرد صفائها ... وحمرة خديها وورد حيائها
وفي عطفها المضنى وفي ردفها العبل

وتخلق زوراً في المحاجر ادمعا ... وتنشيء لوناً للحياء مصنعا
وتنسج للتمويه في الوجه برقعا ... وتبكي كما تفتر في لحظة معا
وترضى مع الراضي وتأسى لذي الغل

تخاطب كلاً بالذي في ضميره ... لما هي تدري من خفي أموره
وتعجبه في حزنه وسروره ... وتصطاده لطفاً بفخ غروره
فيغتر عن حزم ويسخو على بخل

حوى سيراً من كل ضرب فؤادها ... بها يهتدي سبل الخداع رشادها
ويقوى على ضعف القلوب ودادها ... فلا تنثني حتى يتم مرادها
ويرجع عنها الكل راضين بالكل

يحدثها كل بامر تجددا ... ويفشي لها أسراره متوددا
وما يكشف البدر الظلام اذا بدا ... كما تكشف الاسرار ليلى وما الصدى
بأسرع منها في الحكاية والنقل

وكم تصطبي ذا غرة لا يخالها ... محصنة بكراً وذي الحال حالها
فيغويه فيها أنسها وابتذالها ... ويسخو عليها ما يشاء احتيالها
وتعرض عنه حين يطمع في الوصل

أليس صفاءُ البكرِ في اول الصبى كقطرِ الندى الحالي به زهرُ الربى
فان يستحلْ ذاك الصفاءُ تاهبا فلا عجبٌ ان تحسب البكرُ ثيّبا
ويخطىء فيها من يكون على جهلِ

وكم من سريٍّ مولعٍ بالتعففِ سبت بالحياء الكاذب المتكلَّفِ
وتامتهُ بالقول الجميلِ الملطَّف وبالتيه حيثُ التيهُ محضُ تزلفُ
وبالهجر حيثُ الهجرُ أجمعُ للشملِ

فانَّ البغايا ان حسنَّ ظواهرا وجارينَ في آدابهنَّ الحرائرا
وكنَّ جميعاً كالنجوم سوافرا فايُّ حكيمٍ يستبين السرائرا
وهل في ضياء الشهب فرقٌ لمستجلي

﴿ ٢ ﴾

على انَّها لم ترضَ عن مستقرّها وكانت تناجيها امانيُّ فكرها
بأن تتولى عاجلاً فكَّ أسرها فان وُفّقت فازت بإعلاء قدرها
على كل من تعلو عليها وتستعلي

وكان فتًى طلقُ المحيا جميلهُ ولكنهُ نذلُ الفؤاد ذليلهُ
يميل اليها وهي لا تستميلهُ فيزدادُ فيهِ غيظهُ وغليلهُ
ويلتفُّ في احشائه المكرُ كالصلّ

وكان كثيراً ما يودُّ خطابها فتصغي اليه وهي تحسو شرابَها
فان ملأت مما يقول وطابها تولّت وكان الصدّ عنهُ جوابَها
فثارت لفرط الكيد ادمهُ تغلي

فآلى لها يوماً بأن يتأهلا   بها فاصاب الوعدُ منها المؤملا
فقالت كفاني خدمةً وتبتلا   وذي نعمةٌ ارقى بها سلم العلى
وماذا ترجي بعدها امرأةٌ مثلي

فابدت لهُ الاقبالَ بعد التبرُّم   ولكن اطالت خبرَهُ خوفَ مندمِ
فقالت لها النفسُ الطموعُ « الى كمِ   تظلان في مُشقٍ من الريب مؤلم
ويُقضى نفيسُ العمر في الوعد والمطل

فلم أرَ اهوى من جميلٍ وأطوعا   فؤاداً ولا وجهاً أحبّ وابدعا
فتى لك يُهدي قلبهُ واسمهُ معا   فان طال هذا المطلُ منك تطلعا
الى امرأة تسموك بالجاه والاصل »

فخامرَ ليلى الخوفُ ثمّ تحوّلا   الى غيرةٍ والغيرةُ انقلبت الى
غرامٍ فامست لا ترى حسناً ولا   تكاشفُ بالحب النزيه مؤمّلا
سوى ذلك الغرّ الجميل من الكلّ

ومن نكد المخدوع ان زمانهُ   يسخّر للخلّ المداجي[١] امانهُ
فاذ يرعوي المغرى ليلوي عنانهُ   يكونُ المداجي قد اذاهُ وخانهُ
وأدرك ما يسعى اليهِ من السؤل

اصمّ الهوى ليلى وأعمى ذكاءها   وردّ عليها كيدها ودهاءها
فمن نفسها نالت وشيكاً جزاءها   ومشتي الورى منها اتمّ شقاءها
بان أخذت في نحها بيديَ وَغل[٢]

* * *

(١) المرائي   (٢) سافل

وليلةِ أُنس زارهـا من صحابهـا فريقٌ بغوا ان يكشفوا سرَّ ما بها
فدار حديث بينهم في عتابهـا لإعراضها عن صحبها وانقلابها
الى أجدر العشّاق بالصدّ والرذل

فخالتهمُ يهجونهُ لمآربِ ويُتهم محضُ النصح في فم ثالب
فبينا تجافي دونهُ كل عاتبِ اتى يتهادى بين جيش معايب
تهاديَ قيل[1] حفّ بالخيل والرجل

ففارقت الحضار طراً واقبلتْ عليهِ وفي احشائها غِلة غلت
وفي وجنتيها حمرة كاللظى علتْ تحيّتهُ بالبشر الطليق واغفلتْ
سواه من الجلاس كالسلعة الغفل.

« اهذا الذي فيهِ اللام يريبهـا وفي حبهِ سعدُ الحياة وطيبها
همُ بغضاء والحبيبُ حبيبهـا وهم بلهاء لا جميل خطيبهـا
وما الجميل بينهم من فتى كِفل[2] »

***

وكان من الجلاس أشيبُ مغرمُ وأقوى غرام المرء في حين يهرمُ
فقال الى كم نحن نعطي ونَنعمُ ليحظى بليلى آخرونَ وينعموا
فيسقون من خمر ونسقى من الخلّ

دعاها فجاءتهُ تجيبُ تلمظا[3] « نعم » فتلقاها بشتمٍ وأغلظا

---

(١) امير (٢) كفوء (٣) باشارة منكرة في الشفتين

فسالت مآقيها اسىً وتغيُّظا   فثار جميلٌ يقذف السمَّ واللظى
عليهِ بمدرارٍ من السَّبِّ منهلّ

وبارزهُ حتى التراب تخضبا   ففاز على الشيب الصبي متغلبا
وأشبعه ذلاً لكي يتأدبا   وعلَّمه اين التصابي من الصبي
واقنعه باللكم واللطم والرَّكل

فلما رأت ليلى الذي كان قرَّت   وفرّج عنها غيم حقد وحسرةِ
وأعجبها ذاك الوفاء فسُرَّتِ   ونادَت جميلاً يا ملاذي ونصرتي
فدًى لك نفسي من شجاع ومن خل

والقت عياء رأسها فوق صدرهِ   فزان سوادُ الشعر ابيض نحرهِ
مثالان قاما للشباب ونصرهِ   وللحسن تجلو شمسهُ وجه بدرهِ
وللحب مرفوعَ اللواء على العذل

فألوى عليها عاكفاً متدانيا   يخاصر املوداً من القدِّ واهيا
ويرشف من اجفانها الدمعَ جاريا   على ورد خدّ يخجل الوردَ زاهيا
محلّى باكليل من الدُرّ مخضلّ

كأن جميلاً في ارتشاف شؤونها   سقى وردة محزورةً من عيونها
كأن الندى المنثورَ فوق جبينها   مدامعُ فجرٍ أفرغت في هتونها
على روضةٍ شبهِ الهلال من الفلقِ

* * *

وأوحى اليه المكرُ ان يتعجَّلا ليدرك من ليلى الوصالَ المؤملا
فان امهلت حتى تفيق وتعقلا تقدْهُ كما تهوى صبوراً مذللا
قِياد بعيرٍ جرَّه الطفل بالحبلِ

فسار بها في جنح الليلَ أهيمٍ كهمٍّ على صدر الوجود مخيِّمِ
الى رَبَضٍ قفرِ المسالك مظلمٍ معدٍّ ليؤتى فيه كلّ محرّمِ
بما ثَمَّ من غابٍ ومن شَجرٍ جَثلِ

فطارت به نفسُ الفتاة تروُّعا فراودَها عن نفسها متضرّعا
فعفّت فناها فزادت تمنُّعا فاقسم الاَّ ان يموتا اذاً معا
طعينَي حديد بين كفّيه مستلِّ

وبالغ في إغرائها مقسماً لها بانَّ فتاها من غدٍ صار بعلها
ويرفعها شأنا ويكفلُ اهلها ويجعلُ في اسمى الصروح محلّها
وينقذها من عيشة الاسر والغلِّ

وكان يهمُّ الصبحُ ان يتطلعا ويفتضُّ ازرارَ السماء ليسطعا
ويرفع ثوبَ الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيلَ الا وقد وعى
دماً طاهراً اجراهُ إثم فتىً نذلِ

دمٌ كان سرًّا في البتول مقدَّسا فلمّا اراقته ابتذالاً تدنسا
أفي لحظة تغدو المصونة مُومسا وتُضحي عروسَ البغي ا كليلها الاسى
ومرقدها فوق الحجارة والرمل

فما الكواكب الدرّي زلّ وأعتما ولا الملَك الهاوي الطريدُ من السما
بأعجلَ من ليلى سقوطاً واعظما فلو رضيت بالموت بعلاً وانما
ارضى به بعلاً سوى امرأة اهل

﴿ ٣ ﴾

مضت سنة تصفو الليالي وتعذُب مراراً وليلى دائماً تتعذّب
صبورٌ على جمر الغضا تتقلبُ جفاها الاوْلى قِدماً اليها تقربوا
وما لقيت منهم سوى الصدّ والخذْل

وكان جميلٌ كالنساء له حِلى ويكسى جلابيبَ الحرير تبذُّلا
وتقرضهُ ليلى جنى خزبها ولا تضنُّ عليهِ خوف ان يتحوّلا
ويفلتَ منها وهي في اشهر الحَمْل

فيأخذُ مال السُحتِ والعيب رشوةً ويسخو كما لو كان يملك ثروةً
يشارك فيهِ والديها واخوةً تعولهمُ أكلاً ومأوىً وكسوةً
وتحرم ليلى لذّة النوم والأكل

وكم مثل هذا سافلاً رقيَ الذُرى وتاه على القوم الكرام تكبرا
بمرتزَق يأتيهِ من حيثُ لا يُرى كأنَّ له كنزاً خفياً عن الورى
هداهُ اليهِ ساحرٌ ضاربُ الرمل

وظلّ جميلٌ لا يفي دَينَ وعدهِ وليلى ثبوتٌ في صيانة عهده
وتهواه حتى في إساءة قصده وتحملُ منه المطلَ خِشيةَ بعده
وتقبلُ منهُ ما يُمرُّ وما يُحلي

مصائبها برَّأنها من خطائها وحرَّزنها من خبثها وريائها
عفا ربُّها عنها لصدق ولائها وأخلصها حرقاً بنار شقائها
وطهَّرها غسلاً بمدمعها الجزلِ

فلما قضت من عدَّة الحمل اشهراً شكت المَّا يستنفذ الصبرَ منكراً
وكانت على المألوف تشرب مسكراً وتتعب حتى يطلع الفجر مسفرا
فتمضي بجسمٍ خائر العزم معتلِّ

فقالت لمن تهوى اراني ضئيلةً فان تفني مالي يكنْ لي وسيلةً
لأشفى والآ مُتُّ حبلى عليلةً ففرَّحها بالوعدِ افكاً وحيلةً
وفرَّ فرار اللص من حاكم عدلِ

وطالَ عليها يومُها في التوقُّع ومرَّ زمانٌ بعدَهُ في التوجُّع
تبيتُ على مهد الاسى والتفجُّعِ وتُصبح في يأسٍ اليمٍ مُصدِّعِ
وليس لها مُشكٍ وليس لها مُسلي

أيهتكُ عرضَ البكر وهو مخاتِلُ ويسرقُ ما تجنيهِ زلاءُ حاملُ
ويُردي ابنةُ المسكين والعدلُ غافلُ فواخجلتنا زانٍ ولصٌّ وقاتلُ
ويكرمُ بين الناس اكرامَ ذي فضلِ

***

وليلٍ أشدُّ الداء أيسرُ خطبهِ بطيءٍ كأنَّ الموتَ فُرجةُ كربه
تجنَّى على ليلى بانواعِ حربه ومدَّ لها شوكاً بانوار شهبهِ
واوردها الاسقامَ علّاً الى نهلِ

أضاعت بهِ مما تقاسيهِ رُشدَها وعانت من الاوصاب فيهِ اشدّها
يغالب آناً وَجدُها فيهِ حقدها ويغلب آناً حقدُها فيهِ وَجدها
وتصرخ من فرط التألم والأزلِ (١)

« ايا ربّ اني حاملٌ ثم مرضعٌ ومالي من القوت الضروري مشبع
أبي موسعي ذماً وامي تقرّع واشعر ان ابني بجوفيَ موجعُ
فهل هو جانٍ ام يعذّب من اجلي

لقد بعتُ كل المقتنى ورهنتهُ وانفقتُ حتى خاتماً منهُ صنتهُ
هو العهدُ من ذاك الخؤون اؤتمنتهُ . ضننتُ به من حيث كنتُ ظننتهُ
لمودتهِ فألاً فزال به فألي

ايا ربّ قد يجني ملاكٌ تكبّرا ويجني وليٌّ ان سها حينَ كبرا
ويأتي وليدٌ ان تبسم منكرا ولكن جنينٌ لا يفوه ولا يرى
اتجزيهِ في ذنبي وتلزمهُ جهلي

لتهنئك يا بنتَ النعيم سعادةٌ كما شئتها تأتي وفيها زيادةٌ
وتهنئك من بعلٍ كريمٍ عبادةٌ ويهنئك حمل طاهر وولادةٌ
وطفلٌ ربيبُ المجد والسعد والدلِّ

تجفّ دمائي ما تفكرتُ انني على وشك وضعٍ والشقاء يحفني
ولم أرَ حولي من معينٍ ومحسنٍ وكم أطلب الرزقَ العصيّ فانثني
وقد ناء بي عن قصده ثقل الحمل

(١) الشدة

الا لِمَ هذا الطفل يحيا ولا أبا | له أليشقى شقوتي ويعذبا
كفى قلبَ احنى الوالدات تحوبًا[1] | وحاشاهُ ان يأتي فرياً اذا أبى
حياةَ الاسى والجوع للولد النغل

اتغنيكَ من مهدٍ بقيةُ أضلعي | ويغنيك من شدوٍ نواحُ تفجعي
وهل تتغذى من فؤادي المقطَّع | وتشربُ ماءً من سواكب ادمعي
وهل تتردى العار للستر يا نجلي

فيا ولدي المسكينَ فلذةَ مهجتي | ويا نعمةً عوقبتُ فيها بنقمة
ومن كنتُ ارجوهُ لسعدي وبهجتي | وكان يناجيه ضميري بمنيتي
وآملُ ان يحيا ويرجعَ لي بعلي

تموتُ ولمّا تستهلَّ مبشرا | تموت ولم انظر محياك مسفرا
وتبرح قبراً فيهِ عذّبتَ اشهُرا | الى جدثٍ منهُ ابرَّ واطهرا
وتحيا صغارُ الطير دونك والنحلِ

تموتُ وما سلمتَ حتى تودعا | وأمك تسقيك السموم لتصرعا
وتنفيكَ من جوفٍ بهِ كنت مودعا | لتكفيك عمراً لا يطاقُ بما وعى
من الحزن والآلام والفقر والذلّ

فان تلقَ وجهَ الله في عالم السنى | فقل ربيَ اغفر ذنبَ اميَ محُسنا
فما اقترفت شيئاً ولكن ابي جنى | علينا فعاقبهُ بتعذيبهِ لنا
وامطرهُ نيراناً تذيبُ ولا تبلي

---

(١) حنوًا

كفرتُ بحبي في ذهول تغضُّبي   فعفوكَ يا ابني ما ابوك بمذنب
فقل ربِّ امّي اهلكتني لا ابي   وامي زنت حتى جنت ما جنتهُ بي
فزِدها شقاءً واجزها القتل بالقتلِ »

* * *

رأت شهبُ الظلّماء مشهدَ ظالماً   لدُنْ اسقطت منها الجنينَ بسمّها
فلم تتساقط مغضباتٍ لحطمها   واشربَ نورَ الشمس من دم إثمها
كما يلغُ الضاري الدماءَ ويستحلي

﴿ ٤ ﴾

على انّ ليلى بعد عامٍ تصرّما   سلت في الملاهي امرها المتقدّما
وعاشَ جميلٌ ناعم البال مكرما   كأنهما لم يستبيحا محرّما
وما عوقبت غيرُ الطهارةِ والطفل

تموز (لوليو) سنة ١٩٠٣



الاقتران

تليت في حفلة زفاف السيدة الكاملة النبيلة ايزابيل كريمة آل طنبه على صاحب العزة السرّي الفاضل سليم بك بسترس المحامي الشهير وكان ذلك في شهر يونيه سنة ١٩٠٢ غير انه وقع سهو في الترتيب اخرها الى هذا الموضع من الديوان

كان ليلٌ وآدمٌ في سُباتِ   نام عن حسّهِ الى ميقاتِ
والبرايا في سكنة الظلمات   خاشعات رجاءَ امر آت
يتوقعن آية الآيات

والربى في مسوحهن سواجدْ   من بعيد والافق جاثٍ كعابد
ونجوم الثرى سواهٍ سواهد   ونجوم العلى رواني شواهد
يتطلعن من علٍ ذاهلات

نظر الله آدماً في الخلود   موحشاً لانفراده في السعود
مستزيداً والنقص في المستزيد   فرأى ان يتمه في الوجود
بعروس شريكة في الحياة

إلفٍ عمرٍ والالف للانسان   حاجة من لوازم النقصان
تلك في الخلق سنة الرحمن   سنها منذ بدء هذا الكيان
وبها قام عالم الفانيات

منذ كانت هذي الخليقةُ قدما   نثراتٍ من الهباء فضمّا

ما تراخى منها فالف جرما   ثم احياه ثم آتاه جسما
مثله يكملان ذاتا بذات

***

بُسطت انمل اللطيف القديرِ   في الدجى من اوج الملاء المنيرِ
فاماجت بالضوء بحر الاثير   والمت بآدمٍ في السرير
لاجتراح الكبرى من المعجزات

فتحت جنبه وسلّت بمطف   منه ضلعاً فجاء تمثال لطف
جلّ قدراً عن اصله فاستصفي   من دم الصدر لا التراب الصرف
وسماه بباهيات الصفات

وكذا الله انشأ الشمس قبلا   حين كان الوجود جرماً فسلاً
منه بكراً مضيئة تجلى   جعلت اهله وآتته نسلا
باهراً من نجومها الباهرات

***

فبدت غضةَ الصبي حواء   وهي هيفاء كاعبٌ زهراء
ليد الله مظهر وضّاء   وسنًى بيّن بها وسناء
شفّ عنه الجمال كالمرآة

تجلّى والليل يمضي اندفاعا   ناظراً خلفه اليها ارتياعا
وبشير الصباح يدلي الشعاعا   ناشراً رايات الضياء تباعا
داعياً للسرور والتهنئات

ونجوم الزوال ترمق آنا حسنها ثم تغمض الاجفانا
ونجوم الجنان تبدي افتتانا بالجمال الذي رأته فكانا
آية المبصرات والسامعات

وتناجت ضمائر الازهارِ وتنادت نسائم الاسحارِ
وتداعت صوادح الاطيار قلن هذي خلاصة الاسرار
وختام العجائب المدهشات

ربنا ما سواك من معبود ايّ خَلق نرى بشكل جديد
بنت شمس ام قد بدت للعبيد صفةٌ منك في مثال فريد
لتلقي سجودنا والصلاة

قال صوت هي العناية حلّت فانارت مليككم واظلّت
وهي سلطانة عليكم تولت وهي في يومها عروس تجلت
وغداً امّ سادة الكائنات

﴿ ٢ ﴾

تلك حواء في ابتداء الزمانِ لم يكدر صفاءها في الجنانِ
ماسوى جهل سرّ هذا الكيان وشعورٍ بانَ في العرفان
لذة فوق سائر اللذات

فاشترت علمها بفقد الدوام واشترت بالنعيم سرّ الغرام
واستحبت على اعتدال المقام عيشة بين صحة سقام
في التصابي وملتقى وشتات

فلئن كان فعلها ذاك اثما افلم تغدُ حين اضحت أُما
بمعاناتها العذاب الجما روحَ قدس من الملائك اسمى
مصدراً للفداء والرحمات

كان خسرانها خساراً جسيما لكن اعتاضت اعتياضاً كريما
اوَلم تؤتنا الهوى والعلوما فنعمنا وزاد ذاك النعيما
ما حُففنا به من الشقوات

فلهذا نحبها كيف كنا ان فرحنا في حالة او حزنا
أو جزعنا لحادث أو امنا وهواها من الابرّين منا
في صميم القلوب والمهجات

(٣)

يا عروساً قد اصطفاها سليمُ فهي اليوم انسه والنعيمُ
وهي امٌّ غداً حنون رؤوم لبنيه وهي التقى والعلوم
والهدى للسلائل القادمات

ان حواء جددت بك عهدا لم تزل تستعيده مستجدا
تتوخى به على الارض خُلدا وبه تستديم نسلاً وولدا
وثناء الآتين والآتيات

واراها ما استخلفت فيه بكرا منك ابهى نفساً وابينَ طهرا
لا ولا قلدت فتاة ابرّا تاجها الطاهر السنيّ الاغرا
تاج فخر الزوجات والامهات

وضعتهُ عليكِ وهي مشيره　　ان مرجوّة البنين اميره
ذات مُلك منهم غداً وعشيره　　تتنامى كثيرة فكثيره
ثبتة في تقلب الدولات

فهناءً يا اكرم الناس بملا　　واجلَّ الحسان عقلاً وفضلا
صرتِ اهلا له وقد كنت اهلا　　للاعزّ الاعزّ فرعاً واصلا
والسريّ السريّ بين السراةِ



غرام طفلين

اهداء

الى حضرة الصديق الوجيه اسكندر افندي خوري

انتَ تبغي السِّيرا　　شاغلاً عما ترى
مؤثراً ان تعلم الجا　　ريَ مما قد جرى
راضياً من خبرة　　ان لا تجوز الخبرا
فاذا ما كان لي　　حسن حظّ قدرا
طبتَ نفساً لحديث　　سقتهُ معتذرا
عاطلٍ يحلى متى　　تلقِ عليهِ نظرا

القصة

طفلان كالاخوين مؤتلفانِ　　شبّا وشبّ على الهوى القلبانِ
متمازجين كانما نفساهما　　نفس لها شبحان منفصلانِ

يتشاطران العيش ان يحسنْ وان يخشنْ كما تتشاطر العينان
لبثا على هذا الوصال برهة ثم انقضت وتفارق الخلان
كانت اليفتَه وكان اليفها فسطا النوى وتشتت الالفان
جزعا لهذا البَين حتى كان لا يلهو بشيءٍ ذانك الفتيان
سرعان ما انمى الجوى عقليهما وتعلّما التفكير قبل اوان
فتراسلا ـ لا يحسنان كتابةً ـ بالذكر وهو رسول كل جنان
وتشاكيا كلٌّ الى آلامه شكوى ادلّ على وفاء العاني
واسترسلا كلٌّ الى آماله بالقرب بعد تطاوح الهجران

***

لكنه طال البعاد وشوغلا عن مؤلم التذكار بالحدثان
فاستودعا في معلمين لينموا بهما على الاداب والعرفان
ولينسيا ذاك القديم من الهوى في عشرة الاتراب والاقران
فتعلما النطقَ الصحيح وعوّدا خط الحروف كلاهما في آن
حتى اذا رسما الكلامَ جرى بلا عهد على قلميهما لفظان
خلوان من معنًى وفي قلبيهما لهما احبُّ منى الحياة معاني
جمعا البلاغة كلها في اسمين قد كتبا بلا حسن ولا اتقان
كتب الفتى (سلمى) وخطّت (يوسف) واليك ما عنيا ببعض بيان

***

قال الفتى « يا مَن تجلّى لي اسمها فرسمته ويداي ترتجفان
صورتُه وكأن صورتها بدت فيه اراها دونه وتراني

وعبدتُ احرفه كرمز حاجبٍ صنماً رآه عابد الاوثان
لكن شجاني الطرس قرَّ بضمه وشوق صدري دائمُ الخفقان
واغارني قلبي اكبَّ مقبلا تلك الحروف بمائم رنان
لخطمت شقَّيه توهمَ ان ما عاقبتهُ شفتان آثمتان
سلمى .. وما احلى اسمها وحروفه موصولة كقلائد العقيان
متشابكات يرتضعن على المدى ماء الحياة معاً وهنَّ هواني
ولو انهن فصلن بتنَ اواسفاً كاليتم يفطم مرضع الولدان
يا ذي الحروف أأنت عالمة بها اوليته من طائل الاحسان
لو كنتُ منك لما فتئت منعما ابداً باطيب ملتقى وقران
ولما غدوتُ على الفراق كما أُرى روحاً تهم بفرقة الجثمان
طال النوى يا منيتي سلمى فهل زمن التنائي آذن بتداني
ما زالتِ ملءُ نواظري وخواطري لكنما شفتاي موحشتان
يا ليتنا طفلان لم نبرح كما كنا الى متأخر الازمان
قالوا لمثلك في المدارس سلوةٌ كذبوا ايسلو كارهُ السلوان
بي حرقة اخفيتها عنهم كما يخفي الرمادُ ذواكيَ النيران
سلمى العلومُ جميعها في لفظة كالعطر قطرته عصير جنان
سلمى الحياة وما النعيم مخلداً يُشرى لدى اقبالها بثواني
ساجدٌ في طلبي لاستدني به زمناً اصير وفي يديَّ عناني
فاطير من شغفي اليكِ تشوقاً وابلُّ غُلة قلبي الظمآن »

* * *

قالت وقد رسمت على الطرس اسمه « يا من وقفت لحبّه وجداني

وحلا هواني فيه لي وصبابتي   حتى كأني قد هويت هواني

ليكن فدى لك يا أليف طفولتي   أن بتُّ فيك اليفة الاشجان

وغدوت استجلي جمالك غائباً   من احرف نمقتُها ببناني

نمقتها وكأنني صورتها   عن صورة مرسومة بجناني

سودتها وحروفها في مهجتي   نارية كتبت باحمرَ قاني

يبغي الاقارب لي هناءً آتيا   بالعلم وهو لي الشقاء الثاني

ايضاعُ في غير الهوى عهدُ الصبى   والعمر من بعد الشبيبة فاني

ألِنستزيدَ يقيننَا بضلالنا   وبجهلنا نقضي احب زمان

خلوا سبيل الطير يمرحُ هائماً   في جوّه ويرود كل مكان

وليلحقنّ بالفهِ وليَنعما   حيناً قبيل العهد بالاحزان »

*
* *

هذا يسيرٌ من كثيرٍ ضمّه   عن غير قصد ذانك الإسهان

ولربما عجزت بلاغات الورى   عما يخطُّ بلا هدًى طفلان

ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٣



حلوى العيد

يا ليلةً فاجأتُ سرب الغيدِ ... في مجمع يصنعن حلوى العيدِ
يخرجن من كتَل العجين بدائعا ... امثال كل مشخَّصٍ مشهود
ويُجدنها فلو الشفاه تعففت ... عن اكلها لضمنتُها لخلود
بانامل بيض تكاد تظنها ... مخضوبة بدم من التوريد
وزنود عاج عُرّقت بزمرد ... آيات حسن في شكول زنود

*
* *

روّعن حين قدمت ثم انسن لي ... ورضين بي في المحفل المعقود
فثويتُ بين مناطق وقراطق ... ومباسم ومعاصم ونهود
من كل طاوية الحشى ممشوقة ... ريّا الخدود لحبة المنقود
سلابة خلابة غلابة ... باللفظ او باللحظ او بالجيد

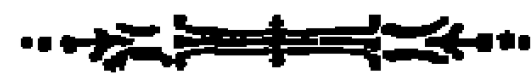
*
* *

لولا هوًى يصبي الحليم لما ثوى ... مثوى الاناث اخو الرجال الصيد
شأني مكافحة الخطوب اذا دجا ... نقع الحوادث في الليالي السود
شأني مطاردة الضلالةِ بالهدى ... وتدارك الاخطاء بالتسديد
شأني مساهرة النجوم بعزلتي ... استنزل الالهامَ غيرَ بعيد
شأني التطلع للعلاء . . . وانما ... هذي السماء وانتِ شمس وجودي

*
* *

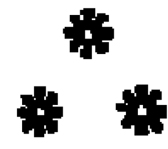
انتِ الحقيقة في الحياة وكاذبٌ غير الهوى للمائت الملحود
ان اسعفتنا ساعة منه فقـد أزرت بغبطتها على التخليد
اما العظائم والعلى فشاغل خلقت من التفكير والتسهيد
لا تملأُ القلب الخليّ ودأبها نهك القوى في شقوة وسعود
ادوات لهوٍ نستعين بهـا على سير عسير في الحياة كؤود
اشباه ما يعطى من الثمر امروء في زاد ترحال عليه شديد
ولعلّ غاية كل طالب رفعةٍ ارضاء ذات سلاسل وعقود
فيكون عيد العمر ساعةَ ملتقى وعظائم الآمال حلوى العيد

تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٣



موءاساة

المّ بصاحب العطوفة الهمام الامثل محمد شاكر باشا صهر البيت الخديوي الكريم كلال خفيف في العينين من اثر البكاء الطويل على كريمة له اختارها الله لداره في مقتبل الصبي فبعث اليه الناظم بهذه الابيات تعزية وتسلية ودعاء له بالشفاء وضمنها بعض ما في فؤاده من خالص الولاء وعظيم الاكرام لذلك الرجل الجليل الذي شرفه بوده واعلى منزلته بتقريبه منه



سَلمتْ من شوائب التكديرِ أعينُ السيد الهمام الامير
ما عراها اذىً ولكن تغشّى عارضٌ دونها جلاء النورِ
طيف غادٍ من السحاب مولّ شاب في سيره صفاء غديرِ
ظلُّ جرم قد مرَّ في سمت نجمٍ فمحى نورَهُ اوانَ المرورِ

هل على سالم النواظر بأسٌ … من غِشاءٍ يكونُ في المنظورِ
حفظ الله مقلتيكَ ووقى … عنهما كلَّ طارىءٍ محذورِ
ولئن أغضتا فعادةُ صفحٍ … فيهما عن عفاف نفس وخيرِ
ولئن غضّتا فذلك ممّا … غضتا عن ندى يديك الكثيرِ
شيمةٌ جازت السماحة فضلاً … فاستتمّت على يد المقدورِ
بضميرٍ على البلاءِ نقيٍّ … وفؤادٍ على المصابِ شكورِ
كل خلقٍ ما راضهُ الدهرُ يوماً … بكبار الصروف غيرُ كبيرِ
ولقد قلدتك سودُ الليالي … بارقاً فيصلاً لدهم الامورِ
فاذا ما عداك عوفيتَ عادٍ … كنتَ برداً لشرهِ المستطيرِ
هكذا البأسُ انما ليس ينفي … من فؤاد الشجاع لطفَ الشعورِ

* * *

لكَ بينَ الاسى وبين التأسي … شكلُ وافٍ ورشدُ هادٍ صبورِ
ساعةً يغلب التأسّي فتُلفى … وجليلُ الامورِ مثلُ الصغيرِ
واواناً تأسى على الذكرِ حتى … ليلينُ البكاء صمَّ الصخورِ
فلقد التقيكَ تلهبُ شوقاً … لفقيدٍ غضِّ الشباب نضيرِ
فارى منكَ في غضون المحيا … ملمحاً للسهادِ والتفكيرِ
وارى منك رسمَ ذاك المفدى … في جبينٍ يشفُّ كالبلّورِ
يتراءى من عالم الغيب فيهِ … كتراءي النجم البعيد المنيرِ
وأرى في اللحاظِ منك شعاعاً … تترامى الى خوالي الدهورِ
لاحقاتٍ به حراصاً عليه … وسلوُّ الماضينَ شرُّ القبورِ
وأرى ادمعاً تسيلُ حراراً … من فؤادٍ مكلَّمٍ محرورِ

شبه ذوب المشيب يجرين غراً ... في عقيقين تحت بيض الشعور
او كماء الربيع فاض زلالا ... من عيون الجبال مل‌ء النهور
يستوي الجاريان بالصفو الا ... ان ماء الدموع غير قرير

* * *

حسب جفنيك يا محمد جوداً ... تعبا من هذا البكاء الغزير
افتبكي وانت اوسع علماً ... بسماح المعطي وسلب القدير
افتبكي وان نجلك يغني ... من كرام البنين عن جمهور
افتبكي ومن بنيك وفير ... هم بنو ذلك النوال الوفير
افتبكي ومن جزعت عليه ... ناعم في الجنان بين الحور
خالد الذكر في فؤادك حي ... ثابت الرسم في النهى والضمير
نائل من جميل ودك اوفى ... بر باقٍ براحل مبرور
ما ترى هذه المدامع تغني ... من قضاء محتم التقدير
لكن الله شاء للبر خصباً ... فسقاه من مائهن الطهور

كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٣

الهلال والنجمة

بيتان قالها الناظم في حفلة عثمانية اقيمت في فندق كونتيننتال وكانت ليلتها ليلة هلال

ايها الاخوة الاعزاء هذا ... عيدنا وهو عيد اكرم أمه
اشرك الله انجم السعد فيه ... فبدا في العلى هلال ونجمه

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٤

فالوذج البرتقال

مدحت بها احدى العقائل الخواتين من سيدات مصر لاجادتها عمل هذا « الضرب من الحلوى »

حسناء من فالوذج البرتقالْ مقدودة في الكوب قدّ الهلال
ترتجّ في موضعها عن دلال

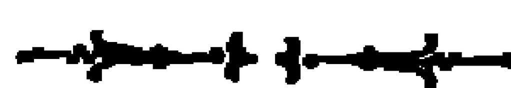
أجمِلْ به قطراً وقد حليّا حبستِ فيه من عصيّ الضيا
مسحة شمس آذنت بالزوال

الطيبُ من ألطفَ ما يُستطاب والشكلُ زاهٍ كالعقيق المذاب
كلاهما والطعمُ حالٍ وغال

فيا يداً تصنعُ هذا العجب سلافةٌ في عنبرٍ في ضَرَب (١)
سلمتِ للذوق معاً والكمال

قالوا لنا في جنة كوثرُ لكنهم في وعدهم أخّروا
فقدّمي فالوذَج البرتقال

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٤



---

(١) عسل

في استئناف حرب جائرة

« بين امة كبيرة وامة صغيرة »

واهمٌ مَن قال ان القوم ماتوا ... حدثينا عنهم يا معجزات
حدثينا كيفَ أودى بالاوْلى ... ملكوا الآفاق حرّاتٌ عفاة
كيفَ افنى كلَّ ذي درع وذي ... لأمةٍ مُدّرعو النَّقع حُفاة
نفرٌ ظنوا ضعافاً فاذا ... همُ للقرْم الاشدّين غُزاة
فئةٌ قلّت واعيا دونها ... عسكرٌ ضاقت به الستُّ الجهات
هاجموها فتلقّتهم كما ... تتلقّى هجمة البحر الصفاة
وغذوها من حطام ما غذت ... صخرةَ البحر الرمال الراسبات
انما الأضعف في الحومة من ... ضعفت آراؤهُ والفتكات
والقليلُ النزرُ في الازمة من ... خانه الصبرُ وجافاهُ الثبات
قيل هذا فيهم فعل التقى ... والصلاح الحيّ للخوف ممات
صدقوا رأس التقى الفعلُ فان ... كان قولاً فهو زورٌ وافتئات
هكذا القوم وما تقواهم ... فِقَر يتلونها او دَعوَات
فاذا صام الفتى منهم فعن ... دم اسراه وان لم تُعفَ شاة
واذا زكّى بجاري دمه ... في سبيل الوطن الحرّ زكاة
واذا صلّى ففي جِشوته ... للمراماة سجود وصلاة
من دعا الله على غاصبه ... فالدعاء السيفُ والذكرُ القناة
او حمى الاوطان والعرض معاً ... فهو الدين كما ترضى الحياة

ايها السوقةُ كلٌّ منهم ملك قد توجته الهبوات
ايها الجهال كلٌّ منهم قائد تؤثر عنهُ الخدعات
يا حماةَ الخُلُق الحر وقد عافهُ الناس وخانته الحماة
صائني دارهم العذراء عن واطىء الاً وما فيها موات
شيدوا تاريخكم من نقض ما شادهُ في ازل الدهر الطغاة
ثابروا في وثبكم ولتهننا في تلاشينا الهنات الهينات
تابعوا النصرَ بنصرٍ ولتكن خجلةَ الانذال هذي النصرات
يصفعُ الجبّارَ من تعدمه منكم للضرب والطعن أداة
وفتانا يلثم الكفَّ التي في جبين الملك منها صفعات

نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٧

الى لسان الوطن ويراع الزمن مصطفى باشا كامل

مَن لمينا ان يَرى في لحدهِ كيفَ اخنت ببنيه الموبقات
فلقد ارنو الى مصرَ التي خلَّدتها الباقيات الصالحات
فارى روحاً قديماً طائفاً باكياً مما جنت مصر الفتاة
كيفَ تحيا امةٌ هالتهمُ شقة المجد فذلوا واستماتوا
كيفَ يقوى معشرٌ عدتهم هزلهم والمشرفيات النكات
ابخوف الغول يُرجى عندهم خُلق البأس وترجى العظمات
ام بآدابٍ والحانٍ يهي معها العزم وتقوى الشهوات
فارفع الصوتَ وايقظهم فقد طال عهداً بهم هذا السبات
ما لمصرٍ شبهَ قبرٍ واسعٍ منذ فرعونَ ومَن فيها رفات

مغيب في البزوغ

رثاء للمرحومة ماري كندرجي توفيت في الثانية عشرة من العمر في دار غربة

هل كان هذا البَينُ في الفجر   فتلوتِ نجمتَه على الاثر
ام في الضحى فنفحتِ آخرَما   نفحته ذابلةٌ من الزهر
ام في الهجيرة فانحللتِ كما   شربَ الضرامُ وحيدةَ القطر
ام في الزوال فغربانِ معاً   للشمس في الدنيا وفي خِدر
ام في الظلام فزادَهُ حلكاً   سرٌّ رقيتِ به الى سرّ
ام في تجلي البدر ممتزجاً   منكِ الانينُ بصفرة البدر

***

اني جزعت على صباك وهل   جزع يكافيء فادح الامر
وجزعت انك ما انتهيت الى   وطر ولا قصد من العمر
وجزعت انك قد وُكلت بلا   ذنب لظالمة بلا عذر
فقضيت حيناً في العذاب ولم   تدري علامَ ومتّ لم تدري

***

لم تمهلي حتى نرى اثرا   لك من اشعة باهر الفكر
لم تمهلي حتى نرى عملا   لك من نتاج الفضل والبر
لم تمهلي حتى نرى ولدا   لك يرتجى للنفع والضر
فلايّ معنى جئت من عدم   ولاي معنى بتّ في القبر

فائن ذهبت وما تركتِ لنا   غير الاسى ومرارة الذكر
فليُسلِ امك ان روحك في   دار النعيم وجنة البشر

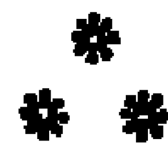
ايار (مايو) ٩٠٤



بكاء

على فقيدة الصبى والكمال المرحومة ماري سبع

أبكي شبابك والجمالا   أبكي كمالكِ والخِلالا
أبكي زماناً لم يطُلْ   حتى خبا نجمٌ وزالا
أعفا مثالك غيرَ ما   ابقت لنا الذكرى مثالا
وعفا حديث كان في   اسماعنا سحراً حلالا
وعفا ذكاءٌ باهر   يجلو الظلام اذا تلالا
كالنور في بلّورة   حسناء يشتعل اشتعالا
افناكِ إحراقاً واطفأهُ   فؤادك حين سالا



أبكي لطفلتك التي   حمّلتها الكُرَب الثقالا
أيتمتِها كرهاً ولم   تشفي الحشى منها وصالا
اودعتها الصدر الذي   ربّاك من قبلٍ وعالا
ولغير خمسٍ ما رأيتِ   على محياها الهلالا
يا ويلها تبكي كمن   تأسى وتضحك كالجذالى
فاذا بكت فلفقدها   رفق الاميمة والدلالا
واذا تسرُّ فقد ترى   لك جنب مضجعها خيالا

***

أبكي لامكِ وهي ثكلى لا تقاس الى الثكالى
فقدت بكِ الآمال واستبقت شجوناً واعتلالا
فقدت شباباً ثانياً بك وانطوت حالاً فحالا
ابكي لوالدك الذي زادته غربته نكالا
في آلهِ لكن ببعدكِ لا يرى وطناً وآلا
ابكي لبعلٍ قد اصيب بخير شطريه انفصالا
كانت لياليه قصاراً فاغتدت سوداً طوالا
لم يُطوَ ثوبُ زفافه حتى تبدّل واستحالا

***

هذي العروس فوسّعوا لمرور موكبها المجالا
هذي اريكتها يطوف العالمون بها احتفالا
هذي صوافنُ عزّها تمشي وتختال اختيالا
ايهاً الى اين المسير وما الذي يبكي الرجالا
اليوم قد صارت الى النعمى وقد طابت مآلا
صوغوا لرقدتها من الازهار مهداً لا يُغالى
ودعوا المحيا في الضياء ولا تواروه الرمالا
غبنٌ على هذي العيون تماض بالترب اكتحالا

ايار (مايو) سنة ١٩٠٤

اول الجمال

جمال النفس



نصيحة كتبها الناظم لحسناء كانت تسيء القول في حسناء مثلها توفاها الله

لا تغاري من حسنها الملحودِ　　وشبابٍ في شرخه مفقودِ
وارحميها كرحمتي واذكريها　　بعد هذا المصاب ذكر ودود
واحذري ان تبوح عيناك يوماً　　للمريدين عن فؤادٍ حسود
فمن الغبن ان تشف اللآلي　　وهي غراء عن نكاتٍ[1] سود
ومن النقص في جلالة ندّ[2]　　ان يرى نده بعين حقود
ومقالاة[3] غادة لسواها　　كاعتراف منها لها بمزيد
خلت الارض كلها لك ارثاً　　فاملكي ملك سيد لمسود
وارفعي في الاحزاب راية جمع　　بين حسن باقٍ ونجم سعيد
فلقد شذت المحبين عنها　　ما انطوى من لوائها المنكود
ودعي الميتة العزيزة تسلى　　في سلام واستمتعي بالوجود
لك ماهيّ من الصبى والتصابي　　فاغنميه الى مدى محدود

حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٤



(١) نقط　(٢) الخصم الكفؤ لخصمه　(٣) مباغضة

رثاء

للمغفور له

الوزير الفارس الشاعر محمود باشا سامي البارودي

مصابك حياً عرا جعفرا وخطبك ميتاً عرا قيصرا
رزئناك لم يغن منك البيان ولم يعصم الجاه ان تقبرا
وهذي النهاية عقبى النهى وذاك الثراء لهذا الثرى
وغاية مجدك في العالمين اذا عرفوا الفضل ان تشكرا
وآخر بأسك ان يعتدى عليك دفيناً وان يفترى[1]
أيهتك عنها قميص المروءة تحت البلى منع ان تسترا
وتثوي المروءة في دارهم وترضى المروءة ان تذكرا
كذا انكشف الدهر للناس فيك عن قاهر عزّ ان يقهرا
حليم تراكا باقباله ضروب دراكا متى أدبرا
لامر صفا لك حين صفا وكدّر وردك اذ كدرا
يقول باحداثه الواعظات لمن همّ بالزهو أطرق كرى[2]

* * *

حباك زماناً بجاه الملوك وبطش الاساطين مستوزرا
ونخر الغزاة قروم السرايا وفكر الهداة نجوم السرى

---

(١) اشارة الى اناس طعنوا عليه بعد وفاته (٢) مثل ضربته العرب للخفض من كبرياء المتكبر

وعزمٍ يكون على امة قتاماً وفي امة نيرا
فكنت كما تبتغي عزةً وكنت كما ترتضي مظهرا
وكنت معاً فارساً شاعراً وكنت معاً نَدُسا قسورا
جميعَ المزايا فما للبيان وما للغياث وما للقرى
نظيرك مبتكراً مبدعاً شهابا سنياً ندى ممطرا
نظمتَ المعاليَ نظم المعاني ففتح الكلام كفتح القرى
وطعن السنان كنفث اليراع وكلهما بالنهى حبّرا
وضم الجيوش كنسق القريض وتقسيمهِ أشطراً اشطرا
وسهل القتال كطرس به يسطر بأسك ما سطرا
بنقط الجماجم إعجامُه وإهماله جوبهُ مقفرا
وتقويفه بنعال الجياد وتدبيجه بدمٍ أحمرا
فياغازياً ذاك اعجازه ويا ناظماً ذاك ما صورا
أتتك من الكلم الذاكيات تسيل النفوس بها انهرا
شقائقُ آياتك الناديات رحيقاً من الانس او كوثرا
أم الصافياتِ شوافي الاوام بما تحتها من زلال جرى
أم الجاليات يبنّ لنا من الغيب كل ضمير سرى
أم المطربات يشنفننا بشدو الهزار وقد بكّرا
أم المرسلات هدًى للانام حقائقُ مودعة جوهرا
فهل كان افرسَ منك فتًى وهل كان منك فتى اشعرا
كلا المفخرين يراعاً وسيفاً دعا تاجه لك مستأثرا
فتاج عصاك وتاج علاك وكان الاحقّ بأن يؤثرا

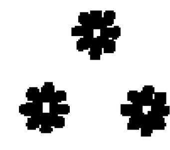
***

فلما رقيتَ الى المنتهى وكدت تجاوز ما قدرا
رماك الزمان باحداثهِ مجيشةً فانبرت وانبرى
أبان المحبين والآل عنك واقصى الموالي والعسكرا
واسكت افراسك الصاهلات واصمت صمصامك الابترا
وأخرس من قال لله انت وابكم حولك مَن كبّرا
وسكّن روع الفلا مجفلات وامّن شاخها اصعرا
ونفّس كرب الظبا لافتات وروّح ايلها اصورا
والوى عليك فادمى واصلى وصال وطال وما اقصرا

***

رمى بك في السجن من حالق اليفَ الجناة طريح العرا
والحن جرحاً فاقصاك عن ثرى مصر مجتنباً مزدرى
وزادك ضيماً فحجب عن عيونك ضوء الضحى مسفرا
وجاز النكال فأردى ابنتيك كما يذبح الذبح أو انكرا
ولكن أبى لك ذاك الاباء الاّ الثبات وان تصبرا
وهل في الابى غير صدع الحشى وتدمية الجفن مستعبرا
وتهوينِ نفس لدى خصمها بلا طائل غير ان تصغرا
فلم تنتقصك العوادي ولكن اعادتك محنتها اكبرا
ورد بياضُ المشيب ثناءك اجلى بهاء وقد طهرا
فما كان سجنك الا قراراً وقد تعب الجند ان يسهرا

ولا النفي الا خلاءٌ أعدتَ — به زمن الادب الأزهرا
ولا الثكلُ الا لتأسى أساك — وتبكي بكاء ليوث الشرى
ولا الغضُّ عما تراه العيون — الاَّ وقد ساءَ ان يُنظرا
اذا وسع الكَونَ فكر امرىء — فلا بأس بالطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهديَ المبصرين — وليس على الشمس ان تبصرا



فيا جسم محمود بت في سكون — ويا عين نامي وفاكِ الكرى
ويا فكرَهُ كم نشدت العلى — بلغت مداها فما ذا ترى
اطِلّ على هـذه الـكائنات — من حيث أنت باسمى الذرى
اتنظر غـير فضاء رحيب — تحاكي النجوم به المثيرا
وتسمع غير شبيه الحفيف — لما اصطك منها وما كوّرا
فقل صامتاً واشر مائتاً — لمن تاه في الارض واستكبرا
علامَ تباذَخُ هذي الجبال — وفيمَ تشامُخُ هـذا الورى

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٥



الطفل الطاهر

« والحق الظاهر »

تزوج فتى اديب عاقل في مصر زواجاً شرعياً على مذهب مسيحي غير المذهب الذي وُلد عليه لاسباب لا محل لتفصيلها هنا فشق ذلك على رئيس المذهب الذي انتقل منه ذلك الشاب وبحث عن وسيلة للانتقام فوجد نقصاً في الصيغة التي تم عليها ذلك الزواج وشرع يقلق الحكومة و يستثير الجمهور لنقض ذلك العقد فاستشفع الناظم لدى ذلك الرئيس براحم الدين الحقيقي الذي علمه المسيح و بكل ما يلين الجماد من المؤثرات الانسانية واستسمحه على الخصوص لجنين بريء يلحق بهِ العار الخالد لو ابطل زواج والديه. فابى العاتي واصرّ على عناده ثم نصر الله العدل وثبتت صحة العقد ورزق الفتى على أثر تلك المحنة غلاماً ذكراً آيةً في الجمال فقال الناظم يهنئه و يشير الى قصته

لكَ يا وليدُ تحيةُ الاحرارِ   كتحية الجنات والاطيارِ
في جنى شعر من الاشعار

اقبلتَ وجهُك بالطهارة ابلجُ   والوقت طلْق والربيع مدبجُ
والشمس ساكبة سيول نضار

آيات حسن لم يكنَّ مظاهرا   للسعد فيك ولاضُربن بشائرا
لكنهن عرضن في التسيار

لو كان بيتُ امارة لك منبتاً   لاجلّت الدنيا ولادك من فتًى
وسرى بشير البرق في الأمصار

ولقال راجٍ ان يثاب بما افترى   تلك العلائم في السماء وفي الثرى
من شدة الاعظام والاكبار

لكن ولدتَ كما اتيح وما درى ... احد الانام لايّ امرٍ قُدِّرا
اعددتَ منذ بداءة الاعصار

سرٌّ .. وكلُّ ابنٍ لانثى يولد ... سرٌّ لهذا الناس يكشفه الغد
عما تكنُّ مشيئة الاقدار

عن سائم بين الرعية ضائع ... او كوكب ما حي الكواكب ساطع
متكامل في السير كالاقمار

ما حكمة الرحمن فيك أتنجلي ... عن آخرٍ في القوم ام عن اول
عن مُحجم ام مقدم مغوار

فلئن سموتَ الى مقام امارةٍ ... يوما فعيسى كان طفل مغارةٍ
ورضيعَ رائمة[1] من الابقار

واحقُّ ما حقّ العلاء لنائل ... ما نلتهُ من همة وفضائل
عن كابرين من الاصول كبار

ما لي وما لأبيك اطرئه[2] فما ... هي شيمتي وابوك لا يعنيه ما
يروي الورى عنه من الاخبار

وهو السعيد بان امك اهلهُ[3] ... المزدهي عُجباً بانك نجله
وكفاه ملك رضًى وتاج فخار

***

---

(١) ذات حنوّ (٢) امدحه (٣) قرينته

فسرور كل مهنّاء بك لم يكن الا بذاتك ان تعزّ وان تهنْ
يا طفلُ في مستقبل الادهار

يرجون ان تحيا وان لم تنبغِ لا يبتغون لك الذي قد تبتغي
فيما يلي من باذخ الاخطار

امنيةُ الآباء لا يعدونها وهي التي للطفل يرتقدونها[1] .
من فضل خالقه بلا استكثار

وسوى الحياة من المنى يدعونه لله يقضي في الوليد شؤونه
نحساً واسعادا قضاء خيار

فهو الذي يعلي العلي القادرا وهو الذي يضع الوضيع الصاغرا
لطفاً لما يبغي من الاوطار

ان شاء جاء الطفل في ميقاته فشأى[2] بني اوطانه ولداته[3]
وسماهمُ واضاء كالسيار

او شاء خالف وقته فذكاؤه كلظى الحريق شبوبُه وضياؤه
للبؤس لا لِقرى[4] ولا لمُنار

* * *

ولقد شفى منا قدومك حسرةً واقرّ اعين والديك مسرةً
أن كان في متفتّح النوار

(١) يلتمسونها (٢) سبق (٣) اقرانه في السنّ (٤) لضيافة ولا لإنارة

حيث الرياض تظاهرت بَهجاتها فتفتقت مسرورةً مهجاتها
عن غرّ ازهار وغر ثمار

فجميعكم متهالٌ في كمّه متناول ألبانه من امه
سُمَحاء بين مراضع وصغار

الام تغذو طفلها من ضرعها والارض تغذو امه من زرعها
والكلُّ عيلة رازق غفار

فعلامَ من دون الازاهر أتهما ابواك ياهذا الصبيُّ وان هما
الا كهذا النبت في الإزهار

ايُّ القسوس اتى النبات فزوجا بعضاً لبعض بالنشيد لينتجا
في « صيغة » نسلاً من الاخيار

هل ساجع الايكات حين يغرد في ذلك الريش الملوّن سيّد
يشدو ليجعلها من الأبرار

وهل الرياح يعيبها ان تحملا نسم الهوى الذَوريّ من ذكر الى
انثى تلقحها من الاشجار

ومَن الذي يرمي السوابح بالخنا ويرى مناسلة السباع من الزنا
ومو الداتِ الطير في الاوكار

هن استبحن اناثهن بلا نهى والمرء فرق باختيار بينها
ليكون صاحب أسرة وذراري

سن العفاف كما ارتآهُ فضيلةً ودعا الخلاف نقيصةً ورذيلة
فيما اقتضاهُ خُلق الاستئثارِ

ناط الزواجَ بصيغة تتعدد اشكالها عدد الطوائف يقصد
حفظ النظام بها وصون الدار

فاذا اصطفى ماشاء من أعراضها وجرى على المرعيّ من اغراضها
فهناك ايُّ معرَّة وخسار

قالوا اتى . . نكراً ونكرٌ قولهم لولا سفاهتهم ولولا طوَلهم
ما خيَّمت رِيَب على اطهار

دفع ادعاءهم وابطل زعمَهم زمن طوى تحت الغباوة ظلمَهم
واماط[1] ستر الزهد عن تجار

*
* *

يا طفلُ قلّب طرفك المترددا اوَماترى شبحاً عبوساً اسودا
متجسساً لك من وراء ستار

هـذا اساء اليك قبل المولد وجنى عليك جناية المتعمد
ومن السماء دعاك صوب النار

زعم الإلهَ يريد مثلك مذنباً من يومه ومعاقَباً ومعذباً
في الغيب قبل مظنَّـة وسِرار[2]

(١) كشف (٢) اول ظهور الهلال

أُنظرْه للافناء نِظرةَ كوكبِ   أُمدُدْ يداً وأشرْ لذاك الغيهب
يتلاشَ عنك ممزَّقاً بشرار

لكن اراك تبشُّ بشَّة سامح   واراك ترمقه بعين الصافح
ما للهلال وللسحاب الساري

* * *

رسلَ المسيح الشاربين دماءه   الآكلين بلا تقى احشاءه
المولمين عليه كلَّ نهار

افذ بحكم ذاك الذبيح لفدية   ام تلك مأساة تعاد لكدية
ام ذاك مصطبح ورشف عقار

ما اجمل الصلاح منكم خلّةً   ما ابشع الظلاَّم منكم فعلةً
اذ ينقمون وما لهم من ثارِ

الله اوحى فكرةً هي دينه   فمن اهتدى هي نورهُ ويقينه
او ضلَّ فليُبحِرِ بغير منارِ

نزلت على الفادي الامين الشافع   كلماً ثلاثا تحت لفظ جامع
قدسية النفحات والآثارِ

الحبُّ في المعنى العميم الكامل   معنى المراحم والفداء الشامل
بالبرِّ للاعداء والانصارِ

والعدل يقضي بالخراج لقيصرا والصفح عن كلٍّ يسيء من الورى
هذي ديانته بلا انكارِ

التي مبادئها وكلاً خوّلا تعليمها ونفى الرئاسة والعلى
منها ونزهها عن الإسرار

واراد كم لتعلموا وتبشروا واراد كم لتسامحوا ولتغفروا
ودعا الصغار اليه باستئثار

فنذرتم لله بطناً مشبعا ويداً اذا مدت فكيما تجمعا
وعقيرة[1] « للشجب[2] » والانذار

وزهدتم في غير ما ترضونهُ ورغبتمُ عن كل ما تأبونهُ
الا على قدر من الاظهار

وقسمتم دين المسيح مذاهبا تستكثرون مراتباً ومناصبا
فاضيع بين تشتت الافكار

وجعلتم الكهنوت جيشاً غالبا واقمتموه على الضمير مراقبا
وقتلتم حرية « المختار[3] »

ومضيتم في الغيّ حتى نلتم في بعض وهمكم الجنينَ وقلتم
هذا البريء رهينة للعار

---

(١) لساناً (٢) من مصطلحات الكنيسة بمعنى التعزيز (٣) لفظة دينية يراد بها ان الانسان خلق حرًّا مخيرا

الطفل تمثال الطهارة في الورى وهو التقي وهو العفاف مصوَّرا
في عالم الآثام والاوزار

وهو الرهينة للمصائب والردى افليس يكفي ما سيلقاهُ غدا
حتى يذال ويبتلى بشنار[1]

* * *

يا مَن عرفتُ وكان قساً صالحا عدلاً كما يرضى المسيح مسامحا
متبتل الاعلان والاسرار

متجرداً عن عزه وشبابه وهناء عيشته ولهو صحابه
متنعماً بالزهد والاعسار

يَهدي الانام بقوله وبفعله مسترشداً في الريب حكمة عقله
ليرى مؤدى النصّ باستبصار

متجنبَ التحريم فيه حيثما تنبو قوى الادراك عنه فربما
افضى الى التنفير والايغار

متوفراً للخير جهدَ نشاطه يفني ولا يُفني قوى استنباطه
لبلوغ قدر فائق الاقدار

متردياً مسحا كثيفاً شائكا[2] مخشوشناً يجد اللذاذة فاركا
ويرى الخيانة طبعة الدينار

(١) يهان ويعاب (٢) يشوك لابسه

قم من ضريحك بالبِلي متلففا　　واخزِ الطغاة المفسدين وقل كفى
سَرَفاً[1] بهذا البغي والاصرار

لا تنقضوا بيتاً لدى تكوينه　　وحذار من يتم الصغير بدينه
وحذارِ من يأس الهضيم[2] حذار

هذي المذاهب كلها دينُ الهدى　　كاشعة الشمس افترقن الى مدى
والملتقى في مصدر الانوار

*
* *

يا طفلُ انك للفضيلة معبدُ　　فلديك اركع بالضمير واسجدُ
للصانع المتكبر الجبار

اجثو لديك وابتغي متخشعا　　منك ابتساماً يا ملاكُ ليقشعا
عني مكايدَ دهريَ الغدار

ولقد صفحتَ فكان صفحك اجملا　　عمن ابوا الا الاذى لك والقلى[3]
حتى ارابوا في سماح البارى

نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٥



(١) اسرافاً　　(٢) المظلوم　　(٣) البغضاء

نفحة الزهر

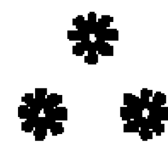
انشدت في زفاف السيدة المهذبة الفاضلة اديل كريمة صاحب العزة السرّي حبيب بك زنانيري على حضرة الوجيه يوسف افندي طعمه

باسم المليكة في الازاهر ذات الجلالة والبهاء
يهدي اليك بيان شاعر اذكى التهانئ والدعاء

***

أنظريها تجديها زَهَرَا واقرئيها تجديها فِكرا
تلك اشباهُ المنى في لطفها لبست حسناً فجاءت صورا
من غذاء النور من سقي الندى من حنوّ الليل من ضمّ الثرى
من هزيز الريح في تسيارها من مناغاة الدراري في السرى
خرّدٌ الروض ملاحٌ زانها خفرُ الطهر وزِنْ الخفرا
ليس يدري من يرى اشكالها ويرى الوانها والحِبرا
ايرى في البعض منها شفقاً ام يرى في البعض منها سحرا
ام يرى الكُمَّ سروراً نابتاً ام يرى النوّار نوراً عطِرا
انما الزهرة خلق عجب فطرة سمحاء تسمو الفطَرا
خلقت للخير خلقاً صافياً جاوز الضيمَ وفاق الغِيَرا
شأنها تضحيةُ النفس ولا شيء غير النفع تبغي وطرا
شيمةٌ فاديةٌ شرّفها شاربُ الموت فداءً للورى
فلغير الحب ذابت ذهباً حين تأسى او تذكّت مجمرا
ولغير الفخر حلاها الندى ولغير الذكر فاحت عنبرا
وسمت ان تتباهى وابت ان يُطيل الناسُ عنها السِيَرا

مَـن دعاها عادلاً او ظالماً للمروآت دعا مبتدرا
فلمن جاورَ اهدت نفحة ولمن طالعَ اسدت منظرا
واباحت عنقها مَن يبتغي سلوة او زينة او مظهرا
هي انسُ المرء في وحشته وهي الصفو له ان كدرا
وهي القُبلة في مرشف من شاقه لثمُ حبيبٍ هجرا
وهي النفحة يستشفي بها من تلظي وجدهِ من زفرا
وهي التُحفة في العرس لمن آثر المهرَ الاحبّ الاطهرا



قالت الوردة ذات النهي والامرِ
في الزهرِ
يا وصيفاتي بنات النور والقطر
في الفجر
اختنا شمس البنات الخرّد الزُهر
في العصر
من غدٍ تبرح خدرالكاعب البكر
في طهر
وتوافي دار بعل صادق حرّ
في نفرٍ
انا اهواها وتهوانيَ في الجهر
والسر

أسعفيني يا اخيات الهوى العذري .
في امري

ننتظمْ في شبه تاج باهر يزري
بالدرّ

ونكنّ ابهى هدايا الودّ والذكر
في المهر

للمفدّاة عروس الحسن والشعر .
في مصر

***

سُرّت الازهار لما سمعت ذلك النطق الذكيّ الاذفرا[1]
واستقرّت ليلها هاجعة فرأت حلماً جميلاً في الكرى
ابصرت عرساً بهيجاً حافلاً جامعاً من كل جيلٍ معشرا
عقد العطر سحاباً ناصعاً[2] فاشياً بينهم منتشرا
تلمع الانوار في اثنائه وتباهي الوجناتُ الغررا
ولحاظ القوم فيه تلتقي مرسِلات اسهماً او شررا
فتية مرد وشيبٌ تركت كرّة الدهر عليهم اثرا
وحسان مسنَ اغصاناً ولم تكد الاوراق تخفي الثمرا
في جلابيب سرور وعلى كل وجهٍ نجمُ سعد سفرا
تجلي فيهم عروسٌ ملَك تحجب العفة عنها النظرا

---

(١) العَطِر (٢) ابيض زاهياً

بين اتراب حواليها كما صحبت غرُّ النجوم القمرا
مجمعٌ يحفل مهتزاً لها فرِحاً في عيدها مستبشرا

***

ظلّت الرؤيا الى ان لمست راحة الفجر الدجى فانحسرا(١)
وجلت عن يوم صفو شائق ذلك الستر المشوبَ الاغبرا
فتغنى الطير تبشيراً به وكسى الافق الرداء الازهرا
وبنات الروض وافينَ الى محضر العرس فزنّ المحضرا
جئنَ قرباناً وكلٌّ وَهَبَتْ ربّةَ الدار صباها الانضرا
ودعت كلٌّ بسعدٍ دائم للعروسين دعاءً مضمَرا

***

قالت الوردة يا شاعرنا اننا اخترناك دون الشعرا
أتلُ عنا ما اذعناه شذاً وابتساماً(٢) . . . . فتلا مؤتمِرا

***

باسم المليكة في الازاهرْ ذاتِ الجلالة والبهاء
يهدي اليك بيانُ شاعر اذكى التهاني والدعاء

حزيران (يونيو) ١٩٠٥



---

(١) انكشف (٢) برائحة العطر والابتسام

عيد العمر

« تليت في زفاف الكاتب الالمعي المجيد ايوب افندي كميد على الآنسة سلمى مسك »

ميلي دلالاً يا عروس ونقّلي — قدميك ما بين الغصون المورقه
ولتعقد الازهــار فوقكِ تاجهـا — وليضرب الريحان حولكِ منطقه
ولتكشف الظلمات حتى لا نرى — الاّ شموساً او نجوماً مشرقه
اليومَ موعدُ ذلك العيد الذي — يقف الزمانـ هنيهةً ليحققّه
فالكونُ بيتٌ والوجود مسرّة — والسعد في كأسين خمرهما المِقه[1]
نفيَ القياس الى سويعاتٍ فلا — حـدٌ لدار رحبة او ضيقّه
وتخلت الاجرام عن اوزانها — فكأنهـا من كلٍّ قيد مطلقه
فتنعمي بولاء بعل حازم — برٍّ بمن يهواهُ وافٍ موثقه
كوني اذا استوحى العروس لشعره — واذا استنار النجمةَ المتألقهْ
واستكملي في نور صبوّته كما — شاء الصبى تلك الصفات المونقه[2]
ان الجميلة تستزيد جمالهـا — بقرانها ثمّاً وتجلو رونقه
كالزهرة الحسناء تمسي دُرّةً[3] — في غصن عفتها وتصبح زنبقه

حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٥



(١) الحبّ (٢) الجميلة (٣) هكذا زهر الزنبق قبل تنويره يكون كالدرّ

في شحاذ

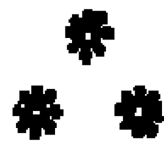
شكت عارضاً في الجفن ناء بحمله ... يشاكل تحت الهدب عالقةَ الحَب[1]
فقالت لحاهُ الله ضيفاً مشوّهاً ... يسمونه الشحاذ في لغة الطب
فقلت لهـا عطفاً عليه وان جنى ... نعم هو شحّاذ ولكنه قلبي
فقالت وماذا يبتغي فاجبتُهـا ... سما يستجير الطرفَ من ألم الضرب



الى الاخ العزيز

« صاحب السعادة احمد بك شوقي

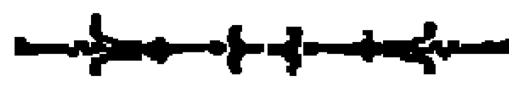
اطلتَ نأيك عني ... وسُمتَني البعد شهرا
الشهر بعض الليالي ... وربمـا كان عمرا
كم في تداول شهر ... يجدّد الله أمـرا
كم أمّة تتسامى ... في حين تسقط اخرى
كم ليلة تتقضى ... وليس تعقب فجرا
كم حالة يتوالى ... ما ساء منهـا وسرّا
كم ازمة تتولّى ... فتتبع العسر يسرا



(١) يشبه حبة معلقة بالجفن

السِتَّ في الشهر تشدو   صوتاً فتطرب دهرا
كم في ثلاثين يوماً   اكسبتَ مصرك فخرا
كم صغت آية وحي.   يعيدها الناس شعرا
وكم بعثت حياة   في قلب صخر فدرّا
وكم نسفت بناءً   للظالمين فخرّا
وكم بكيت فابكيت   واديَ النيل نهرا
وكم حثثت فاذكيت   مزبد الماء جمرا
وكم رفعت لقوم   ذكراً وقوّضت ذكرا
في نادياتٍ ذواكٍ   لاتعقب الشَرْب[1] سكرا
من القوافي اللواتي   مائنَ انساً وسحرا
ترقُّ فيها فتصفو   نوراً وتخلص نَشْرا[2]
فيا اخا الودّ حسبي   أسًى وحسبك هجرا
ان كنت تخبر صبري   لم يبقِ لي الشوق صبرا
او تبتغي ليَ اجرا   كفى بما فات اجرا

تموز (لوليو) سنة ٩٠٥



(١) الشاربين (٢) عطرا

امس واليوم

« رثاء »

لفقيد الفضل والعلم المرحوم نقولا توما

وقف الزمان فما لوعدك موعدُ . وعفـا المكان فما لعهدك معهـدُ
هي طلمة لك في الحياة وغيبة كالظل اذ يبدو واذ يتبدد
بالامس كنتَ وامس في افق التقى شُقَّ الحجاب فكان منك المولد
بالامس كنتَ وانت طفل لاعب طيراً يباكر ايكه ويغرد
بالامس كنتَ اليانع الفطن الذي يشدو المعارف شدوهنَّ وينشدُ
بالامس طلاباً لغايات العلى يدنو لهمتـك المرام الابعـدُ
بالامس مفتتحَ الصحافة حرَّةً طابت مراشفها وراق الموردُ
بالأمس ذوّاداً عن الضعفاء لا تألوا جهاداً والحفـائظ تجهدُ
بالامس كفاً في القضاء جريئةً تستعدلُ الميزانَ وهو مأود
بالامس وحيـاً خاطباً او كاتباً فالسمع يطرب والنهى تسترشدُ
بالامس مقداماً لقومك حازماً تبني لهم مغنى علًى وتوطدُ
بالامس بذَّال العوارفْ والندى حتى ترى لك عند كل يد يد
بالامس موفورَ الهنـاء مبـاركاً في عيلة للمجد فيهـا مقصد
يرجو تعددك الورى بعديدها وتقر عين الجود ان يتعددوا
بالامس كنتَ وكان ذلك كله واليوم . . لا امسٌ غدوتَ ولا غد
اليوم مَن شاء الحكيم المقتدي فينـا ومن شاء الزعيم السيد

اليوم لا توما ولا كتبٌ ولا   خطب ولا مِدَح اليه تُردَّد
اليوم لا جدوى ولا مجدٍ ولا   دارٌ تؤممها العفاة فتسعد
اليوم لا رجل يقال هو الفتى   وحمى يشار اليه هذا المرفد
اليوم ان جار الزمان لجائرٌ   ذهبَ الذي بجنابه يستنجد
اليوم ان يدعُ الصديقُ صديقه   صمٌّ الندى والبِرُّ اعشى ارمد
قد مات رحب الصدر رحب العقل   رحب الراحة الغوث الملاذ الايّد
مات الذكيّ الالمعيّ وهذه   آثاره بالفضل منه تشهد
مات الودود الاريحيّ ولم يخب   يوماً لديه الصاحب المتوددُ
مات النقيُّ خفاؤه وظهوره   مات الوفيُّ مغيبه والمشهد
في غربة قفراء لم يُلمِمْ به   سكن هناك ولم يعده العوّد
(افيان[1]) انى خنتِ ضيفاً لا تذاً   فتركته تحت المباضع يقصد
وافاك يستشفي بماء نافع   فاعدتِه لحماه ميتاً يلحد
لكن جارَ الغرب جارُ غروبه   ناهيك وهو من المشارق فرقد[2]
فدحَ المصاب ولا اعتراض فانه   حكم القدير وهل لنا فيه يد
يا ربِّ سلمنا وان فطرت اسىً   منا حشاشات وشقت اكبُد
صرّف قضاءك في العباد فانهم   ركب الفناء وانت انت السرمد
الشمس طالعةً بفضلك تجلي   والشمس غاربةً لمدلك تسجد

تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٥



(١) اسم البلدة التي مات فيها مستشفياً في فرنسا (٢) اراد ان النجم الذي يطلع في الشرق وينتهي الى الغرب يغرب فيه

تحية اكرام

« لمحسنة كبيرة زارت مجتمعاً لمواطنيها السوريين »

سيداتي وسادتي الاكرمينا ... ان أذنتم تفضلاً ان اكونا
نائباً عنكم وعن نادينا ... لاحيّي الضيف العزيز المصونا

قلتُ يا ربة الجمال النضير ... ومثالَ العفاف بين الحور
انتِ شرفتنا بهذا الحضور ... انتمُ بالحضور شرفتمونا

فلئن خاطبناكِ بالإفراد ... فهو حق الافاضل الأَفراد
او بجمعٍ فقد عنينا الايادي ... والمروآت والصفات العيونا

زرتنيا والربيعَ اهلاً وسهلاً ... بعديل الشباب معنى وشكلاً
وعروس الربيع حسناً وفضلاً ... اذ تجلت كوردة الروض فينا

بين قوم بني حمًى وعشيره ... أَبَواهم كبيرهم والكبيره
قمتِ فيهم اختاً لهم واميره ... ذات تاج من ادمع البائسينا

اوَلستِ التي تعزّي الحزينا ... وتعول الفقير والمسكينا
وتربّي الصغار للمعوزينا ... وتراهم ولداً لها وبنينا

قد أنلت الشآم منكِ جميلا ... احرزت منه مصر حظاً جميلا
هكذا القَطرُ حين يسقي الحقولا ... يُتحف الناشقين والمجتنينا

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٦



﴿ بيتان اقترحا على الناظم في الثناء على المطرب الشهير ﴾
عبد الحيّ في مجتمع اخوان ادباء بمنزل الدكتور عبد العزيز بك نظمي

فدى لك عبدَ الحيّ في الصحب منشداً ... فقيدٌ مضى عنا وما زال عهدُهُ
مضى وبك استبقى مقرّاً لروحه ... وما دام عبد الحيّ ما مات عبدُهُ



تاريخ

لسليلة المجد كريمة السريّ الامثل احمد بك يكن

سرّت بني يكن الكرام سليلةٌ ... من خير والدةٍ ومن اسمى أبٍ
ولدت لاحمد نجل اسمعيل في ... ليل انارته انارة كوكب
أبشيرَ انباء السعود مؤرخاً ... أنبئْ وبشّرْ بالاميرة زينبِ

سنة ١٣٢٤



اجتماع نورين

بيتان ارسلها الناظم الى صديقه السريّ اسكندر افندي خوري يوم عقد خطبته
على الآنسة ماري مدوّر

لكما الحسنُ والصبى والتصابي ... فاغنماها الى زمانٍ طويلِ
وليكُنْ ملتقاكما كتلاقي ... شطرَي النور في شعاعٍ جميلِ

عنترة

انشدت في حفلة تكريم اقيمت لشكري غانم الشهير ناظم رواية عنترة بالفرنسوية

ماذا تصباكَ من حال تجدّدها عن عهد عنترةَ العبسيّ في القدمِ
وانت في بلد الأنوار[1] لا أثرٌ فيه يذكّر عصراً بات في الظُلَمِ
هل أُلفةٌ تجمع الروحين بارحةً هذا الوجود ومزجاةً من العدمِ[2]
وما اختيارُكَ عبداً محرباً خشناً من البداوة فظّ اللون والأدَمِ
مهيّماً بفتاةٍ بنتِ سادته يشكو هواهُ بمنظوم من الكلمِ
يحكي الحكاة لنا عنهُ توغّلَهُ في الفتك بالناس فتك الآكل النهمِ
ولينَهُ في تصابيهِ وغلظتَهُ في ملعب الموت بين السُمر والخذُمِ
فهو المتيم يستقضي لبانتهُ وهو المكافح حبَّ القتل والنقمِ
ذاك الذي قالهُ عنهُ الرواة فهل بدا مزيدٌ لفكر الباحث الفهِمِ

***

حيّاكَ ربك يا من قام ينصفهُ بالعلم من جهل سُمارٍ ومن تُهَمِ
ما كان عنترةٌ في القوم غيرَ فتىً يرى لهم ما يراه قادةُ الامم
ان امكنَ الحبَّ منه حين خلوتهِ فأسمع الناسَ فيهِ اشوق النغمِ
فانّ ما كان يبغيه لأمتهِ اسمى امانيّ حرٍّ غير متهمِ

---

(١) باريس (٢) هل هنالك سرّ ائتلاف يجمع حيناً بين روح فارقت هذا الوجود وروح قادمة اليه بعدها

سقى هـوى عبلةٍ من ماء ادمعه ... وكاد يروى الفلا من اجلهم بدمِ
والحبُّ أَلزَمُ للارواح ما عظمت ... وقد يكون لها ادعى الى العظَمِ
فان ظفرتَ بعزهاةٍ[1] ومنصبهُ ... في المالكين فتلك النفس في الخدمِ

* * *

أريتَنا من فتى عبسٍ حقيقته ... حقيقةَ المرء لم يوصم ولم يصمِ
حقيقةَ البدويِّ الحرِّ مبتغياً ... لقومه غيرَ باغٍ ألفة الرحِمِ
يهدي لعبلة ما يوحي الغرام له ... وللحقيقة وحيَ العزم والشممِ
وانما سؤله إعزاز موطنهِ ... وقومهِ باتحاد الرأي والهممِ
فان رنا وهلال الشهر مبتسمٌ ... حيَّاه من املٍ في الافق مبتسم
منـبِّيءٌ بسناه عن سنى قمرٍ[2] ... ماحي الظلام نبيٍّ حاطم الصنم

* * *

فيا معيداً الينا اليوم عنترةً ... في يقظة شابَهها لُطفٌ من الحُـلُمِ
بشبهِ ما جوَّدت نظماً قريحتهُ ... في خير ما جوَّدته ألسُنُ العجمِ
أريتَ من كان يرمينا بمنقصة ... انَّا بنو بجدة الإِفلاح انْ نَرُمِ
واننا القوم نستبقي مفاخرنا ... حتى تواتينا الاقدار من أَممِ
وان ما بين ماضينا وحاضرنا ... من العلاقة حبلاً غير منفصم

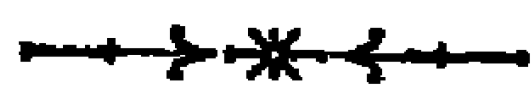
---

(١) رجل لا يحب

(٢) اشارة الى ان عنترة كان يرى تباشير النبوَّة واتحاد العرب على يد نبيهم الذي اخرجهم من الظلمات وحطم اصنامهم

وانّنا أمةٌ تهوي مواطنها حتى على الذكر من عادٍ ومن ارمِ
وانّ كل بيانٍ طوعُ خاطرنا ونحنُ اهل بيانِ السيف والقلمِ
وانّ كل فتىً منا بمفرده شملٌ جميع من الآداب والشيمِ
واننا لو تآلفنا لما عجزت بنا النهى عن مقام في العلى سَنِمِ
فيا سروراً بذكرٍ انت باعثهُ ويا أسىً لحيّ بالجهل منقسمِ

شباط (فبراير) ١٩٠٦



شيخ اثينه

وهو آخر نذير لها ايام انحلالها على ايدي الرومانيين ودخولها في اعمال دولتهم

الى الصديق النبيل المحامي الجليل محمود بك ابي النصر

يا عِبرة الدهر جاوزتِ المدى فينا حتى لَيأنف ان ننعاه ماضينا
فالسهل قد دفنت فيه معاقلنا والبحر قد فقدت فيه جوارينا
وانثلّ من عزّنا ما عزّ مطلبه واندكّ من مجدنا ما شاد بانينا
وعُـدّ ذنباً علينا ما يشرّفنا وعدّ رفعاً لنا ما بات يدنينا
فاز القويّ علينا في تضاؤلنا والحق اعلى . ولكن ليس يغنينا
لا فخر ان يغلب الاقوى مناضلَه بل ان يدين ضعيف مثلها دينا
يا دهر ان كنت لم تمهل شبيبتنا حتى ادلت انحطاطاً من معالينا
فانت خير مربٍّ للأولى جهلوا تجهلنا ان ترك الحزم يشقينا
فزد مصائبنا حتى تنبهنا تكنْ حياةً لنا من حيث تُرديـنا

وايرجع الصوم لا أجرٌ يصاحبه للصائمين على الذلّ المصلينا
ولا يعُدُّ عيد قربان أينفعنا ذبح النعاج واعدانا تضحينا
انا لنصبر حتى تستتم بنا تأديب ظلمك او نقضي مذلينا
فما نظن علاهم من شوامخهم ولا نرى خفضنا من خفض وادينا
لكن سقوا بدم الاكباد عزمهم وبات في صدإٍ الاغماد ماضينا
كانت عمالتنا الدنيا باجمعها والقول والفعل في الامصار ماشينا
اذا بروما رضيع الذئب جروتهِ شبّت ودبّت تبارينا وتبرينا
حتى رمتنا بدامي الظفر طاغيةٍ فتى دهاء وبأس جاء يفنينا
في فتية من بني الرومان قد ألفوا نار الوغى فحكوا فيها الشياطينا
أردوا عساكرنا اخلوا دساكرنا هدُّوا منائرنا طاغين باغينا
ولم يكن جندنا الا قساورةً ابلوا بلاء الصناديد الاشدينا
لكن صرفاً من المقدور غالبهم فما نجا منهم غير الاقلينا
ما بالنا بعد ان دكت مدينتنا وامتدّ حكم الاعادي في نواحينا
صرنا حيارى سكارى من تخاذلنا واسعفتهم يدانا في تلاشينا
واصبحت دارنا والكون تابعها مثوى لهم ومواليهم موالينا
تالله ما غلبونا حيث باسلنا قضى قتيلاً ونالوا من نواصينا
لكنهم غلبونا حين ملكهم ازمّة الامر شادينا وراضينا
فما همُ باعادينا . خلائقنا هي التي اصبحت اعدى اعادينا
اليوم روما هي الدنيا وصولتها تنافس الارض توطيداً وتمكينا
وما اثينة الا معقل خرِب نجيل اصفادنا فيه مذالينا

يا جهلُ يا خوفُ يا احقادُ ما فعلت بنا رزاياك تصغيراً وتهوين
هذي اثينتنا ذلّت اعزتها وتلك روما وهذا شأنها فين

مارس (آذار) ١٩٠٦



تشريف كتاب

« مرآة الايام »

باسم الجناب العالي

« عباس حلمي الثاني »

اذا لم يكن في دولة العلم حاجبٌ اميرَ النهى إِذناً فاني مخاطبُ
خطابَ فتىً يرعى مقامي جلالةٍ اعزُّهما ما لم تُنلك المناسب
احاتك منه اللوذعية منصباً على سَنَم تحطّ عنه المناصب
فيا ملكاً احيى به الله امة لها قبله آثار مجد عوازب
بعزم يميد الفدفد القحل روضة وحزم يفيض الماء والصخر ناضب
وعلمٍ كأن الصبح ينشر ضوءه فيبدو به الخافي وتجلى الغياهب
ورأيٍ كأن البرق مضرب حدّه تودُّ الظبي لو قلدته المضارب
اليك كتاباً فيه احييتُ ساهراً لياليَ كانت من دجاها النوائب
وقفتُ عليه سهدَ فكري ودونه مصائب تثنيني ودهر يحارب
شبابي من السقم المقيم أفدته وصبريَ مما اكسبتني المتاعب
لو الكوكب الدرّي وهو مساهري رأى ما اقاسي لاغتدى وهو شاحب

كتاب أعاني جمعه حيث خاطري شتيتٌ وبي شغل من الهمّ ناصب
دعاني له استكمال عهدك للمنى ونورك لي هاد وامرك غالب
فجاء قليلاً من قليل وانما توفّر فيه بحثه والمطالب
عتيقٌ معانيهِ جديد سياقه يعيد شباب الدهر والدهر شائب
يقصّ حديث الكون منذ ابتدائه وما أخلفت احداثه والتجارب
وتمثل اجيال الورى فيه باديًا خفيّ طواياها لدى من يراقب
هنالك اقوام تجيء وتنقضي وتتبعها اطوارها والمذاهب
ممالكُ تبنى بالصوارم والقنا وتهدمها اوزارها والمعايب
غرائب اديان وجنس ومشرب وخَلق واخلاق تليها غرائب
تمرّ ونور النقد يبدي خفيَّها سراعاً كما مرت ببدر سحائب
ولم ارَ شيئاً كالفضيلة ثابتاً نبت عنه آفات البلى والمعاطب
ومن يصطحبها كاصطحابك راشداً فانّ لهُ المجد المخلد صاحب
سيدري بنو الايام آخرَ دهرهم مناقب عباس ونعم المناقب
وتروى لهم عنه فِعال جميلة تضيء سماء الذكر منها كواكب
اطال لك الرحمن عهداً مباركاً فواتحه غنم لنا والعواقب
فحكمك شمس الحق فينا اضاءة وكلُّ مضيء ما سوى الحق كاذب
وفضلك فينا للفضائل منبتٌ مشارق مصر روضه والمغارب
فمن شاعرٌ منا فحمدك ناظم ومَن ناثرٌ منا فمجدك كاتب
متى تصدحِ الاطيار فالفجر صادحٌ وان تسكب الامطارُ فالبحر ساكب

حزيران (يونيه) ١٩٠٦

أنشودة

تليت في احدى الليالي السابقة لزفاف الصديق الوجيه الامثل اسكندر افندي خوري على الآنسة ماري كريمة حضرة الماجد جورج افندي مدوَّر

إضحكي يا جنان غردي يا طيور
ان هذا زمان تمَّ فيه السرور

***

تم فيه الصفاء وعدَّته الشجون
حيث فاز الوفاء بالعفاف المصون
بالعفاف المنير في سماء الفكَر
الذكيِّ العبير الجليِّ الاثر
المبين السنى من حجاب الخدور
مثل شمس دنا عهدها بالظهور

إضحكي يا جنان غردي يا طيور
ان هذا زمان تم فيه السرور

***

يا شقيق الفؤاد ووفيّ العهود
قد بلغت المراد ووفتك السعود

كن وهذي العروس في احب امتزاج
واشربا في الكؤوس سلسبيل الزواج

انميا واكثرا واملأا العالمين
واسعدا في الورى بخيار البنين

ايلول (ستمبر) ١٩٠٦

عرس قانا(١)

انشدت في الليلة الاخيرة وهي الليلة الكبرى لزفاف الصديق المشار اليه في القصيدة الآنفة

يا حسنها ساعةً من العُمرِ فريدةً في قلادةِ الدهرِ
لم يُرَ يوماً جمالُ مالكةٍ بمثلها من نفائس الدُّرِ
ساعة سعد يودّ شاهدها لو وقفت زُهرها فلا تسري
فاقت شبيهاتها الحسانَ بما خُصَّت به دونها من السرّ
في يوم قانا الجليل شرّفها فادي البرايا وغافرُ الوِزْرِ
اتمّ فيها هناء سُمّرها فأودع الماء نشوة الخمر
لحكمةٍ شاءها احلّ لهم شُربَ الطلى مَن نهى عن السكر

***

وحبذا هذه السلافةُ من عريقةِ الاصلِ حُرّة النشرِ
انظرْ اليها في كفّ كاهنها كانها ذائب من التبرِ

(١) هو العرس الذي اشير اليه في الانجيل وحوّل المسيح فيه الماء الى خمر
(٢) شبه ساعات تلك الليلة بالدرّ لنفاستها و بياضها

يسقى العروسان من محلّها رمزَ امتزاج العفاف والبرّ
وهذه في يدي مشعشعة بعثتها من غيابة القبر
من عهد قانا تسلسلت قدَماً ورُوّقت في مخابىء الدهر
روحُ سرورٍ في شبه لؤلؤةٍ ودمعُ فجرٍ بحُمرَة الجمر
أشربُها في هناء مَن شربا كأس الغرام المنزّه الحرّ
في سعد هذي العروس مشرقةً كالشمس لما بدت من الخدر
وسعدِ اسكندرٍ اعزّ فتىً زُفّت اليه عزيزة المهر
كلاهما كان كفوء صاحبه بنبعتيهِ ورفعةِ القدرِ

*
* *

يا دارُ تيهاً على الديار بما احرزتهِ من مظاهر الفخر
كم روضة اتحفتك تكرمةً بخير ما انبتت من الزهر
وكم كساك البهاء ضافيةً من نور شمس له ومن بدر
دومي على الدهر دارَ مكرمةٍ وصرح مجدٍ وملتقى بشر
ويا عروسان انّ اثبتَ ما يبنى بناءُ الوفاء بالطهر
فشيدا بيتَ رفعة وعُلى يكون بيتَ القصيد في العصر
واستمتعا بالرفاه واغتديا رأساً لسبط اعزّة كُثْر
يرتقب العصر ان يقلّدهم حيث تناطُ الحلى من الصدرِ
تصلح من امرهِ فضائلهم ما لم يكن صالحاً من الامر
فتنجلي ليلةُ الزمان بهم عن فجر نور وايّما فجر

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦



تحية الشعر

في زفاف حضرة الوجيه جورج افندي خليل زهار

على

الآنسة الفاضلة ريني زنانيري

كهذا القران قرانُ الكمالِ عُلىً في صِبىً ونُهى في جمالِ
وما زينـة الدار أبهج مما نرى لكما من بهيج الخِلالِ
رعى الله هذا اللقـاء لقـاء ارقّ النسـاء وأوفى الرجال
بمحضر انس زها نوره وتمت محـاسنه بالجـلال
هوًى فائح ما تُفيح الازاهرُ من نسمات الغرام الحـلال
وطهرٌ نفى الريب نفي الضياء مِن حوله جازعاتِ الظـلال
وعزٌ سنيّ كزهر النجوم مضيءٌ اضاءتها في الليـالي
محاسنُ لم تجتمع في نهار كهذا النهـار فقيدِ المثـال
بدت شمسه وهي غيثـه فكان بديع سنىً وانهمال
كأني بالشمس تذري الندى سروراً وبشرى بهذا الوصال
نهار جميل وعرس جميل وجمع جميـل كعقـد اللآلي
فيـا طائرَي جنّـة أُفلتـا وراحا يزومان رحب المجـال
خذا من طليق الهوى فسحةً وسـيرا مسيركما للمعـالي
الى السعد والمجـد صيرا معاً اليفي وفاء على كل حال

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٦

ترحيب

بعروسين عادا من سفر بعيد

ايهـا العائدان كلُّ حمى   دارُ أُنس وأُسرةٌ لهما
بسم الثغرُ حينما قَدِما   اذ تلاقى الربيعَ والديَما
وقِيانُ المُنى شدونَ بما   ردَّد القُطر رَجعَه نَغَما

مرحبا
مرحبا

فاجابت صوامتُ الأثرِ   والصفا الناطقاتُ بالعبَرِ
والرُبى من نتائج الفكرِ[1]   والدُمى[2] المحييات للحجرِ
والملوك الثاوون في السُرُرِ   والمعابيدُ[3] صَنْعَةُ البَشَرِ

مرحبا
مرحبا



تاريخ لمولود رزقه الصديق الحميم الماجد
عبد الله افندي غزاله

اللهُ أعطى عبـدَهُ   طفلاً ملاكاً كوكبا
قال البشيرُ مؤرِّخاً   جرجي غزالة مرحبا

(١) اشارة الى الاهرام   (٢) التماثيل   (٣) الآلهة

عودة ملك

تعزية في فقيدة العفاف والشباب المغفور لها

كريمة صاحب السعادة الهمام يوسف باشا طلعت

كم في العلى من طالع محجوبِ عنا وليس مغيبهُ بمغيبِ (١)
كانت فتاتك مثلهُ بظهورها وخفائها عن عين كل مريب
حيّت ببارقة ابتسام خدرَها وتقاصت كتبسم المحبوب
ما كان افجع رزءها واشدّ ما لطفت خلائقها على التعذيب
هذي عروس الامس باكرها الردى فهوت صريعاً وهي غير خضيب
عاشت ولم تُعرَف سوى حسناتها ومضت بلا وِزر ولا تثريب
اودى بها الثمر الذكيُّ وربما اودي الذكيُّ من الجنى برطيب
حملت جنيناً للفضائل والعلى يرجى لبذل ندى ودفع خطوب
فاقتصّ من آمال اسرتها بها دهر أليف مساوىء وذنوب
اسفاً عليها ان تزول وقلّ ان تبكى بدمع محاجر وقلوب
يا مَن ثكلتَ بها ابرّ كريمة لا تجزعنّ لحادث مكتوب
ان الذي صفّى وطهّر خلقها وخلالها من وصمة وعيوب
لِبرّة منهُ اصطفاك اباً لها حيناً فكن لله خير مُنيب

(١) ثبت في علم الهيئة ان بعض النجوم تطفأ ولكنها تلبث ظاهرةً للعيون لان نورها لا يصل الى الارض الا بعد سنين طويلة من ظهورها فاذا انطفأت لم ينقطع نورها الاّ بعد انقضاء مثل تلك السنين

هي دمعة ارسلتَها فاقلّها راقي الضياء الى سماء مُثيب
هي قَطرة من مهجة قدّمتَها طوعاً ففازت عنده بنصيب
هي نسمة[1] صعدتها فسمت الى عدنٍ وقد مزجت هناك بطيب

نيسان (ابريل) ١٩٠٦

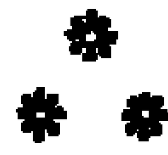


رثاء

للاستاذ علامة العصر ووحيد الدهر

الشيخ ابرهيم اليازجي

ربّ البيانِ وسيّدَ القلمِ وفّيتَ قسطكَ للعُلى فنَمِ
نمْ عن متاعبها الجسام وذَرْ[2] آلامَها غنماً لمغتنمِ
ما اصغرَ الدنيا وأحقرَها في جنْبِ ما للميْتِ من عِظَمِ
يُغضي وقد آذته دائبةً عن ذنبها إِغضاءةَ الكرمِ
ما اعجزَ الألسنِ الفصيح لدى ما في لسان الميتِ من بَكَمِ
ما اسخفَ العبراتِ ساكبةً والنعشُ يحجبُ وجهَ مبتسمِ



يا مَن بكت لفراقه أممٌ كانت به محسودةَ الامم
الآن جُزتَ الوهم مرتقياً والى الصوابِ خلَصتَ من حلُم

(١) مصدر مرّة من نَسَمَ (٢) دَعْ

أَكُنْ بلاغك يا حكيمُ وقلْ أَحياتنا خيرٌ من العدم
ام تلك أمٌّ غير عاقلة أمٌّ بلا قلب ولا رَحِمِ
أمٌّ تغذي من ولائدها رُمماً تمشيها على رمم

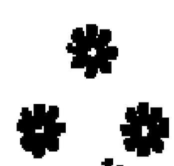
***

ما الخَلقُ هل أدركتَ غامضه وأزحتَ عنه غياهبَ الظُلَم
أجهدتَ فكركَ في تعقُّـله وصدرتَ عنه وارداً كظمي
ساءلتَ عنـهُ النجمَ مرتقباً وبحثتَ بين الحرف والرَقَمِ
وهوى بك الوادي مهاوِيَه ورنوتَ منُطاداً من القُممِ
تبغي الحقيقة ساعياً كلفاً من كل مطَّلب بلا سأم
اما النظامُ فكلهُ عجبٌ في الكون للمتبصر الفهم
التُرب للاجسام مصطنَعٌ ونواسمُ الارواح للنسم
ولكل جزء من دقائقها معنى كمعنى الكلّ لم يُرَم

***

لم تدرِ سرَّا للحيـاة ولا لخصومتيها البرءِ والسقم
ونزاعها المحيي المميتِ معاً بين الصفاء النزرِ والالم
سرٌّ لو أنَّ المرءَ يدركه عقلاً لشمتَ سناه من أمم
لكن رأيتَ البرَّ أجمل ما تحدى اليه سوابقُ الهممِ
والبرّ أشرفهُ وأنفعهُ للناس في الارشاد والحِكَم
فازلتَ كربةَ كلّ ذي شجن بالرائق الشافي من الكلم

وأسوتَ مكلومَ النفوس إِسا ... من يقرنُ التضميدَ بالنغم[1]
بروائعٍ كالكون باهرةٍ ... ما بينَ منتثرٍ ومنتظم
جملتَها بجمالهِ فمضت ... ولها جلالُ الكون من قِدَم



يا فخرَ دارِ الانبياء ألم ... يضق الضريح بمحتوى عَلَم
شرفتها والآن صرت الى ... مهوى الجبال ومهبط الشَمَم
لكنَّ ذكرَكَ خالد أبداً ... في الناس محمودٌ بكل فم
ببقائه ورداكَ[2] موعظةٌ ... للسائر المفضي الى الرُجم
«إِخلع عن اسمك فانياً خَلَقاً ... والبس جميلَ الذكر تستدِم»

كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٦



شعر منثور

كلمات اسف

انشدت في حفلة تأبين للعالم العظيم الآنف ذكره بهمة
صاحب العزة الوجيه يوسف بك نمير

أَطلق عبراتك من حكم الوزن وقيد القافية
وصعّد زفراتك غير منقطعة عروضاً ولا محبوسة في نظام
فإنْ وقد نظرت الى الموت وهو قاتل عامد

(١) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحي (٢) وفاتك

ما توحيه اليك النفس لدى رؤية أثمه الرائع
لاعتب على الحمام[1] . هو الظلمة والحياة النور
هو الاصل الازلي الابديّ والنور حادث زائل .
فاذا ازهر شارق في دجنة فهو يكافحها وينافيها
الى ان ينقضي سببه فيتضاءل ثم يتلاشى فيها

* * *

المائت وراء الميت . اتبكي ميتاً وانت مائت
هل القطرات الهابطة في العمق دمعة تجري اثر دمعه
لئن مات اليازجي فقد مات من قبله النبيون
وماتت امم اهان الردى اعزاءها وصغر كبراءها
فلم تبكون راحلاً ايها الراحلون أأنتم بعده في خلود
ام هي دموع يقرضها السلف ليفيهم اياها الخلف
لا .. وانما نبكي منّا بعضنا الذي ذهب مع الذاهب
نبكي مغانمنا من انسه وعلمه واخلاقه
نبكي مفقودنا من معاهده في المكان والزمان
نبكي ما ألفناه من مشهوده ومسموعه

فيا من يُكبر جزعنا على ابرهيم ان الميت يبكي بمقداره
وان النفس بما فطرت عليه من الكلف بمصالحها

(١) الموت

لا تأسف على الشمس المتوارية بالحجاب

اسفها على اي نجم يتوارى ولو كان في فلكه شمسا

***

اكان اليازجي من ارواحنا بمنزلة الشمس من العيون

فيكون حدادنا عليه حداد الليل على النهار

نعم كان بعلمهِ كالشمس انارةً واشراقا

ولكنه كان كالروضة بافانين آدابه ومعارفه

سوى انه كان كالزهرة بوداعته وعرفهِ ونفع ما يعصر قلمه

ولم تكن اشعته جارحة للعيون بقحتها وانما كانت بلسماً للعيون

ولم تكن ثماره واشجاره تنسيق تجارة ولا زينة مفاخرة

ولم يكن عرفه دعوةً للاعجاب به بل نسمة روح متذكية

***

شيخ نحيل ضم قلباً رقيقاً وعقلاً كبيراً

فقدناه ففقدنا لغة في يراع

فقدنا زهرة ذابلة تنذر بذبول الحديقة

فقدنا حديقة متجردة تنبيء بزوال الربيع

فقدنا ربيعاً انقضى به عصر في عمر رجل

فقدنا شمساً اطلعت ذلك الربيع وزانته بانوارها وأندائها

ثم غربت عنه بلا تدرج في الانتقال ومالت الى الشتاء

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٧

حمام عذراء

في السماء

أهوى وما الغانياتُ من وطَري | السالبات العقولِ والفِكَرِ
الصائداتُ القلوب في شركٍ | ينسجنَه من خدائع الحوَرِ
المشقيات الورى لأيسرِ ما | يسدين من نعمةٍ الى النظر
الحاكماتُ المحكمات فما | يبرحنَ اقوى وسائلِ القدَرِ
فانّ لي دونهنّ فاتنةً | في الزُهر محسودةً وفي الزَهر
ضَحوكةُ الوجه لا يغيّرها | في كل حالٍ شيءٌ من الغيَر
صدوقةُ العهد في مواعدها | تبدو وفيها تغيب عن بصري
شبابها دائم ورونقها | اكثرُ ما يزدهي على السهر
اذا التقينا فلا ينغصنا | ريبُ رقيبٍ يدعو الى حذَر
وان توارتْ رقدتُ مغتبطاً | بالتقىً للغداة منتظِرِ
كأنها دُرّةٌ معلَّقة | واين منها فريدةُ الدرر
قطرَة فجرٍ على شفا أُفقٍ | مفضَّض الجانبين منحدِرِ
دَمعةُ سعدٍ أقرّها ملكٌ | في فلك لم تسلْ ولم تثرِ
أودعَ فيها ابتسامةً فذكت | من عصُرٍ ينقضي الى عصرِ
نقطةُ حرف من اسم خالقها | أبيَنُ من نقط سائرِ الزُهُرِ
وَعت بديعَ البديع فهي تلي | في سورة الكون آيةَ القمرِ
غانيةٌ في جمال صورتها | ما تشتهيهِ المُنى من الصُوَرِ

لا تعرف الاثم فهي عارية ٌ تبدي حلاها بغير مستتَر
وانما الإثم حيثما خبثت ضمائرٌ فهو صنعةَ البشر
حواء كانت كذاك ثم غدت تحجب من وزرها[1] بمؤتزَر
لله صبح رأيتها ابتردت[2] بمثل ماء اللجين[3] منهمِر
يجري عليها الضياء تغيّرهُ من عنبر الليل عالقُ الاثر
فكلّما سالَ عن جوانبها صفا بها من شوائب الكدر
وكلما زلد نورُه لطُفت فيهِ ورقّت عن ذائبِ عطِر
حتى توارت فلا عفافَ ولا حُسنٌ كتمّام نجمة السحر

نيسان (ابريل) ١٩٠٧



الى العالم الخطيب القانوني الاديب

اسكندر بك عمون

وقد ترك منصبه في القضاء وانصرف الى المحاماة

اخا الحزم نبئني افارقتَ عن حزمِ مكانتك الشمّاء من منصب الحكمِ
وقد كنتَ ذاك العادلَ الفاضلَ الذي عفا أو جفا لم يقضِ الاّ على الظالم
فهل بعد اذ تقضي قضاءك في الورى تروم مراماً دون منزلة النجم

* * *

الا انها العلياء في النفس عرشها وما هي في دست ولا في اشتهار اسم

(١) إزار (٢) استحمّت (٣) الفضة

فان طهرت نفسٌ فما الفخر ظاهراً ... بفخرٍ وليس الجاه خيراً من العدم
ونيلُ الاماني كلها دونَ هفوةٍ ... يبوؤ بها قاضٍ مَسوءًا بلا جرم
على انها الأحداث تعرِض للنهى ... فتخفي ضياء الحق عن ثاقب الحِلم
اذا المرءُ لم يُمنحْ شهادة ما اختفى ... وأمناً من البلوى وتمًّا من العلم
فقد يخطىء الحقَ الصريحَ اذا قضى ... ويأخذ بالإثم البريء من الإثم

* * *

برحتَ سماءَ للقضاء اذا صفت ... فأحييت فقد ترمي بعردية الرُجم
وآثرتَ ميدان « المحاماة » دونها ... مجالاً رحيباً للمروءة والعزم
ففي كل يوم انت صانع رحمة ... وفي كل يوم غانمٌ أجرَ ذي غرم
ومتهمٍ في غفلة العدل واقفٍ ... من الموت بين الامر والخُشُبِ البكم
نهضتَ لدفع الوَيل عنه ببهمةٍ ... هي الوثبُ في الارياح والوَقرُ في الشُمّ
وناضلتَ عنه مستجيراً ملايناً ... شفيعاً ضليعاً نافيَ الريب بالجزم
بزأرة رئبال وتطريب ساجع ... وعطفة مهتزٍّ ولهفة مهتمّ
ورقة محتال وشدة مُفحِم ... ينسِّم عن روضٍ ويُغدق عن يمّ
وتقليب شبهِ البرق ريّاً ورونقاً ... من الرأي في ادجى من السُحب الدُهم
فلم يلبثِ المنكودُ حتى تحولت ... بهِ حالةٌ من حرب دهرٍ الى سلم

* * *

لو الناس أرقى فطنةً وخلائقاً ... لما كان من قاضٍ ولا كان من خصم
فأمّا وهم ما قد عهدتُ ولم تَزلْ ... بهم حاجة الافراس للسرجِ واللُّجم
فانّ وليّ الذود عنهم لجهلهم ... احبُّ الى الرحمن من مُوقع الحكم

تعزية

في وفاة المغفور لها المرحومة والدة صاحب السعادة الهمام

محمد بك الشريعي

الى الموطن الاسمى بعدنٍ تطلّعت فسارت اليه عن تقىً وتعبّدِ
قضت عمرها لا يعرف الظنّ خدرها الى ان يكون الخيرُ فيه فيهتدي
مليكةُ احسانٍ ملاكُ طهارة سماءُ عفافٍ شمسُ برّ وسؤدَد
سلامٌ عليها يومَ عاشت وأنجبت ويومَ قضت عن فرقد ايّ فرقد
واذ هنئت دارُ النعيم بقربها وعُزّيت الدنيا بأمّ محمد

نيسان (ابريل) ١٩٠٧



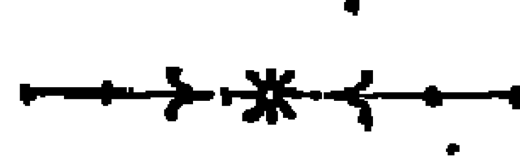
الى الشاعر النبيل

« ميشيل بك ابرهيم سرسق فيس قنصل ايران ببيروت »
وقد توفي والده

يا شاعرَ الوحي ما الدنيا وتعلمها الا قديمان إدبارٌ واقبالُ
قضى ابوك وقبلا مات والدُهُ وقبله مات اجيال واجيال
مُنىً تروح وآلامٌ تجيء الى ان يذهبَ الكلُّ آلام وآمال
اجدادنا قبلنا ساروا كسيرتنا وكلنا دائلٌ يوماً كما دالوا
وانما نحن فعّالون ما فعلوا وانما نحن قوّالون ما قالوا
حقيقة الطبع في الانسان ثابتة لكنْ تخالف اشكال واحوالُ

علامَ جاؤا ولمْ راحوا ولم سَعِدوا ... ولمْ شقوا ولمَ اُعتزوا ولمْ زالوا
لا شيء من قبلنا بالحال أشعرنا ... ولا النهايةُ تنبينا بها الحال
فاصبرْ او اجزع فما صبرٌ وماجزعٌ ... لا النقض يرجى ولا في الحكم ابدال
فليسترحْ من قضى من شقوة وأسىً ... حيث الوجاهة لا تغني ولا المال
وحسبُ والدك المبرورِ أنّ له ... ذكراً بذكرك لا تفنيه آجال

حزيران (يونيه) ١٩٠٧



شعر نثري

رسالة الى الصديق الكريم اسعد افندي تقولا وكان مصطافا في لبنان

يا أليفَ الرُوح يا رَوح الفؤادْ ... انا مشتاق وقد طال البعاد
في رُبى لبنان لي أمنية ... والنوى حائلة دون المراد
كلما خِلتُ زماني سامحاً ... خيّب الظنّ بلؤم وعناد
فاغنموا دوني رغيدَ العيش في ... بلدة اضحت بكم خير البلاد
انهبوا التين ولا تُبقوا على ... عنب وازدردوا جِدّ ازدراد
واشربوا الماء قراحاً صافياً ... في غياض درّها صوبُ العهاد
وامرحوا لعباً ولهواً واسرحوا ... مسرحَ الآرام في تلك الوهاد
مع اولادكم الغُرّ الاولى ... لا تباهيهم تماثيلٌ تجاد
او يضاهي ساعةً من أنسهم ... فاخرُ الدُرّ من اللجّ يصاد
وابنةِ ال . . . التي تحملها ... مرضعٌ قد حرمت طيب الرقاد

حسبكم ارضاعها قد اوشكت　　تنهش الثديَ بانياب حداد
تلك حوّاءُ أعدتم خَلقها　　فهي الكبدُ الى الدنيا معاد
هي تمثالُ جمال انما　　هي أُحبولةُ شرٍّ للعباد
فتنةُ الابصار مدعاةُ الجوى　　جنةُ الافكار مهواةُ الرشاد
قد أجدتم صُنعها عن حكمةٍ　　وتروضونَ نُهاها لاقتصاد
فغداً تغنيكمُ عن مهرِها　　بحلاها ومعانيها الجياد
بين َهذا الرَهط طيبوا واغنموا　　صفوعيش ما استزدتم يستزاد
فاذا تمت مناكم فاذكروا　　صاحباً يمحضكم أصفى الوداد

آب (اغسطس) ١٩٠٧



دمعتا وداع

يا مَن نأت والروح في إِثرها　　هائمةٌ من نَزَوات الألَمْ
لا تمنعي الأرواح من قبلةٍ　　لعلّ روحي بعضُ تلك النَسَمْ



التمثيل

الى استاذ الصناعة ومنعشها من العثار

الشيخ سلامه حجازي

يا مُرجعَ الماضين من ارماسهم ... مـا تبتغي من ذلك الإرجاع
هل في إعادتهم سوى شيء به ... يلهو الورى من رؤيةٍ وسماع
واذا أجدتَ فهل تجيدُ لغيرأن ... يصفوك بالإتقان والابداع

***

لِمَ عود او تللو وعقبي جاله ... موت الغشوم وصرعة الخـداع
او عُودَ هملت والقضاء رمى به ... فأصاب مهجة عمـهِ المطماع
او روميو وهو الدم المهدور في ... ثأر تخلف عن قـديم نزاع
او وليم الوافي بنـذر الله في ... متطاحن الدينيين والاشيـاع
أو ذلك الفـادي اباهُ بحبـه ... لذريق خير ابن وخـير شجـاع

***

أضحِكْ جموعك تارةً أو ابكهم ... أو أرضهم بمحاسن الايقاع
وأعد اليهم ما مضى برجاله ... واصوله وحلاه والاوضـاع
واهوَ الفضيلة عن هوىً أو أغرهم ... بغرامهـا وتغـالَ في الإقناع
اني اري التمثيـل بعثاً واعظاً ... في فتنة الابصار والأسماع

تهنئة بمولود

في ليلة انس وصفاء بمنزل سعادة السريّ الامثل عطا بك حسني
قيلت لساعتها اجابة لاقتراح بعض الاصدقاء

فيكَ انجلى يا ليلُ طفلٌ صغيرْ
فوقَ السرير
طفل كجدَّيه سريٌّ امير

لما بدا نادى بشيرُ الصفاء
بشرى العلاء
بشري الهدى بشرى الندى والوفاء

محمدٌ لا بدعَ ان يؤملا
اذ اقبلا
للخير والاحسان بين الملا

هذا كريمٌ من كريمٍ اتى
نعم الفتى
قد طاب غرساً وزكا منبتا

اني اراهُ وكأنَّ المنى
أسعفتنا
فيه خفقنَ به فألنا

اراهُ مقداماً لجند الوطن
ضنَّ الزمن
بمثله بين رجال الفطنْ

اراه يوحي وحيهُ شاعرا
او ناثرا
كالنجم من علياته سافرا

اراهُ في الفضل رفيع العلَمْ
ثبتَ القدم
يحكي اباهُ بمضاء الهِمم

فليحفظ الله العليُّ القديرْ
هذا الصغيرْ
فهو رجاء للمعالي كبيرْ

ليلة رأس السنة ١٩٠٨



رسالة برقية

في زفاف الصديق الماجد الخواجا ميشيل غزاله على الآنسة ماري
كريمة صاحب العزة يوسف بك مسره

حياكما السعدُ في قرانكما . ودمتما في مسرَّة الحالِ
وبارك الله في حياتكما وزينتيها البنين والمالِ

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٨

التهنئات للاكفاء

تفضل الجناب العالي الخديوي برتبة ميرميران الرفيعة على ثلاثة من الاصدقاء ذوي الفضل والنبل والوجاهة فارسل الناظم الى كل منهم بيتين

قال في صاحب السعادة قسطنطين باشا قطه

لتهنئكَ مرتبةٌ حزتها بحقّ الوفيّ الذكيّ الاريبِ
وخيرُ المراتب ما ازدانَ فيه بقدر المثاب عطاء المثيبِ

وقال في صاحب السعادة عبدالله باشا صفير

لعبدِ اللهِ رأسِ بني صفيرٍ تهانيءُ كل معترفٍ بفضلِ
رأته الرتبة العلياء اهلاً فحلّت منهُ في وطنٍ واهلِ

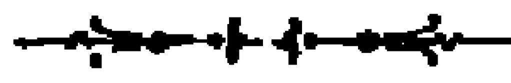
وقال في صاحب السعادة فريد باشا بابازوغلي

أفريد باشا تلك اسمى رتبةٍ يحلى بها رجلٌ أغرُّ مجيدُ
فلئن دعيتَ بها فانك كفؤها أولا فانك كيف كنت فريدُ

اللعب بالشموس

وصف الناظم العوبة كانت في يد سيدة تديرها فتنثر نجوماً وشموساً فقال

أرينا بالعوبة في يديك   عجائبَ لِعْبِ الهوى بالرؤس
تدار فتمطرنا أنجماً   وتبهرنا بصغار الشموس
وما هي الا دموع المنى   وما هي الا شِعاع النفوس



محاضرة

جرى سمر تصدى فيه احد الشعراء لانشاد شيء من الشعر وكانت في المجتمع سيدة ذات قرطين جميلين فقال الناظم يصفها و يمدح الاستاذ المنشد

أذنانِ أم أفقان يبدو فيهما   نجمٌ لمشبهه الاغرّ محاذي
لله جوهرتاكِ ما أبهاهما   أتراهما من منطق الاستاذ

فراب السيدة قصد الناظم من مدحه للاستاذ ومدحه لجوهرتيها بسببه وارادت ان تحول عنها الانظار بنكتة لطيفة تأخذ بها ثارها فقالت ان كانت هذه قيمة ما يقول الاستاذ وهذه فراستك فان الجوهرتين مكذوبتان فضحك الحاضرون وقال الناظم

أبت النزاهة للمليحة أنها   ترضى بغالي المدح وهو مُريبُ
فرمت بما غمز الاديب ونالني   منهُ ونال الدرَّتين نصيب
قالت أتكذبك الفراسةُ ليس في   اذنيَّ الا جوهر مكذوب



تهنئة بمولود

رزق حضرة المفضال المحامي الشهير محمود بك أبو النصر غلاماً سماه محموداً فهنأهُ الناظم بهذه الابيات وهي

حبا اللهُ محموداً أبا النصر منّةً مخلدة النعمى عليهِ لأزمانِ
حباهُ سليلاً للفضائل والندى يرجّى لاهلٍ في الوفاء وأوطانِ
فبشرى لمحمود بطالع سعده وبشرى معاليه بمحمودٍ الثاني

حكاية نشر هذا الديوان

الى صديقي الحبيب ومرشدي الحكيم

رزق الله افندي خوري

من عيون اعيان القاهرة

نظمتُ هذه الفِكَرْ ذات شؤون وعِبرْ
ولا أقول انني قد صغتها صوغ الدرر
نظمتها كما أتتْ بين غياب وحضر
أوابداً لم يكُ لي منها بتأبيد وطر
ولم أخلني إن أمتْ يستحيني هذا الاثر
كظنّ كل من بدا له خيَال فشعر

وظن كل من رأى موضع ثثر فنثر
يحسب تيهاً انه غزا الخلود فانتصر

***

وهمٌ قديم سيرتي فيه على غير السِّيَر
ما أكلف الانسان بالـ بقاء حتى في خبر
وما أشدّ ودّهُ لو يستدام في حجر
كم خاطر دوّنه كاتبهُ حين خطر
وقال هذا مكسبي لاشكّ إعجابَ البشر
اذ يعلمون انني صاحب هذا المبتكَر
حتى البكاء والسرور حين يبكي أو يسرّ
يخطه كأنه جوعان يستجدي النظر

***

لكنني وأنت تد ري أيها الاخ الابرْ
لم أتمنّ مرة هذي الامانيّ الكبر
ولم أُبالِ مصحفاً ليَ انطوى أوانتشر
ولم ابالِ اسمي ان لم يشتهر أو اشتهر
أَلا وقد علمتني بمشهد ومختبر
كيف يكون احكم الـ سفار والعمر سفر
« يأخذ في مسيره ما يجتني من الثمر

ويجتلي حسن االسهى ان فاته حسن القمر
ويصطفي رفاقه للائتناس والسمر
مجاملاً امثاله على الرخاء والغير
مجتنباً زلا تهم مغتفراً ما يغتفر
منتبذ السبل التي تعلق بالثوب الوضر
مستنصفاً ومنصفاً في الودّ أو في المتجر
مستمسكاً بالحق لا يغرّه وهم أغر
يجري على حكم النهى ولا يغالب القدر
في الدين والدنيا له حكمة وزد وصدر
إن يؤت فضلاً بثّه في الناس فعل من شكر
يشركهم فيه ولو اشراك سمع وبصر
ولم يصنه عنهم صون بخيل ما ادّخر
ولم يبدّده سدىً بما تباهى وافتخر»

***

ذلك ما افدتني وهو عيون وغرر
فلسفة سامية ألفتها من الصغر
عن فطرة راقية سمحاء من أذكى الفطر
اخذتُ عنك آيها ولم تفصّل في سور
حضرتها كقارئٍ مغزى النهى في مختصر
ارتني الدنيا وبي عنها جلال وكبر

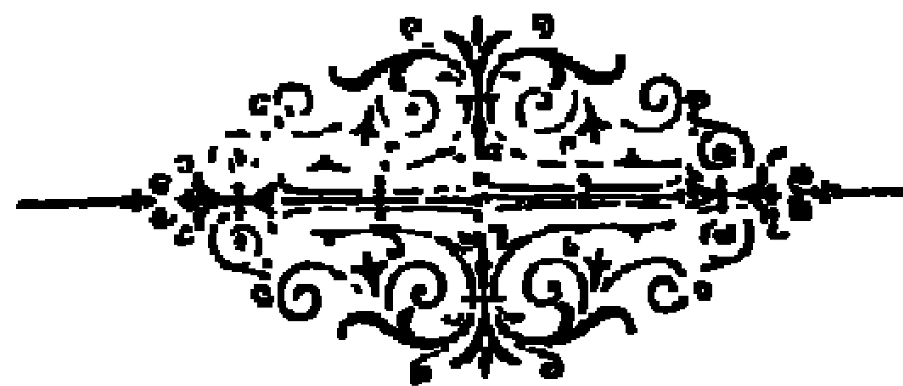
وازهدتني في المـد يح والاباطيل الاخر
يوم ابيت هامداً مثواي في احدى الحفر
لكنّ منها داعياً اجبتـه وقـد امر
قال « دع الآتي للـ غيب وخذ بما حضر
صِف للرّفاق ما ترى من زُهُر ومن زَهَر
انشدهم ما يبعث الس رور او ينفي الكدر
حذرهم ما في الطر يق من بلاء وخطر
سكن حشى مَروعهم ولا تؤازر من وزر
ارشد برفق تارة وتارة بمزدجَر »

***

يا من دعاني انا من إن يدعَ للخـير اُبتدر
النـاس بالناس وكلٌّ واهب على قـدر
وشرُّهم من استطا ع ان يفيد فاعتذر
لو لم تكن مجرّتي هذا الكتاب ما ظهر
وليس الا قِصصاً الى شجون وذِكر
ونفحـاتٍ باقيـاتٍ من شباب قد عبر
وسانحاتٍ سنحت بين غروب وسحر
في مستضاء الخمر او في مُتفيَّاء الخَمَر
تحت مرائي الشـهب او بين مَلاحظ الشجر
خواطرٌ وضَّاءةٌ بهـا مـلامح السهر

البستها من ادمعي ومن دمي هذي الحَبر
قشيبةً غريبةً عصرية نسجَ مضر
ذلك ديواني وما أُزجيه ازجاءَ الغَرَر
فان افاد راحة او سلوة من الضَجَر
او حكمة تؤخذ عن موعظة ومعتَبر
فهو الذي نشرته . لاجله بلا حذر .
وبعد ذاك لا يكن ليَ افتخار . او خطَر

٨ شباط (فبراير) ١٩٠٨





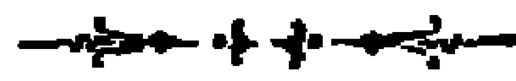
المرحوم مصطفى كامل باشا

ولد في اول رجب سنة ١٢٩١ — توفي في ٨ محرم سنة ١٣٢٦

مصاب الشرق

في رجله المفرد وبطله الاوحد

مصطفى باشا كامل



أيتها الروح العزيزة

ان في هذا الديوان الذي أختتمهُ برثائك

نفحات من نفحاتك ودعوات من دعائك

فالى هيكلك المدفون بالتكريم

تحية الاخ المخلص للاخ الحميم

ووداع المجاهد المتطوع للقائد العظيم

حق الوطن وحق الاخاء

هي المرثية التى انشدها الناظم على ضريح المغفور له مصطفى باشا كامل
في حفلة الاربعين

أعلى مكانتك الالهُ وشرّفا ... فانعمْ بطيب جوارهِ يا مصطفى
اليومَ فزْتَ بأجر ما أسلفتهُ ... خيراً وكلٌّ واجدٌ ما أسلفا
وجُزيتَ من فاني الوجود بخالدٍ ... ومن الاسى الماضي بمقتبَلِ الصفا

* * *

أعظمْ بيومكَ في الزمان ومن له ... بك واصفاً ذاكَ الجلال فيوصفا
يومَ الملائكة الكرام تنزلوا ... حانين حولك في السرير وعكّفا
وتحملوكَ على الاشعّة وارتقوا ... سرباً يجوز بك الدراريءَ موجفا
فوردتَ وِرْدَكَ في الخلود منعّماً ... والارض مائدةٌ عليك تأسفا
لم تُلفِ قبلك أمّةً في مشهدٍ ... يذرو الرجالُ به المدامع ذرّفا
يمشون من حول الجنازة ضائقاً ... بهم الرحيبُ من المسالك مصرفا
متثاقلين من الوقار وانما ... ساروا بطيفٍ ناحلٍ أو أنحفا
بحرٌ من الاحياء نعشُك فوقهُ ... فُلكٌ يظلله اللواءُ مرفرفا
يبكون في آثاره العلمَ الذي ... آثارُهُ من رفعةٍ لا تقتفى
سعت الخوادرُ حاسرات والاسى ... مُلقٍ على الابصار ستراً أغدفا
ولئن سفرنَ ولم يخَلنَ فانهُ ... خطبٌ ألان بروعه صُمّ الصفا
فزعَ الشباب الى الشيوخ بثأرهم ... من دمعهم إن خانهم فتكفكفا
ومن الغضاضةِ إن دعا داعي العلى ... بعدَ الفقيد فتىً بهم فتوقفا
جزع النصارى واليهود لمسلم ... هو خير من والى وأوفى من وفى

بكوا المرجّى في خلافٍ عارضٍ ليزيل ذاك العارضَ المتكشفا
واشتدَّ رزءُ المسلمين وحزنهم لما مضيتَ ولستَ فيهم مخلفا
مَن بعدَ كاتبهم وبعد خطيبهم يُعلي لهم صوتاً وينشرُ مصحفا

***

مَن يبرئ الاسلامَ من تهم العدى ويردُّ نقد الناقدين مزيفا
يُبدي لاعين جاهليه فضلهُ ويزيلُ ما يلدُ التناكرُ من جفا
ويثيرُ من غضب الغضاب لمجدهِ هماً تعيدُ له المقام الاشرفا
لكنّ من أقلام جندك حوله سُمراً تهزُّ لكل خطبٍ معطفا
ولعلّ حرًّا لا يدينُ به انبرى ليذودَ عنه خصمهُ المتعسفا
قِفْ أيها الناعي عليهِ جمودَهُ فلقد تجاوزت الهدى متفلسفا
ان يعترِ الشمسَ الكسوف هنيهةً أيكون منقصةً لها أن تُكسفا
وهل الكسوف سوى تعرض حائل يثني أشعتها الى أن يكشفا
لم تنزل الاديانُ الاّ هادياً للعالمين ورادعاً ومثقفا
بشعارِ حيَّ على الفلاحِ وما بها ان قصر الاقوامُ عنهُ فأُخلفا
وبكل أمر موجبٍ اصلاحهم ان خالفوه فما استحال ولا انتفى
قد كان للإسلام عهدٌ باهرٌ نلنا به هذا الرُّقيّ مسلفا
ملأ البلاد إنارةً وحضارةً ومُنى السماحةِ عودُهُ مستأنفا
فالخيرُ كلُّ الخير فيه مقبلاً والشرُّ كلُّ الشرّ أن يتخلفا
يدعو البقاءُ الى التكافؤ بالقوى بينَ العناصر أو يهينَ ويضعفا
والخلقُ جسمٌ إن ألمّ ببعضهِ سقمٌ ولم يُتلافَ عمّ وأتلفا
بشرى البرية بعد مزمنِ دائها بسلامة الإسلام وهي لها شفا

ان أُغضبت تلك السلامةُ جائراً أرضت خبيراً بالحياةِ ومنصفا
يامن نهضت بنصرهِ وأبنتهُ حقَّ الابانةِ هل تبالي مرجفا
ما زلتَ في مصرٍ تقيمُ منارَهُ حتى أنارَ الكونَ منها مشرِفا

***

مصرُ العزيزةُ قد ذكرتُ لك اُسمها وأرى ترابك من حنينٍ قد هفا
وكأنني بالقبرِ اصبح منبراً وكأنني بك موشكٌ أن تهتفا
مصرُ التي لم تحظَ من نجبائها باعزَّ منك ولم تعزَّ باحصفا
مصرُ التي لم تبغِ الا نفعها في الحالتين ملايناً ومعنفا
مصرُ التي غسلت يداك جراحها بصبيبِ دمعك جارياً مستنزفاً
مصرُ التي كافحتَ لُدّ عُداتها متصدراً لرماتها مستهدفا
مصرُ التي سقت الجيوشُ مناقباً ومُنىً لتكفيها المُغير المجحفا
مصرُ التي احبيتها الحبَّ الذي بلغَ الفداءَ نزاهةً وتعففا
حتى مضيتَ كما ابتغيتَ مؤلفاً من شملها ما لم يكن ليؤلفا
امنيةٌ أعيت خلالك دونها لو لم يُضافِرْها رداك فيُسعفا
وهي التي لو قسّمت لنما بها شعبٌ يعزُّ بنفسهِ مستنصفا

***

مَن كان أجرأ منك يوم كريهةٍ بالحق لا شكساً ولا متصلفا
من كان أقدرَ منك تصريفاً لما يُعيي الحكيمَ مدبراً ومصرِّفا
مَن كان أطهرَ منك خُلقاً جامعاً فيهِ مهيبَ الطبع والمستظرَفا
من كان أزهد منك الا في الذي يجدي البلادَ فتبتغيهِ مُلحفا
مَن كان أسمحَ منك مناّعاً لما تهوى ومِعطاءً لغيرك مُسرفا

مَن كان أصدقَ منك لا متنصلاً ... مما تقولُ ولا تعاهدُ مخلفا

* * *

لهفي على نخر الصبي هادي النهى ... عالي اللـواء حمى المروءة والوفا
يامَن نعى تلك الفضائلَ والعلى ... أغدت معالمهنّ قاعاً صفصفا
لا لا وحقـك ياشهيـدَ وفائهِ ... ورجائهِ كذب النعيُّ وأرجفا
ما انتَ بالرجل الذي يمسي وقد ... ملئ الوجودُ به ويصبح قد عفا
اني اراكَ ولا تزال كعهدنا ... بك في جهادك أو أشدّ وأشعفا
ثابر على تلك العزائم ذائـداً ... عن مصرَ تضربُ في البلادمطوفا
أصدر صحـائفك التي تحيي بها ... نضوَ الطريق وتدفع المتخلفـا
تجري بها الانهارُ وهي دوافقٌ ... همما وتوشك أن تطمّ فتجرفا
وتكاد أسطرُها تهبُّ نواطقاً ... ويكاد يعزفُ كلُّ حرفٍ معزفا
فاذا حنوتَ على الحمى متحبباً ... فهو النسيمُ وقد ذكا وتلطفا
وكـأنما الالفاظُ مما خففت ... نَقَشَ المدادُ رسومَها وتخففا
تُستامُ من أثوابِها ارواحُها ... وتعاف تحليةً لئلا تكثفا
قم للخطابة في الجامعِ وامتلكْ ... تلك النفوسَ مروّعاً ومشنفا
أعد القديمَ من الممالك والقرى ... ذكرى وعرّفنا الحياة لنعرفا
شـدد عزائمنـا وقاتلْ ضعفنا ... حتى نبيتَ ولا نرى متخوّفا
ما هـذهِ الاياتُ يَرمى لفظُها ... شرَراً وتهوي الشهبُ فيها أحرفا
ما ذلك الترصيعُ ليس مرصعاً ... ما ذلك التفويفُ ليس مفوّفا
وحيٌ بأهجيةٍ اذا ما أطلقَتْ ... هبطت رواسبَ عنهُ والمغزى طفا
تحيي حرارتها ويهدي نورُها ... متماهلَ الاشراق أوِ متخبطفا

تالله ما أنتَ الخطيبُ وانما وقفَ القضاء عن المنصةِ موقفا
عن نطقهِ تقعُ الصروفُ مواعظاً وكأمرهِ أمرُ الزمانِ مصرِّفا

* * *

ياحبذا لو كلُّ ذلك لم يزَلْ لكنهُ حلُمٌ مضى مستطرَفا
والآنَ نحن لدى ثراكَ نحجهُ متلهبين تشوُّقاً وتشوُّفا
نثني وهل يوفى ثناؤك حقهُ وبأيِّ ألفاظ المحامد يكتفى
ماذا يعيضك من شبابك نظمُنا فيكَ الرثاء منسقاً ومصففا
ويُعيض منك وكنتَ جوهرة الحمى صوغُ الكلامِ مرصعاً ومزخرفا
يا أخلص الخلصاء أبكي بُعدَهُ كبكاءِ مصرَ تحرُّقاً وتلهفا
هذا مثالك لاح يرعانا وقد كشف الجوى عنهُ الحجاب فأشرفا
جاد الهلال برسمهِ تاجاً لهُ وكستهُ ناسجةُ الطهارةِ مُطرَفا
يامن رماهُ عُداتهُ بتطرُّفٍ حققتَ آمال الهدى متطرِّفا
كهواكَ للاوطان فليكنِ الهوى لا مفترىً فيه ولا متُكلفا
يجري على قَدَرِ المطالب نامياً ويجلُّ في مجراهُ عن أن يصدَفا
أنشأتَ من مصرِ الشتّات بفضله مصرَ الفتاةَ حمىً يعزُّ ومألَفا
أحدثت فيها أمةً أندى يداً للصالحاتِ وبالعظائم أكلفا
عرَّفتَ أهليها حقيقةَ قدرِهم وكفاهمُ من قدرهم أن يعرَفا
نفحاتُ روحك خامرتْ أرواحهم فهمُ مرامُك ساءَ دهرٌ أو صفا
حصنٌ أشمُّ تساندَت أجزاؤهُ عِلماً وأمنَهُ النُّهى أن ينسفا
فارقُدْ رُقادَكَ إنَّ ربك قد محا بك ذنبَ مصرَ كما رجوتَ وقد عفا

٢٠ آذار (مارس) ١٩٠٨

انتهى الجزء الاول

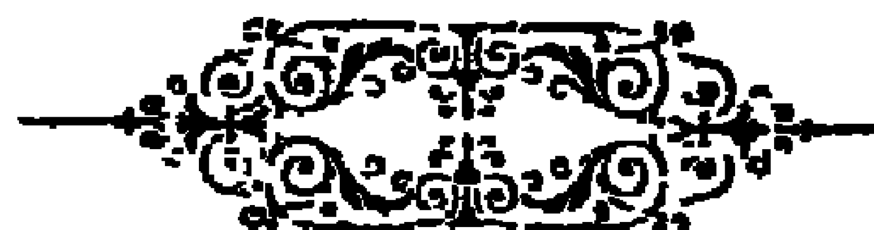
من ديوان الخليل

« ويليه ان شاء الله الجزء الثاني »

باسم

مختار المنثور

والحمد لله في المبدإ والختام



ملتزم هذا الديوان حضرة الصديق الوجيه عبد الله افندي غزاله واليه
يرجع فى جميع ما يختص به من المعاملات والمفاوضة معه تكون
فى مكتبة المعارف باول شارع الفجاله بمصر